

جامعة وهران2

كلية العلوم الإجتماعية

أطروحة دكتوراه الطور الثالث

تخصص:انثروبولوجية حضرية الموسومة ب:

الهوية الحضرية عند شباب الهوامش الحضرية بمدينة وهران
مقاربة أنثروبولوجية في حي "كوشة الجير"-رأس العين بوهران

إعداد الطالب

بوناب محمد الامين مهدي

إشراف الأستاذ

أ.سويح

اعضاء لجنة المناقشة:

بلحسن مباركة	**أستاذة التعليم العالي**	**جامعة وهران 2**	**رئيسا**
سويح مهدي	**أستاذ التعليم العالي**	**جامعة وهران 2**	**مقررا**
تليوين مصطفى	**أستاذ التعليم العالي**	**جامعة وهران 2**	**مناقشا**
طيب براهيم علي	**أستاذ التعليم العالي**	**جامعة مستغانم**	**مناقشا**
بركات عمر	**أستاذ محاضر أ**	**جامعة معسكر**	**مناقشا**

2026/2025

كلمة شكر

أقدم شكري للأستاذ المحترم ومؤطري السيد الدكتور"مهدي سويح" على تأطيره و توجيهه المحكم لي،وذلك أثناء كتابة فصول هذا العمل المتواضع،إلى جانب تحفيزاته القيمة في إتمامه،وذلك من خلال تلك الكلمات والتوجيهات التي أعانتني في إكمال هذه الدراسة.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي العزيزين وإخوتي وكل من عائلة "بوناب" وعائلة أخوالي "عمار"،وإلى أساتذتي الكرام: الأستاذ المؤطر مهدي سويح،الأستاذ لقجع عبد القادر رحمه الله،الأستاذ بومحراث بلخير،الأستاذ مالك شليح توفيق،الأستاذة غربي عبد الإله ،الأستاذ القدير حجيج الجنيد وصديقي العزيزالأستاذ بغدادي محمد الأمين وكل الأسرة الجامعية..

الفهرس

المحتوى الصفحة

-كلمة شكر..... أ

-إهداء..... ب

-الفهرس..... 3

-الفصل التمهيدي 7

1-المقدمة العامة..... 8

2-الإشكالية..... 13

3-الفرضيات..... 24

4-وصف ميدان المقاربة الأنثروبولوجية..... 25

5-عينة البحث..... 26

6-وصف منهجية الدراسة..... 27

7-أهمية الموضوع..... 29

8-أسباب إختيار الموضوع..... 30

أ-الأسباب الموضوعية

ب-الأسباب الذاتية

9-الدراسات السابقة..... 31

الفصل الثاني:السلفية الإصلاحية ورأي الشباب السلفي بالحي المدروس حولها... 41

1-مقدمة..... 42

2-الشباب السلفي في مدح الإصلاح الديني(الحنبلي،التيمي،والوهابي)..... 42

أ-المرجعية السلفية الأولى:الشيخ أحمد إبن حنبل(780م-855م)

ب-المرجعية السلفية الثانية:الشيخ أحمد إبن تيمية الحراني(1263م-1328م)

ج-المرجعية السلفية الثالثة:الشيخ محمد إبن عبد الوهاب النجدي(1703م-1792م)

3-الحركات السلفية مابعد الوهابية ورأي المجتمع المدروس حولها..... 72

أ-حركة الإصلاح مع جمال الدين الأفغاني(1839-1897)

ب-حركة الإخوان المسلمين مع حسن البنا(1906م-1949م)

ج-السلفية العلمية

4-المجتمع المتخيل في فكر الإصلاحيين..... 88

5-الدفاع عن الهوية الإسلامية بين التقليديين والمجددين..... 90

6-قراءة أنثروبولوجية في الفكر الإصلاحي وإنتقاد التطورية..... 92

7-خاتمة..... 93

الفصل الثالث:السلفية الإصلاحية في مواجهة المشاريع الإستعمارية"حالة الجزائر والمغرب"..... 100

1-المقدمة..... 101

2-الإثنولوجيا الإستعمارية في الجزائر والمغرب..... 102

أ-الإثنولوجيا

ب-الأنثروبولوجيا المعاصرة

ج-الإثنولوجيا الإستعمارية

د-الإثنولوجيا الإستعمارية في الجزائر

و-الإثنولوجيا الإستعمارية في المغرب

3-القوانين الإستعمارية في مواجهة الهوية المغاربية..... 119

4-السلفية اللإصلاحية في مجابهة المشاريع الكولونيالية..... 128

أ-السلفية الإصلاحية في الجزائر

ب-السلفية الإصلاحية في المغرب

5-خاتمة..... 139

الفصل الرابع:الشباب السلفي في الميدان المدروس،هوية دينية في مواجهة الحياة الحضرية..... 146

1-المقدمة..... 147

2-الملاحظة الإثنوغرافية للميدان المدروس..... 148

3-وصف الشباب السلفي في الميدان المدروس..... 155

4-إختيار الزوجة والكتب الدينية،يندرجان ضمن مشروع الهوية السلفية..... 167

5-الحي اللارسمي فضاء مساعد على نشر تيارهم الديني..... 173

6-صراع التطرفات الدينية حول تملك الفضاءات المسجدية..... 174

7-إستقطاب الشباب نحوى التيار السلفي(حالة الشاب كريم)..... 178

8-الدور الذي يؤديه السلفي في الحي كالممثل على حلبة المسرح..... 181

9-الوسائل التكنولوجية الحديثة ودورها في تكوين هوية الشباب السلفي... 185

10-علاقة الشباب السلفي بالمجال الحضري الوهراني..... 190

11-الشباب السلفي المدروس"هوية حضرية محلية،ذات صبغة وألوان دينية".. 196

12-الخاتمة..... 207

13-الخاتمة العامة..... 211

-المصادروالملاحق..... 217

أ-المصادر.

ب-الملاحق.

-ملخص الاطروحة..... 231

الفصل التمهيدي

1-المقدمة العامة:

أصبحت يوميات المدينة الجزائرية الراهنة،يطغى على فضاءاتها الحضرية وهوامشها عدة ظواهر وممارسات،أين أصبح لزاما على كل باحث متخصص النظر في محاولة تفكيك تركيبات تلك الوقائع،وذلك بإستعمال منظار دقة الملاحظة والـتأويل والفهم،بعيدا عن ضجيج الأفكار والأحكام التي ظلت لعقود من الزمن، تحرم الكثير من أهل الفن في فهم مايجري داخل مجتمعاتهم وعند عتبات بيوتهم.لم تعد الكثير من الأفكار التي تم إستيرادها عن طريق النخب التي تكونت بعيدا عن مجتمعها الأصلي،وذلك قبل نهاية القرن الماضي،صالحة في كشف طلاسم و أكواد تلك المعتقدات والممارسات،و التي تطفوا على مسرح الفضاء الحضري المحلي،وذلك من طرف أولئك الأفراد والجماعات،الحاملين لثقافة خاصة بهم،أين لايمكنها أن تستجيب في مضمونها الداخلي إلى التحاور والنقاش الغير عادل،وذلك مع مفاهيم ونظريات لم تحترم شعورأصحابها ولا خصوصياتهم الثقافية،حيث حكمت على عاداتهم وتقاليدهم ونوعية تدينهم بالبدائية والسحرية وذلك من خلال الدراسات الإثنولوجية الكلاسيكية.إن العمل على رسم مشروع للعودة إلى الحضارة الضائعة كما نظر لها المفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله،يحتاج إلى العودة لأنفسنا ومساؤلة الماضي الجميل،أين تم قتل المولود وهو في بطن أمه كجنين،بدون شرعية وبلا رحمة،وذلك من طرف أولئك الذين أهملوا تاريخهم الثري،والغني بأفكار وفلسفات أنتجت من طرف علماء ومفكرين مسلمين، كانت قد صنعت على سبيل المثال حضارة المسلمين في الأندلس.إذا أرادت الأمم التي تم الزج بها في خانة الدول النامية للخروج من هذا المأزق الذي ظلت تعيشه، ولازالت تلتمسه على المستوى السياسي والإقتصادي والثقافي،فعليها أن تلتفت إلى إحياء إرثها وإنتاج مفاهيم جديدة, أي: في السياق الذي تراه الرؤية النقدية للأنثروبواوجية الراهنة التي تهتم بالمحلي والخصوصيات المهملة طيلة مدة طويلة من طرف الفاعلين المحليين في الحقل الأكاديمي،أين تكتشفها لأول مرة داخل النظام الذي يهيكل معتقدات مجتمعها المحلي.إن التغيير لا يمكن أن يأتي من خارج خصوصيات المجتمع الذي نقتسم معه كل شيء ونحن كجزء منه،فلا يمكنه أن ينتظر قدوم الأفضل من الآخرين،إن الآخر(الغرب) يصدر ثقافته

بكل أنواعها(أداتية وفكرية) إلى أولئك الذين يعيشون في بلدان الجنوب,و التي تنعت بالنامية من وجهة نظر المركزية الغربية،ليس من أجل أن يرتقوا إلى نفس المستوى الذي يعطيه لنفسه،إنما الهدف هو جعل هذه المجتمعات تقبع دائما في الخلف،تنتظر حلولا لمشاكلها السياسية،ما يجعل تلك الحلول الصادرة تقنيا من عقول غريبة عن ثقافة المجتمع المحلي،أن تتصادم مع ما يفكر فيه أولئك الذين يعيشون بعيدا عن مراكز المدن، متمسكين بمعتقداتهم، حاملين لأفكار وتصورات لما يريدونه داخل مخيالهم،ينتظرون دورهم في مساؤلة خصوصياتهم في يوم من الأيام،فقبل تغيير الواقع الملموس، عليك قبل كل شيء أن تفهم أولئك الذين ينتجونه من خلال ممارساتهم اليومية،وهي المسلمة التي باتت تفرض نفسها في الآونة الأخيرة.

يعتبر الدين الإسلامي منذ توغله داخل مجتمعات شمال إفريقيا، بمثابة الخصوصية الثقافية التي ترسخت في ذهنيات وممارسات شعوب المنطقة,أين أصبح جزء لا يتجزأ من الهويات التي تشكل المجتمع المغاربي داخل الفضاء الحضري وفي هوامش مدنة,.باتت تلك الصراعات الدينية والحركات الإسلامية التي ظهرت بشكل متتابع بعد النصف الأول من القرن الماضي،تشكل عنصرا مهما في صناعة واقع الحياة الحضرية المعاصرة.فإذا كان المجتمع الجزائري خاصة على مستوى الخطاب السياسي,و الذي يعلن صراحة أن الجزائر ذات مرجعية مالكية،عقيدة أشعرية، وطريقة تصوف جنيدية على غرار باقي شعوب شمال إفريقيا،فإن هناك في الجهة الأخرى داخل نفس المجتمع, قد توغل مذهب سلفي جديد،قادم من الحجاز، يريد أن يغير الوضع الديني والعقائدي في الجزائر لصالحه،حيث يعتبر بأن هذا الأمر إنما هو شرعية دينية،بل و مطالب علماء تركوها كرسالة لخلفهم الصالح,إنه التيار السلفي الوهابي,والذي فرض نفسه منذ مطلع القرن العشرين في المغرب الكبير, محاولا الإستحواذ على الفضاء الديني العقائدي,وزحزحة التيار الصوفي الشعبي الطرقي هي إحدى أهم الأهداف المنشودة.لايمكن أن يتم إقصاء مايريده أولئك السلفيين الذين تم دراستهم من طرفنا في حي كوشة الجير،إن عملنا كان بمثابة محاولة سؤال هؤلاء الشباب، وهم في وضعية الدفاع عن تيارهم من جهة،ومن جهة أخرى محاولة فهم وتفكيك علاقتهم مع الفضاء الحضري بشكل عام.وذلك من أجل

الوصول إلى محاولة رسم تلك الخريطة الهوياتية،و التي تعبر عن واقع هوية دينية تعيش في هامش حضري،أين لا يمكنها أن تنفصل عن حياتها الحضرية،محاولة أن تضع بصمتها في المشاركة الفعلية في تغيير صورة المدينة،وذلك تماشيا مع مرجعيتها الفقهية،أين تكون معبرة عن هوية تريد أن تبرزها شكلا ومضمونا،وذلك أمام مرأى الهويات الحضرية الأخرى،فمن أجل ذلك قمنا بتقسيم هذا العمل البسيط ،إلى أربعة فصول أين جاءت على الشكل التالي:

الفصل الأول: وهو الفصل التمهيدي أين إحتوى على مقدمة عامة وإشكالية طرحنا فيها ما نحاول مقاربته عند أولئك السلفيين،إلى جانب فرضية تم صياغتها بغية الإجابة عن نوعية الهوية الدينية الممزوجة مع واقع الحياة الحضرية،والتي تميز أولئك الشباب المتدينين.تم وصف ميدان المقاربة الأنثروبولوجية ،إلى جانب ذلك تم التذكير بالعينة المدروسة،حيث تعتبر هذه الأخيرة بمثابة النقطة المرجعية في الإجابة التي وصلنا إليها في نهاية هذا العمل.لكل عمل علمي منهجيته،حيث تم رسم ذلك خلال عملنا هذا،أين كان التاريخ والوصف بمثابة وسيلتين وجدنا أنهما ضروريتين من أجل هذه المقاربة.في الأخير كان التطرق إلى أهمية الدراسة و أسباب إختيار الموضوع، يندرجان من جهة، في سيرورة فهم ما يجري داخل مجتمعنا المحلي من مواضيع أصبحت تشغل الكثير من المفكرين وغيرهم،ومن جهة أخرى، لأسباب موضوعية وذاتية أردنا من خلالها فهم ما كنا نجهله على مثل هذه المواضيع،وذلك عندما إحتككنا بها قبل الولوج إلى الجامعة.تعتبر الدراسات السابقة بمثابة تلك الشمعة التي سوف تضيء للباحث بعض الأشياء التي تحوم حوله،أين يمكنها أن توجهه في معرفة كيف؟ وبأي طريقة عالج أولئك الباحثين الذين تطرقوا لنفس موضوعه؟،هنا كان علينا إختيار بعض الدراسات السابقة،و التي كان فيها مفهوم السلفية أو الدين بشكل عام، موجودين على مستوى عناوينها و في مضامين متونها.

الفصل الثاني:عنوانه السلفية الإصلاحية ورأي الشباب السلفي بالحي المدروس إتجاهها،؛حيث جاء هذا العنوان بالأساس بغية التأريخ للظاهرة السلفية منذ أول زمن بدأت تنموا فيه، إلى غاية تشكلاتها في زمننا الحاضر،خاصة من حيث التسمية،أين قمنا

بالإستشهاد بكلام أولئك السلفيين الذين تم دراستهم،والهدف من ذلك هو معرفة رأيهم حول الحركات السلفية،وكذا محاولة منا لتأويل ومعرفة نوعية التيار السلفي الذي يعتنقه مجتمع الدراسة.تطرقنا إلى الشباب السلفي في مدح الإصلاح الديني(الحنبلي،التيمي،والوهابي)، ما أشر لنا على أنهم يسيرون ضمن خط هذا التدين الحنبلي،أين تم ذكر هؤلاء المصلحين السلفيين، كل في عصره الذي ظهر فيه.بعد الحركة الوهابية التي أصبحت منذ بزوغها تعرف بمفهوم جديد تحت تسمية "السلفية"،فسيكون هناك ردود فعل عند البلدان الموجودة في أطراف بلاد الحجاز،أين ظهرت حركات سلفية متأثرة بالوهابية.تطرقنا إلى عنوان الحركات السلفية مابعد الوهابية، أين تم ذكر أبرز الحركات السلفية التي جاءت ما بعد القرن الثامن عشر،حيث تم ذكر كل من السلفية الإصلاحية مع جمال الدين الأفغاني،جماعة الإخوان المسلمين مع الشيخ حسن البنا،وكذا السلفية التقليدية والتي أصبحت تتخذ لها مسمى جديدا،وذلك تحت تسمية"السلفية العلمية"، بالرغم من أنها تتمسك بالوهابية شكلا ومضمونا،وهو التيار الذي يعتنقه أفراد مجتمع البحث.إن المجتمع المتخيل في فكر الإصلاحيين، هو عنوان جاء من أجل تفسير ما كان يريده أولئك الإصلاحيين من مجتمعهم،وذلك تماشيا مع الدين لا مع الثقافة الغربية،إلى جانب هذا تم طرح فكرة الدفاع عن الهوية الإسلامية كعنوان، أين وجدنا أن هناك أطروحتين مختلفتين في التغيير،وذلك بين رؤية تقليدية دينية،ورؤية تجديدية دينية إجتهادية.لقد كانت لنا قراءة أنثروبولوجية في الفكر الإصلاحي وإنتقاد التطورية كعنوان،وذلك بهدف الدفاع عن أفكار المجتمعات المحلية،وهو تماشيا مع ما يتطلبه الوضع الراهن علميا وعمليا.ثم تأتي خاتمة البحث كحوصلة لما جاء في هذا الفصل.

الفصل الثالث: السلفية الإصلاحية في مواجهة المشاريع الإستعمارية"حالة الجزائر والمغرب"،أين جاء هذا الفصل محاولا توضيح تلك الصورة التي عاشتها المنطقة المغاربية في القرنين 20/19 ميلادي،أين كانت عرضة للإستعمار الفرنسي،ما جعل المنطقة تنتفض دفاعا عن هويتها الثقافية.بدأ الفصل بالتطرق للمشروع الفرنسي الذي كان يهدف إلى تغيير المنطقة المغاربية، أين كان هناك عمل مزدوج بين الأطروحتين العلمية والسياسية.بين الدراسات الأنثروبولوجية والقرارات السياسية،بدأ الفصل بمقدمة ثم تلاها

عنوان الإثنولوجيا الإستعمارية في الجزائر والمغرب حيث تضمن عناوين فرعية تمتلث في:الإثنولوجيا،الأنثروبولوجيا الإستعمارية،الإثنولوجيا اللإستعمارية في الجزائر،وكذا الإثنولوجيا الإستعمارية في المغرب.ليأتي بعد ذلك الشطر الثاني من المشروع الكلي للكولونيالية ، والمتمثل في الجانب السياسي، أين جاء عنوانه متبلورا في :القوانين الإستعمارية في مواجهة الهوية المغاربية،وكان التطرق فيه إلى حالتي الجزائر والمغرب.بعدما ضاقت شعوب المنطقة المغاربية ذرعا من سياسة الإستيطان،أين وصل الأمر بالفرنسيين إلى محاولة طمس معالم الهوية المحلية،إنفجرت هناك شخصيات من داخل هذه البلدان،إتخذوا التيار السلفي كحركة دينية من أجل التوعية ومجابهة الثقافة المبرمجة من طرف فرنسا.جاء في الشطر الأخيرمن هذا الفصل، عنوان السلفية الإصلاحية في مجابهة المشاريع الفرنسية،أين تطرقنا إلى حالة الجزائر و المغرب، حيث كان العنوان الأول الخاص بالجزائر هو:السلفية الإِصلاحية في الجزائر،أما الثاني هو:السلفية الإصلاحية في المغرب الأقصى،.لتأتي خاتمة الفصل الثالث من أجل تقديم حوصلة لأهم ماجاء في مضمون هذا الأخير.

الفصل الرابع:الشباب السلفي في الميدان المدروس، هوية دينية في مواجهة الحياة الحضرية،لقد بدأ هذا الفصل بمقدمة ثم تلاها عنوان الملاحظة الإثنوغرافية للميدان المدروس، أين قمنا بوصف إتنوغرافي دقيق للحي شكلا،وكذا بعض الممارسات والفئات التي تقطنه.جاء بعده عنوان، وصف الشباب السلفي في الميدان المدروس، وصفا من ناحية الشكل والأفكار،ليأتي عنوان يعتبر تكميليا له والمتمثل في :إختيار الزوجة والكتب الدينية، يندرجان ضمن مشروع الهوية السلفية.دائما ما كان السلفيين يبحثون عن الهدوء، حتى أصبح يطلق عليهم الفرقة الباردة.جاء عنوان الحي اللارسمي فضاء مساعد على نشر تيارهم الديني،وهو ما يتمثل في كون أن السلفيين يحسون أنفسهم في راحة كبيرة وحرية،وذلك أثناء وجودهم بعيدا عن مركز المدينة المكتظ بالحركة والإختلاط.صراع التوجهات الدينية حول تملك الفضاءات المسجدية،هو عنوان يوضح وصف تلك الصراعات اليومية بين السلفية والصوفية ،وذلك بغية تملك المسجد الموجود في الحي،ليليه عنوان إستقطاب الشباب نحوى التيار السلفي (حالة المبحوث رقم 09)، وهو

من أجل توضيح تلك الإستراتيجية السلفية في محاولة إصطياد شريحة الشباب المراهق،وذلك قبل تشكل شخصيته المستقبلية.إن الدور الذي يؤدية السلفي في الحي كالممثل على حلبة المسرح،هو عنوان جاء من أجل توضيح تلك الحركات الجسدية،الخطابات، والممارسات التي تظهر من طرف السلفيين داخل الحي،أين يكون هدفها هو التأثير في الجمهور وجذبه نحوى تيارهم(أي الذين ليسوا من التيار السلفي).عنوان :الوسائل التكنولوجية الحديثة ودورها في تكوين هوية الشباب السلفي، ثم يليه عنوان: علاقة الشباب السلفي بالمدينة(المجال الحضري).في الأخير ومن أجل الإجابة عن الفرضية المطروحة، جاء العنوان الذي ختمنا به هذه الدراسة والمتمثل في:الشباب السلفي المدروس"هوية حضرية محلية،ذات صبغة وألوان دينية"،لتأتي خاتمة هذا الفصل من أجل حوصلة ما بداخله ،ثم الخاتمة العامة، والتي جاءت ملمة بمضمون هذا العمل، مع بعض الإستنتاجات وكذا الإجابة عن الفرضية المطروحة.

2-الاشكالية:

إذا أردنا وضع علاقة بين ما يتضمنه النص من أفكار في هذه الدراسة التي سنتطرق لها، فنحن ملزمين بوضع توضيح على شكل بناء يجعل العلاقة الواجب الدفاع عنها في كتابة النص أمام القارئ تكون واضحة الصورة، حتى يجد سهولة في كيفية التوفيق والربط بين المفاهيم والأفكار داخل مضامين هذا الأخير من خلال القراءة،وهنا سنحاول في هذه الإشكالية وضع تلك الروابط بين الأفكار من أجل توضيح بسيط لما نحاول تقديمه في هذا العمل،ففي حقل العلوم الإجتماعية على سبيل المثال, والذي يهتم بميادين الحياة الإجتماعية للأفراد والجماعات ومختلف الثقافات التي ينتجونها من خلال التعايش فيما بينهم،حيث نجد على سبيل المثال داخل حقوله ميدان الأنثروبولوجية والذي يعتبر من التخصصات المهمة في دراسة الإنسان، وأنه يعتبرميدان له علاقة وطيدة بفهم الحياة الشاملة للإنسان،مادية كانت أو غير مادية،ومن خلال الرجوع إلى هذا المصطلح، فإن الأنثروبولوجيا بشكل عام، تشكل جزئياتها الداخلية مختلف الحقول الإجتماعية،والتي من أهدافها الجوهرية هي: دراسة، وفهم، وتأويل، تاريخ البشرية والأمم والقبائل،سواء بالرجوع إلى ماضيهم المندثر،أو دراسة و تحليل واقعهم المعاش .إن هذا الميدان أصبح

يهتم بكل ماتعيشه المجتمعات المعاصرة في المدن وفي ضواحيها، بعدما كان قديما يهتم بالمجتمعات البدائية عن طريق الإثنولوجيا ،فهاهو اليوم يوجه بوصلته إلى جانب العلوم الإجتماعية الأخرى في دراسة مجتمعات الأنثروبولوجيين الغربيين أنفسهم،إلى جانب المجتمعات الأخرى،وهنا يوجد مسألتين قد ظهر من خلالهما التحولات التي عرفها هذا الميدان، وذلك يتمثل في أن المسألة الأولى:تتمثل في نهاية الغرائبية (نعت يطلق على الغريب البدائي وثقافته و الذي يحمل ثقافة تختلف عن ثقافة الباحث الأجنبي وكانت الدراسات الإثنولوجية موجهة له), حيث كان الباحثين الغربيين يعتقدون أن الأنثروبولوجية هي حكر على المجتمعات البدائية،والمسألة الثانية هي أن الأنثروبولوجية أصبحت تهتم بالمدينة المعاصرة داخل الفضاءات الحضرية، بعدما كان علم الإجتماع هو الذي يفرض نفسه داخلها,وذلك بالرغم من تاريخهما المشترك, و المنبثق من الفلسفة الغربية المعاصرة, إلا أن الإثنولوجيا كانت تهتم بالغريب والبدائي والذي لا يملك تاريخا وهي حكرا عليه, بينما علم الإجتماع الذي كان يسير مع الرؤية الحضرية والتحضر ومواكبة التطور والحداثة الأوربية, أي الثورة الحضرية في أوربا,و التي جاءت نتيجة الثورة الصناعية,أين كانت حدود التخصصين واضحة من وجهة نظر غربية، وهذا يعتبر تحولا جذريا في الأساس الذي بنيت من أجله هذه الحدود، وفي هذا المنحى المتعلق بمسألة الإهتمام بالمدينة وكيف تم إرتباط هذا التخصص بالمجال الحضري،فإننا نجد أن هذا التخصص أصبح له تعريف مرتبط بالمدينة من خلال دراسة كل ما تزخر به من ممارسات وظواهر وهويات وثقافات,حيث أن[1]"أنثروبولوجيا المدينة تعرف كمجموعة من الأعمال التي تبحث على أخذ وتحليل فضاءات المساكنة داخل المدينة، وكذا العلاقات الإجتماعية التي تنمو داخلها"،وتعتبر هذه الأخيرة الشطر المهم في قلب المفاهيم الكلاسيكية،حيث أصبح البعيد قريب،ولم يعد الأنثروبولوجي يسافر إلى عوالم الجنوب ،إنما المجال الحضري أصبح زاخرا بالمواضيع الأنثروبولوجية.

[1] mondher kilani,anthropologie du local au global,2 eme edition,revue et augmenteé,armond colin,2012 pour la 2 eme edition.p67.

بعد هذا الإنتقال الإبستمولوجي من أنثروبولوجيا الغريب البدائي،صاحب الثقافة المتوحشة والبربرية،نحوى تفكير نقدي جديد،الإهتمام بالخصوصيات وعدم الحكم الساذج على الآخرين،نحوى الأنثروبولوجيا المتوغلة في المدينة،في الفضاءات الحضرية وفي هوامش المدن،لم تعد هناك حواجز تمنعها من التوغل داخل المجتمعات المعاصرة، إنها عملية التغلغل لملاحظة مايجري داخل الفضاء الحضري ،من هذا المنطلق سنجد المدينة كموضوع أنثروبولوجي، وهذا ما أردنا ربط العلاقة الأولية معه:أنثروبولوجيا المدينة حيث يتساوى كلاهما،فيجد الباحث الأنثروبولوجي ما يريده داخل الفضاء الحضري.

في المدينة،يطفوا على سطحها المادي مختلف الظواهر والثقافات المتعددة،والإثنيات والمعتقدات،فمنذ كلاسيكيات علم الإجتماع،كانت المدينة تحت مجهر السوسيولوجيين، حيث على سبيل المثال: مدرسة شيكاغوا من خلال ما أنتجته من أعمال مهمة ضمن السوسيولوجية الحضرية، وكذا الأنثروبولوجيا الأمريكية مع روبيرت بارك و فرانس بواس وغيرهما،فإنه[2]"بدءا من دراسات مدرسة شيكاغوومعهد رودس ليفينق ستون،المدينة هي فضاء التحولات الثقافية وتكيف الجماعات الوافدة إليها حسب السياقات الحضرية", وكل ماهو ثقافي داخل المدينة أصبح موضوع أنثروبولوجي معاصر.إن هذا الخيط الموصل من خلال هذا الترابط أصبح يطرح نفسه من خلال ما نلاحظه في الميدان الإجتماعي، وكذا الممارسات التي يقوم بها الأفراد والتي تعبر عن معاني ودلالات وجب فهمها من خلال ما يحاول الدفاع عنه هؤلاء الممارسين لها،إن الطقوس والديانات أصبحت تشاهد بشكل مباشر داخل المدن المعاصرة، وأصبحت ظاهرة بزوغ وتشكل الهويات المرتبطة بالمعتقدات والإنتماءات إلى مرجعيات متعددة تفرض نسقها القيمي من طرف ساكني الفضاءات الحضرية،فهم يشكلون ما يسمى الجماعات الهوياتية وكل جماعة تحاول السيطرة على الفضاء الحضري ماديا ورمزياعن طريق مختلف الإستراتيجيات المستعملة لتحقيق ذلك،فبالرغم من كل ما تشهده عوالم اليوم من الحداثة المعاصرة،والتكنولوجيا والتحولات المتسارعة على عدة مستويات،إلا أن هذا لم يمنع

[2]villes,cultures et engagements la mise en culture des villes:jus qu'ou?,pauline guinard,Barbara morvich,dans journals des anthropologues,2020/4(N°162-163)p21à28.p22.

الثقافة في مختلف ميادينها:أعراف،رموز،معتقدات،طقوس دينية،هي الثابت الذي لم تستطع كل هذه التحولات أن تبعدها من الولوج إلى الفضاء الحضري، كون أن الإنسان هو الفاعل الرئيسي في عملية التشبث ونقل ثقافته معه أينما حل وإرتحل،بل هو الجوهر الذي لم ولن تستطيع المجتمعات الحضرية التخلي عنه ضمن هذا الركب،حيث إستسلم الجميع لكل هذه الثوابت التي يسعى الإنسان أن يحافظ عليها كونها كيانه،شخصيته وماضيه الذي يستطيع من خلاله معرفة حاضره، مستقبله، ووجوده بكل أشكاله،بل والهوية التي تذكره بأسلافه.

أصبحت كما قلنا سالفا مدينة اليوم مسرحا للهويات والعقائد وكذا التيارات الدينية،حيث تتعدد الأسباب والجذورالتاريخية في تشكلها،وما الجانب الديني في حقل الأنثروبولوجيا إلا ويعتبر كجزء لا يتجزأ من مواضيعها،حيث يعتبر أنثروبولوجيا الدين كتخصص قائم بحد ذاته في أدبيات الأنثروبولوجيا المعاصرة،فبعدما كان الدين في الدراسات الكلاسيكية لهذا التخصص من طريق الإثنولوجيا الكلاسيكية في دراسة المجتمعات الغريبة، هو مجرد طقوس سحرية لأولئك البدائيين الذين يتشبثون بها،إلا أن النظرة إلى الدين هي الأخرى تغيرت ضمن ما شهده هذا الحقل من تطورات ملموسة على المستوى الإبستمولوجي في معالجة الثقافات والديانات،أين كان لزاما أن الدين أو تدين الأفراد داخل فضاءات المدينة الراهنة هو الآخر سيستفيد من هذه القفزة النوعية,وذلك من أجل إثبات المعاني التي يقدمها هؤلاء الممارسين من خلال ما يتمسكون به من طريقة تدين يحتفظون بها، والتي يتوارثونها عن أسلافهم السابقين كما في المجتمعات البدائية،ومن الديانات التي أصبحت تحت مجهر البحوث الأنثروبولوجية المعاصرة هو الدين ألإسلامي،ونجد أنه[3]" حتى الآن،قامت الأنثروبولوجية الدينية للإسلام بدراسة كيفية تصرف الناس إتجاه الدين،من أجل تقييم مرونته الإجتماعية وتفصيل خصائصه"،وذلك لفهم الروابط التي يتمسك بها هؤلاء المسلمين في علاقتهم مع الدين من جهة، ومن جهة أخرى كيف يحاول هؤلاء الفاعلين ممارسة هذا الدين إجتماعيا، وذلك من خلال علاقتهم

[3]jean-noel ferrié,la religion de la vie quotidienne chez des marocains musulmans,rites,regles et routine,edition karthala,2004.p93.

مع المجتمع الحضري داخل المدينة، والدفاع عن تصوراتهم الدينية،وهذا كله أصبح تحت ملاحظة الباحث في الأنثروبولوجيا،فإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على توغل الباحث الأنثروبولوجي في المسألة الدينية بنظرة جديدة،و هو شيء أصبح من المسلمات عند الكثير من الباحثين،وكذلك نجد من جهة أخرى أن الحركات الدينية التي أصبحت تطفوا على سطح المجالات الحضرية وهوامش المدن، من خلال تلك الممارسات الدينية والصراعات حول تملك المجال المقدس مثل المسجد، و نشر أفكارها داخل المجتمع الحضري،هذا كذلك يعتبر أهم سبب جلب نظر الباحثين في المجال الحضري،فحتى السوسيولوجية الدينية لم تستطع تجاوز هذا الوضع الواقعي، حيث وجدت نفسها مرغمة على الإهتمام بهذا الموضوع من خلال فتح تخصص في هذا المجال، فهل نحن مجبرين في هذا الصدد أن لا نقر بأن هذه الممارسات الدينية أثرت بشكل واضح في أنظار و إهتمامات الباحثين حتى يوجهوا بوصلتهم البحثية نحوها.

فبعد التطرق إلى الأنثروبولوجية،المدينة،والدين،هذا ماسيحيلنا في هذا المسعى بعد الربط المنهجي بين هذه المفاهيم الأساسية نحوى التطرق إلى موضوع دراستنا، والتي وجهنا خيوطها الجوهرية نحوى المدينة الجزائرية المعاصرة، حيث عرف المجتمع الجزائري بل والمغاربي بشكل عام تاريخيا دراسات إثنولوجية معقدة ومتعددة المواضيع خلال المرحلة الكولونيالية والتي سميت بالإثنولوجيا الإستعمارية, أين تطرقت للهوية الدينية بنظرة كولونيالية، حيث سنتطرق للبعض منها في الفصول القادمة من هذا العمل, فيما يخص حالة الجزائر والمغرب, وكيف أن المسألة الدينية من خلال الإسلام كانت محل إهتمام كبير من طرف الإثنولوجيا الفرنسية.ستكون مدينة وهران هي الفضاء المقصود في هذا العمل, وذلك من خلال إختيارنا لأحد الأحياء الهامشية بها،وهو حي كوشة الجير،إن المسعى الذي نريد الإستشكال عنه وإستنطاق فاعليه داخل هذا الحي هو موضوع أنثروبولوجي حضري كما أسلفنا سابقا، وهو متعلق بالجانب الديني لشريحة من المجتمع, تحاول إبراز تدينها داخل هوامش المدينة وفي مراكزها الحضرية, فماذا نريد من هذا المسعى.؟

تلعب الحركات الدينية في الإسلام دورا مهما في طرح عدة إشكالات،حيث أصبحت في العقود الأخيرة التيارات الدينية الإسلامية محل نقاش كبير،سواء على المستوى السياسي أولا:وذلك من خلال مثلا الصراع السياسي الديني بين الشيعة في إيران والسنة في السعودية، وهو ما تغلغل داخل المصالح السياسية لكلا البلدين، وأصبح الدين من خلال تبني نوعية تدين متوارث عبر الأسلاف السابقين والمؤسسين له كطرف مهم جدا في صناعة مستقبل هذه الدول على المستوى السياسي،وحتى الصراع الموجود بين حركة حماس في فلسطين وإسرائيل محل إختلاف في المواقف إتجاهه، والتي تتبنى تدينا مختلفا عن هذين الأخيرين،فهذا كذلك يلعب دورا مهما في إختلاف المواقف إتجاه القضية الفلسطينية من طرف الحركات الدينية المخالفة لفكر الإخوان المسلمين، وهنا يندرج الدين كطرف مهم في المصلحة السياسية لهذه البلدان،وأما على المستوى الأكاديمي الجامعي, فتشهد الجامعة الجزائرية في العقود الأخيرة الإهتمام بالمسألة الدينية من خلال بروز باحثين في العلوم الاجتماعية أصبحوا يحبذون التساؤل عن الدين في الفضاء الحضري، وهي إهتمامات نجدها في تزايد مستمر خلال العقود الأخيرة،فمنذ العشرية التي سميت بالسوداء في الجزائر وإنعدام الأمن,والتي عرفت فيها الجزائر الحركات الإسلامية التى إنفجرت داخل المجال الحضري مستعرضة قوتها وعقيدتها الدينية مثل الجبهة الإسلامية للإنقاذ،أصبح علماء الإجتماع مابعد هذه المرحلة في تساؤلات جديدة حول ما لم يتم فهمه مما يحدث في الفضاء الحضري،وإذا عدنا إلى التاريخ فإن أول حركة دينية بالمفاهيم المعاصرة في المجتمع الجزائري، كان ظهورها خلال المرحلة الكولونيالية في الجزائرمع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،بقيادة الشيخ عبد الحميد إبن باديس،حيث برزت كطرف جاء لمجابهة الوضع الديني والإجتماعي في تلك المرحلة، والذي إعتبرته الجمعية بمثابة طمس للهوية الإسلامية بشكل واضح، من خلال المشاريع الثقافية الفرنسية في الجزائر وتمثل ذلك في ترسانة من المراسيم والقوانين البلدية،و التي صدرت من الحاكم العام في فرنسا وتم تطبيقها إجرائيا على المجتمع الجزائري،وسميت الجمعية في نفس الوقت بالسلفية الإصلاحية والتي جاءت بمشروع يتماشى مع نهج السابقين في هذا التيار التاريخي،أين إتخذ المتأخرون من السلفية رداءا لهم,معبرين بذلك عن تميزهم عن

التيارات الدينية الأخرى[4],وذلك بالتمسك بتعاليم السلفية الأولى في الإسلام أي بمعنى: ستكون كتاباتهم و أقوالهم وممارساتهم للدين الإسلامي هي الشعار الذي سيتم تبنيه من طرف هؤلاء المتأخرين،فهم بهذا المعنى يحاولون التميز عن المذاهب الدينية المخالفة لهم،فكان هدف الجمعية من خلال علمائها المؤسسين السير في نفس الصدد الذي مضى عليه الوهابيين في بلاد الحجاز في القرن 18 ميلادي،حيث من جهة هو مواجهة سياسة الإستعمار في محاربة الإسلام والهوية العربية، ومن جهة أخرى تزعم الجمعية أن بعض الطوائف الصوفية كانت بمثابة الداعم الرئيسي في محاربة الدين الإسلامي عن طريق البدع والخرافات،فهي سلفية ظهرت في المجتمع الجزائري منذ عقود من التاريخ، على حساب التدين الصوفي التقليدي، والذي يعتبر التدين الأصيل والتاريخي للمجتمع المحلي،حيث لم تقف المسألة عند هذا الحد من الظهور، بل تطورت مع مرور الوقت إلى وضع آخر،حيث صار الصراع الفكري العقائدي داخل المجال الحضري خاصة في المجال الحضري المحلي، أمرا معاشا بين فئات المجتمع المدروس كما تم ملاحظة ذلك في ميدان الدراسة، من خلال تلك اليوميات التي يتم فيها الإحتكاك بين الطرفين،فمن سلفية تقليدية تتشبث بالنصوص إلى سلفية علمية, ولو أنها مازالت تتشبث بإرثها التقليدي، إلا في بعض الإجتهادات البسيطة التي لم تغير من منطقها التقليدي أي شيء واضح، خاصة على مستوى الأصول والعقيدة،وكذا سلفية إخوانية تدعوا إلى التغيير من الجانبين السياسي و الإجتماعي مثلما ظهر مع الشيخ حسن البنا، وسلفية نهضوية بقيادة الشيخ جمال الدين الأفغاني قبل ذلك ،كل هذا سيكون له تأثير فيما بعد على المجتمعات التي تبنت هذه التيارات ومنها المجتمع الجزائري كما أسلفنا سابقا، حيث عرفت هذه التيارات الإصلاحية مع القرن العشرين سواء على المستوى القاعدي الإجتماعي من خلال الممارسات داخل الفضاءات المقدسة كالمسجد، وكذا على المستوى السياسي في محاولة بناء دولة إسلامية على النهج الإخواني في نهاية القرن الماضي وجودها في الجزائر على سبيل المثال.إن هذه الحركات السلفية عن طريق معتنقيها أصبحوا يتشبثون بها معتبرينها هويتهم التي لن

4-أبي عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري،أصول الدعوة السلفية عند العلامة إبن باديس 1359 هجري رحمه الله تعالى،الطبعة الأولى،2006.ص27.

يتخلوا عنها مهما كانت هناك تحديات تواجههم في ممارساتهم الإجتماعية للدين،سواء عن طريق الإختلاط مع الفئات الإجتماعية الأخرى من جهة،وكذا ممارستهم لحياتهم العادية البعيدة عن الدين من جهة أخرى، إلا أنهم سيظلون تحت بوصلة هويتهم التي توجههم في جميع ممارساتهم اليومية، وهذا ما إقتبسناه من خلال الإستطلاع الميداني لحي كوشة الجير في بداية جمع المعلومات الميدانية حول فئة السلفية،إن من المميزات التي تميز بها عملنا هذا هو فئة الشباب الذي كان الشريحة الإجتماعية المستهدفة في هذه المقاربة الأنثروبولوجية،وذلك أن الشباب أصبح المستهدف رقم واحد إتجاه الحركات السلفية، حيث أصبحت ظاهرة الولوج من طرف هذه الفئة إلى عوالم التيار السلفي في المجتمع المدروس, تشكل نقطة مهمة قمنا بملاحظتها في الميدان منذ مدة،وهذا يعتبر من الأسباب الجوهرية في إختيارنا لهذه الفئة رغم وجود الكهول وحتى الشيوخ في هذا التيار، إلا أنهم يمثلون نسبة قليلة في الحي مقارنة بالشباب السلفي.

قبل طرح الإشكال الذي نحن بصدد التوغل في أعماقه والوصول إلى المعنى الذي يقدمه هؤلاء الشباب السلفي من خلال ممارساتهم اليومية داخل الهوامش الحضرية لمدينة وهران،فنحن ملزمين بتوضيح مفاهيم أخرى تعتبر مكملة لما سبقها من مفاهيم،و التي تعتبر مهمة في دراستنا الآنية،حيث تعتبر هذه الأخيرة بمثابة الخيط الموصل الذي من خلاله سنفتح عدة مؤشرات وألغاز لفهم المضامين التي سوف يتشكل من خلالها عملنا الميداني،وكذا توضيح أكثر دقة في أن هذا العمل إنما هو من الزاوية الأنثروبولوجية الحضرية,أين تم إختيار السلفية من أجل مقاربة أنثربولوجية لمعتنقيها في الهامش الحضري,والتي تعتبر كجزء من الفضاء الحضري الوهراني,من ضمن هويات حضرية أخرى تعايشها.

يعتبر الدين حسب الدراسة التي قام بها الأستاذ لقجع عبد القادر حول هوامش مدينة وهران حي بلونتور-رأس العين*, بمثابة الأمر المهم في تنظيم حيات قاطني هذه الأحياء،

* Abdelkader lakjaa,la religion dans l’espace domestique-residentiel :les planteurs-ras el ain ,urasc &larviq ,1991,université d 'oran.

وتشبثهم بممارساتهم الدينية يظهر جليا في المسكن وكيفية بنائه من خلال مختلف الرموز التي تدل على معتقداتهم الدينية،والحي الذي نحن بصدد الإهتمام به هو في حقيقته الجغرافية لا نستطيع فصله عنهما، بل هو يمثل إستمرارية جغرافية وروابط ثقافية بين سكان هذه الأحياء منذ زمن قديم، قد يعود لفترة الإحتلال الفرنسي على أقل تقدير،داخل هذا الحي المعني بالدراسة نجد حركتين دينيتين تبرزان بشكل لافت للإنتباه,وذلك على المستوى الإجتماعي الديني داخله، ولها ممارساتها الدينية التي تتشبث بها: ثقافيا, ماديا وروحيا،فمنها التيار الصوفي الذي يشكل القوة الغالبة، في مقابل التيار السلفي الذي يعتبر تاريخيا بمثابة الدخيل على حساب التيار الشعبي الطرقي,وذلك من منظور الصوفيين الذين يرفضون هذا الأخيرداخل الحي،هي هوية سلفية يعتنقها أولئك الشباب السلفي وجب علينا في هذا المنحى التعرف على مضامين هذه الأخيرة،فإذا كانت الهوية حسب جينكز شطر متمم للحياة ككل,أين تتمظر من خلال التمييز بين الهويات المتعددة عند مختلف الفئات الإجتماعية والجماعات البشرية[5],وذلك من أجل إضفاء صبغة الإختلاف بينهم، حيث يتم ملاحظة ذلك الإختلاف من خلال شكل هذه الهوية، ومن خلال المحتوى الفكري الثقافي الذي يمثل خصوصيات كل منها،فهنا وجدنا ضمن هذا النسق و من خلال الولوج إلى الميدان عبر الإستطلاع الميداني في دراستنا حول الشباب السلفي، أن هؤلاء السلفيين هم يدافعون عن شيء معين، وهو ما يتمثل فيما أسميناه بالهوية السلفية،فهم يشكلون هوية خاصة بهم تميزهم عن باقي الفئات الدينية داخل المجتمع المحلي،خاصة الصوفيين،إن هؤلاء الشباب يمرون في مرحلة زمنية عمرية مهمة جدا في إختيارهم لحياتهم العقائدية، وتشكيل مسارهم الذي سوف يؤسس شخصيتهم في المستقبل، وهنا أمر مهم جدا في هذا الصدد، حيث جلب الشباب نحوى هذا التيار يعتبر غنيمة دينية تم إكتسابها من طرف الشيوخ السلفيين من خلال إعتمادهم على الوسائل التقنية الحديثة في نشر المعارف، بعدما تجاوزوا الوسائل التقليدية التي لم تعد تواكب ما شهده عالم اليوم من تحولات على مستوى جميع المجالات،وذلك من خلال الإعتماد على منهج الدعوة السلفية عبر عدة فضاءات

5-هارلمبس وهولبورن،سوسيولوجيا الثقافة والهوية،ترجمة:حاتم حميد محسن،دار كيوان،طبعة أولى.ص93.

تحت غطاء إصلاح المجتمعات، والعودة إلى المسار السليم للتدين السني الأصيل حسب تمثلاتهم للإسلام،وبالعودة إلى مفهوم الشباب من أجل فهمه جيدا على المستوى الإصطلاحي،فإن [6]"الشباب هي مرحلة التشكل وأخذ المسؤولية من أجل الإستقلالية المادية وبناء الهوية الذاتية والمستقلة"،وبما أن السلفية في بلاد الحجاز تنتشر فيها فكرة التربية والتصفية للمجتمع بعيدا عن التوغل في عوالم السياسة عبر علمائها المعاصرين،فسيكون الشاب بمثابة الهدف الأول في هذا المشروع،فهي الفئة التي رأينا من خلال المعطيات الميدانية أنها تعتبر كبيئة صالحة لزرع أفكار هذا التيار الديني، وهو ما إستقيناه عن طريق المقابلات الميدانية داخل حي كوشة الجير،وهنا نجد ملتقى الأفكار بين كلا الطرفين، فهناك شيوخ سلفيين قد إستوعبوا جيدا نفسية الشباب من خلال محاولة إثبات ذاته والبحث عن إجابات من أجل تشكيل هويته متجاوزا التقاليد والأعراف التي ورثها عن آبائه،في مقابل ذلك الشاب الذي لم يعد يقتنع بالممارسات الدينية التقليدية التي ورثها عن أسلافه،وذلك ما تردد على لسان هؤلاء الشباب الذين يبحثون عن التدين الصحيح، ولم يعودوا يقتنعون بطريقة التدين الموروثة عن أجدادهم في الدوار الذي ينحدرون منه من خلال أصولهم الجغرافية، وهنا وجدنا تلك العلاقة الترابطية التي مهدت الطريق لكلا الطرفين من أجل تشكيل ما يسمى التيار السلفي، وهذا ما لاحظناه في الميدان عن طريق التظاهرات الدينية وكذا التوعية داخل الحي،إن المواجهة التي إتضحت صورتها بشكل كبير بين السلفيين وغيرهم باتت ظاهرة للملاحظة، خاصة إذا ما رجعنا إلى التاريخ المؤسس لهذه الحركات الدينية، فسيكون هذا بمثابة المنطق الواضح والذي تسير عليه هذه الأخيرة تاريخيا ،فتذكيرنا بتاريخ ظهور الحركة السلفية في هذا العمل هومن الأمور المطلوبة، وذلك من أجل تتبع مسار هذا التدين عبر التاريخ،فحركة النهضة مع جمال الدين الأفغاني، والحركة الوهابية في بلاد نجد مع الشيخ محمد إبن عبد الوهاب، وكذا حركة الإخوان المسلمين مع الشيخ حسن البنا والسيد قطب، كل هذا سيتم تداركه في الفصل القادم، وذلك من أجل رسم التسلسل التاريخي للتيار السلفي في التاريخ، إلى غاية

[6]-Qu’est-ce que la jeunesse ?Bernard Roudet,dans après-Demain,2012/4(N°24,NF)p3à4,Edition Fondation Sligman.p3

الوصول إلى واقع السلفية في الهوامش الحضرية بمدينة وهران داخل حي كوشة الجير الهامشي.

إنها المواجهة الهوياتية داخل الفضاءات الحضرية ولن تقتصر تساؤلاتنا حول إثبات الهوية السلفية عند هؤلاء الشباب من خلال الممارسات الدينية داخل الحي، بل كذلك محاولة مقاربة العلاقة التي تربط هؤلاء المتدينين بالمدينة وكيف يواجهون الظاهرة الحضرية بشكل عام،وهنا نحن ملزمين بوضع تعريف بسيط لمفهوم التحضر الذي يعتبر مهما في هذا العمل حيث أن[7]"التحضر هو ظاهرة مهمة حيث سيصبح أولئك الذين يعيشون حضريتهم داخل المدينة كمرجع ونموذج لسكان الريف"، ما يجعلهم يتميزون عن بعضهم البعض من خلال إختلاف طريقة العيش في الفضائين المختلفين، وكذا الوسائل التي توجد في المدينة وتنعدم في الريف ،فإذا كانت الظاهرة الحضرية هي إمتداد للظاهرة الصناعية التي شهد تها مجتمعات العوالم الغربية الأوربية،وكان لها تأثير كبير على المجتمعات التي تقع في الجنوب، خاصة مع الإستعمار الذي شهدته هذه المجتمعات، ما جعل ظاهرة التحضر والحداثة تمتد إلى داخل هذه المستعمرات على سبيل المثال: المجتمعات المغاربية ومنها الجزائر،فهنا ستكون مساؤلة هؤلاء السلفيين من خلال هويتهم,و كيف يتعاملون مع الواقع الحضري المعاش داخل المدينة الوهرانية،إنطلاقا من الحي الذي ينطلقون منه نحوى مركز المدينة حاملين لشعارهم وهويتهم السلفية،ما يجعل الإصطدام مع الهويات الأخرى أمرا لا مناص منه،فإن الصراع داخل الحي مع الصوفيين من جهة ومحاولة تقويم الحياة الحضرية على حسب ما تمليه عليهم الفتاوى التي تصدر عن علمائهم في كيفية الإنتفاع بما تحتويه الحياة الحضرية من جهة أخرى،و إنطلاقا من الخطاب الذي أصدره أحد الشباب السلفي الذين قمنا معهم بالمقابلات وهو (المبحوث رقم04) حيث قال جوابا على سؤالنا "المدينة فيها أمور مقبولة ولا تتنافى مع الدين الإسلامي بل تعتبر مساعدة لنا على العيش بشكل عادي مع حياتنا الدينية،بينما هناك أمور غير مقبولة تتنافى مع العقيدة السلفية وهنا وجب علينا تجاوزها بشكل مباشر" ،فكل هذا

[7]Enjeux economiques,Sociaux et Environnementaux de l'urbanisation du monde,jacques véron,dans monde en développement ,2008/2(N°142)p39à52.p48

يشكل جزء مهم ضمن هذه الدراسة,حيث إن هذا الخطاب الذي صدر عن هذا المبحوث ليعتبر جوهر هذا العمل,أين ساعدنا بشكل كبير على طرح السؤال الذي نحن بصدد محاولة البحث عن إجابة له،فإذا كانت المدارس الأنثروبولوجية بنظرياتها التقليدية ترى أن هناك تطور أحادي المسار للمجتمعات وهو الخط الذي رسمته النظرية التطورية,وأن كل شيء يبث من المركزية الأوربية ,حيث لا يوجد طريقا غير الطريق الأوربي لتحضر المجتمعات،فإن هذا المنحى النظري سيكون في خطاب هؤلاء الشباب السلفي بمثابة الإنتقاد الذي سنحاول إستخراجه من خلال المقابلات الميدانية، والذي سيوجه لهذه المدارس التي كانت النرجسية وحب الذات في أفكارها بمثابة السمة التي تتشبث بها،ما جعلها تطلق العنان في حكمها على الآخرين بشكل لا يعكس الصبغة العلمية كما جاء على لسان الكثير ممن إنتقد أفكار هذه الأخيرة من داخل المجتمعات الأوربية نفسها،وهنا سنستجوب واقع الشباب السلفي في مفهوم التحضر,وأن هؤلاء المتدينين لا يمكنهم حسب تدينهم السلفي أن يمتثلوا لإيديولوجيات وثقافات قد تبعدهم عن معتقداتهم التي يتشبثون بها،لكنهم لن يعتزلوا الحياة الحضرية بشكل كلي.من خلال المعطيات النظرية والميدانية توصلنا في الأخير إلى محاولة طرح التساؤل الذي سيكون بمثابة الفكرة التي ستمثل العمل المطلوب منا في هذه الدراسة،حيث نتساؤل في هذا الصدد: هل الهوية السلفية عند شباب كوشة الجير بوهران من خلال تمظهراتها داخل الفضاء الحضري, تعبر عن شيء ما،هو خاص بهؤلاء المتدينين؟،.فإذا ما رجعنا لتاريخ الفكر السلفي وجدنا أن هؤلاء السلفيين كانوا دائما ما يثورون ضد مجتمعاتهم عند إحساسهم بالخطر إتجاه الهوية الدينية التي يتمسكون بها،أين يباشرون في محاولة رسم الخريطة الدينية التي تسهل عليهم عملية التعايش داخل المجتمع بطريقة لا تؤثر على مرجعيتهم الدينية ..إن هذه الهوية ليست في الأخير سوى وليدة الحركات السلفية التي ظهرت في التاريخ من أجل تغيير ما ما طرأ على الوضع الديني في المجتمعات الإسلامية, من تغييرات على مستوى التدين،حيث ستكون تداعيات هذه الأخيرة مؤثرة بشكل معين على باقي المجتمعات الإسلامية التي تغلغلت داخلها، ومنها بلد المجتمع المدروس(الجزائر).

3-الفرضيات:

يحاول الشاب السلفي بحي كوشة الجير بناء هويته الدينية التي تم إكتسابها من طرفه عن طريق التلقي والمساؤلة، وكذا التوعية التي سهلت له عميلة التمسلف عن طريق الشيوخ السلفيين، سواء في الحي أو عبر وسائل التكنولوجيا المعاصرة من خلال قنوات التوعية الدينية ونشر المذهب السلفي،و تتجلى عملية هذا البناء من خلال تلك المؤشرات التي تدل على ذلك، ومنها الصراع مع الصوفيين داخل الحي المسكون كدلالة على السير في هذا النهج،إن السلفيين في ميدان الدراسة كونهم شبابا في سن يعتبر مهما جدا في تكوين شخصية الفرد، فهذا ما جعلهم يسقطون في شباك التيار السلفي الذي إستطاع أن يجذبهم نحوه من خلال إستراتيجيات التوعية المتعددة الأشكال التي يكتسبها الشيوخ.. من خلال المعاينة الميدانية لهؤلاء الشباب داخل الحي، وفي علاقتهم مع المدينة بشكل عام، تمظهر لنا أنهم يدافعون عن هوية في الأفق، بالرغم من الصعوبات التي يعترفون بها دينيا عندما يتلفظون بجمل يكون في مفهومها أنه من الصعب أن يحافظ المسلم في عصرنا هذا على إستقامته في النهج السني والمحافظة على طريق السلف الصالح،حيث هذا الخطاب يعني به هؤلاء أنهم يقاومون الفئات الإجتماعية التي تعيش معهم في نفس الفضاء المعاش، لكنه تراءى لنا أنهم يحاولون من جهة عدم التأثر بثقافات وأفكار الآخرين وهنا يسمونه بالإلتزام والإستقامة عندهم،ومن جهة أخرى هذه المقاومة هي في الأخير محاولة إستراتيجية منهم في جلب هؤلاء المخالفين لهم حسب زعمهم، وذلك من أجل ضمهم إلى التيار السلفي، لتقوية حركتهم الدينية في الفضاء الحضري، مستعملين الأخلاق ولين التعامل مع الغير من أجل ذلك.إن الهوية السلفية التي يتمسك بها هؤلاء الفاعلين اللارسميين، تحاول أن تفرض نسقها القيمي في الفضاء الحضري, وهوامش المدينة الوهرانية, من خلال عمل هؤلاء الشباب السلفي في السوق، و العلاقة اليومية مع المدينة، وكذا الحفاظ على الهندام السلفي، ثم مواجهة الحياة الحضرية الواقعية من طرف هؤلاء الشباب السلفي عن طريق القبول بالعيش داخل المدينة والإستفادة من الحياة الحضرية،وكذا العمل على التغيير عن طريق التوعية،و توجيه الإنتقاد اللاذع للكثير من مظاهر الحياة الحضرية بشكل يومي, وفي جميع أزقة الحي والمدينة..لقد وجدنا أنه من خلال العمل مع هذه الشريحة الشبانية المتمسلفة، أن تفكيرهم هذا لا يعبر عن

تناقض في التواجد والعيش في الوسط الحضري، إنما هم يعملون على محاولة تجاوز كل الممارسات والأفكار التي تتنافى مع عقيدتهم الدينية،و ما يسمى غربلة الأفكار والممارسات،بينما يستفيدون من الحياة في المدينة ويجدون في ذلك أمرا غير مؤثر على عقيدتهم في الجوانب التي يستفيدون منها في الفضاء الحضري، وهنا يظهر في الأخير أن هؤلاء الشباب هم يدافعون عن هوية دينية داخل المدينة، بل وتحضرهم دائما يخضع توجيهه من طرف المرجعية الدينية،يمكننا أن نفترض بأنه تحضر خاص بمجتمع البحث,هو محلي, يختلف عن أصالة ذلك المصطلح السوسيولوجي(التحضر) في جذوره ومضمونه بشكل ملموس في جوانب متعددة,كونه تشكل شكلا ومضمونا في بيئته الغربية(الثقافة الأوربية),والتي تختلف عن بيئة الشباب السلفي المدروس,الذي يحاول رسم هويته الخاصة الممزوجة بين التدين و الحياة الحضرية الراهنة,أين تكون فتاوى شيوخ السلفية هي التي توجههم في كيفية التعايش مع الواقع الحضري دينيا و إجتماعيا، دون المساس بعقيدة التوحيد التي تمثل أساس مذهبهم،ولا القيام بممارسات قد تكسبهم أوزارا وتخصم منهم حسنات.إن هذه الفرضية كان بناؤها إنطلاقا من الملاحظات الميدانية والمعاينة التي جاءت قبل البدء في هذا العمل وكذا القراءات السابقة؛زيادة على ذلك بناءا على ضوء التجربة التي قمنا بها مع الأستاذ عبد القادر لقجع سنة 2014,وذلك من خلال القيام بمقابلات ميدانية حول السلفية والتطرفات الدينية في الهوامش الحضرية بوهران.

4-وصف ميدان المقاربة الأنثروبولوجية :

هو حي كوشة الجير الهامشي بمدينة وهران،على تلال جبل الهيدور يقع، حيث يعتبر من أقدم الأحياء اللارسمية في المدينة كونه هو إمتداد جغرافي لمنطقة بلونتور-رأس العين ،وهذا ما تدل عليه تلك الشواهد التاريخية من خلال السكنات القديمة المبنية بالحجارة، والتي كان يسكنها المغاربة قديما إلى جانب الجزائريين زمن المرحلة الكولونيالية, وهو ما توصلنا إليه من خلال التحري الميداني مع العوائل ذات الأقدمية من حيث السكن في الحي ،يحده من مختلف الجهات أحياء منها: حي الطورو،رأس العين،بلونتور، وكذا جبل مرجاجوا كونه يقع عليه هذا الأخير، به أعراش تتعدد أصولها الجغرافية القادمة منها، حيث نجد كل من ولاية غليزان،معسكر،تيارت،لها ما يمثلها من

عوائل داخل هذا الحي، أين نجد عقلية القبيلة والإرتباط بميراث الأجداد في الأرياف مازال متجذرا في الكثير من الممارسات التي تصدر يوميا من طرف قاطني هذا الحي،في هذا الحي الموصوف كانت تجربتنا في هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها وضع مقاربة أنثروبولوجية للسلفيين الذين أصبحوا يظهرون داخله في العقود الأخيرة بشكل ألفت إنتباهنا,في أزقته وفي هوامشه.

5-عينة البحث:

كوننا في تخصص الأنثروبولوجية فنحن ملزمين بإجراء بحثنا الميداني مع المجتمع مثل باقي العلوم الإجتماعية الأخرى،وهذاهوجوهر الأنثروبولوجية، فهي تحمل موضوعها من خلال تعريفها،حيث أن الأنثروبولوجية هي تتشكل من جزئين وهما دراسة الإنسان،وهنا توغلنا في الميدان المدروس من أجل إختيار العينة التي سنبني عليها هذه المقاربة، حيث تم إختيار مجموعة من الأفراد التي رأينا منهجيا أنهم يتوفرون على الشروط التي تتوافق مع ما نصبوا إليه في هذا العمل، لقد تم إختيار العينة التي سوف تمثل هذا العمل وفقا لما جاء في عنوان هذه الدراسة،من خلال ذكرنا لمفهوم الشباب، وهو ما ألزمنا بإختيار فئة الشباب في الميدان المدروس إلتزاما بالعنوان،وذلك بالرغم من وجود بعض الشيوخ الكبار،فعينة البحث تمثلث في 20 شاب سلفي،تتراوح أعمارهم ما بين سن{20سنة-40سنة}،مستوياتهم الدراسية مابين الإبتدائي، الأساسي،الثانوي وحتى الجامعي،أما فيما يخص العمل، فهؤلاء الشباب يغلب على وظائفهم التجارة الحرة عن طريق العمل في سوق المدينة الجديدة، وهذا بسبب أنهم دائما ما يميلون للعمل الحر من أجل التوافق الزمني مع مواقيت الصلاة مثلما جاء على لسان أحد الشباب السلفي،و الذي يعمل في السوق، حيث قال لنا جوابا على العمل بشكل حرأحسن من التقيد بوقت معين فقال"العمل في السوق يسهل علينا تأدية الصلاة في وقتها وذلك عن طريق التوقف عن العمل والتوجه إلى المسجد لصلاة الظهر"،أما من الناحية الأسرية في مسألة الزواج ،أغلبية العينة متزوجون،وهذا ما يتوافق مع السلفيين في إمتثالهم للمنهج السلفي السني الذي يحبب الشباب على الزواج لتجنب الفتن،ومن أجل تفادي السقوط في المحرمات، كما جاء على لسان هؤلاء الشباب أثناء المقابلات التي أجريناها معهم،كون أن مواضيع

الزواج تعتبر من المواضيع المركزية في خطابهم اليومي.وفيما يخص الأصول الجغرافية التي ينحدرون منها، فمجتمع البحث الذي تم إختياره في هذا العمل كل أفراده ينحدرون من ولاية غليزان، أين جذورهم التاريخية تنحدر من الدوار,حيث نجد التدين التقليدي الطرقي الذي يغلب على هذا الأخير،ولكن بالرغم من ذلك سنشاهد في هذا العمل الإنقلاب على تدين أجدادهم الصوفيين،وذلك من خلال تبنيهم لهوية دينية جديدة تختلف عن تدين أجدادهم.

6-وصف منهجية الدراسة:

إن الدراسات الأنثروبولوجية الكلاسيكية كان منهجها هو دراسة الشعوب البدائية من خلال العودة إلى ماضيها، ووصف ثقافتها التي كانت تعتبر أنها في إندثار وتلاشي،وتمثل ذلك فيما كان يقوم به الإثنولوجيين آنذاك عبر الرحلات الإستكشافية، والبعثات العلمية الأكاديمية،حيث يصطلح على عملهم الوصفي بالعمل الإثنوغرافي،الذي كان ملازما للعمل الإثنولوجي ،فالأول كان يقوم بجلب المعلومات من الميدان،بينما الثاني كان يعمل على تحليلها من أجل تصنيف الإثنيات والشعوب.

إن هذا التقديم فيما يخص المنهج الأنثروبولوجي و الذي يتمثل خاصة في وصف الشعوب هو ما سنعتمد عليه في هذا العمل، حيث سيكون في عملنا الميداني هذا، هو عملية وصف السلفيين في حي كوشة الجير سواء من ناحية الشكل الذي يتمثل في اللباس،أو من ناحية الممارسات والخطاب الذي يصدر عنهم داخل الحي،وحتى في علاقتهم مع الصوفيين و الصراع حول المسجد، بغية تملكه وكذا في علاقتهم مع المدينة،إن كل هذا سيكون له تواجد في هذا العمل،وإلى جانب الوصف كذلك ستكون تقنية المقابلة النصف موجهة والملاحظة المباشرة من الوسائل التي لا نستطيع الإستغناء عنها في هذا العمل، كونها تمثل نقطة مهمة جدا في التسلسل النسقي لهذه الدراسة،فإجراء المقابلات مع هؤلاء السلفيين هو بغية فهم المعاني التي يقدمها هؤلاء السلفيين من خلال ممارساتهم، إنطلاقا من شكل ومضمون هويتهم داخل الحي,لقد تطلب منا عملنا هذا

منهجيا أن يصل بنا الأمر إلى ملاحقة تحركات السلفيين داخل الحي وخارجه عن طريق الملاحظة المباشرة بعد المقابلات.

يعتبر المنهج التاريخي من خلال العودة إلى التاريخ لفهم المواضيع التي تدرس في واقعها الحاضرمن أهم المناهج التي يستطيع الباحث أن يفهم السيرورة التاريخية التي مرت عليها الظاهرة المدروسة.إن موضوع السلفية يعتبر من المواضيع التي لا يجب حسب إعتقادنا أن يتفادى الباحث المنهج التاريخي في معالجتها، والدليل في ذلك هو أن هذه الحركات السلفية ليست وليدة واقع راهن،إنما لها تاريخها الذي بدأت تتشكل من خلاله، ومن أجل فهمنا للتيار السلفي في حي كوشة بوهران، قمنا بالعودة إلى التاريخ من أجل تتبع مسألة الهوية السلفية التي دائما ما كانت تتمثل عند هؤلاء الممارسين في مسألتها الجوهرية تحت مسمى صفاء عقيدة التوحيد عندهم والإمتثال لمنهج السلف الصالح شكلا ومضمونا.

لقد قادنا هذا الإختيار المنهجي في هذا العمل إلى عمليتين مهمتين في هذه الدراسة،وذلك من أجل الإمتثال المنهجي في هذا العمل. فالأولى: كانت كما قلنا سابقا المرور على التاريخ من أجل فحص ومناقشة هذه الحركات السلفية وكذا سبر لآراء هؤلاء السلفيين حول تاريخ هذه الحركات الإصلاحية وكيف يعلقون عليها وماهو رأيهم حولها،أما العمل الميداني ثانيا: فتطلب منا محاولة التقرب من العناصر السلفية في الحي, وهنا سنصف كيفية التقرب من المبحوثين،حيث كنت دائما ما أغتنم فرصة الخروج من المسجد أو البقاء بعد نهاية الصلاة داخله،وذلك من أجل التقرب من الشباب السلفي، كون أن السلفيين من عادتهم البقاء لوقت معين بعد نهاية الصلاة داخل المسجد ,وذلك من أجل قراءة القرءان.كذلك لم نكتفي بالفضاء المسجدي حيث قمنا بالتوجه إلى السوق بشكل مكثف، وذلك من أجل الجلوس معهم أثناء العمل، وفتح نقاش معهم حول مسائل متعددة وتوجيههم نحوى ما كنا نتساؤل عنه في هذا العمل.لقد كانت المقابلات مع هؤلاء السلفيين في بعض الأحيان تدوم إلى أكثر من ساعة وهذا ما إستفدنا منه في الفصل الأخير عندما

إستعملنا هذه المعطيات في وضع مقاربة ميدانية لهؤلاء الشباب السلفيين في حي كوشة الجير ميدان الدراسة.

7-أهمية الموضوع:

على المستوى السياسي،إن ظاهرة الإسلام السياسي تشهد في العقود الأخيرة جدلا كبيرا بين مختلف الدول،والتي أصبحت تحذر شعوبها من هذه الحركات الإسلامية تحت مسمى اللإسلاموفوبيا،خاصة في الدول الغربية،حيث يكون اللإعلام السياسي هو الموجه الرئيسي للأفكار التي يروجها نحوى شعوبه فيما يخص هذه الحركات الدينية،إلى جانب ذلك يشهد العالم العربي الإسلامي في الشرق الأوسط في العقود الأخيرة صراعات دينية، من خلال مختلف الطوائف التي تنشط تحت مسميات مختلفة، فمنها الشيعة ومنها السنة ومنها الإخوان المسلمين،تجدر بنا الإشارة هنا إلى أن هذه الحركات الدينية لم تبقى نشاطاتها فقط على المستوى الإجتماعي، بل تعدى ذلك إلى النشاط السياسي، حيث إنغمست بطريقة معقدة في تشكيل الواقع السياسي للعوالم الإسلامية.إن أهمية الموضوع على المستوى الأكاديمي هي محاولة التحقق من كل ما يتم ترويجه على المستوى السياسي، وذلك من أجل توضيح المفاهيم المغلوطة والأحكام المسبقة التي يتم نسبتها إلى هذه التيارات الدينية،فهناك ما يسمى الطقوس الدينية التي وجب مقاربتها من الناحية الأنثروبولوجية،حيث أن هؤلاء الفاعلين داخل الدين يملكون خصوصيات هم يدافعون عنها في الوسط الحضري،إن وضع مقاربة ميدانية لشريحة السلفية في المجتمع المحلي, هو محاولة توضيح الكثير من الصور الغيرمفهومة،و التي تصدر من خلال الممارسات التي يقوم بها السلفيين في الحي،فعملية إستنطاق هؤلاء الشباب هو بالغ الأهمية في توضيح الضبابية على المستوى الأكاديمي، وكذا على المستوى الإجتماعي من خلال إستكشاف هذا التيار الدخيل على المجتمع المحلي.في الأخير ستتوضح الصورة بين التيارات الدينية التي تمارس السياسة والتي لا تمارسها،وذلك من أجل التفريق بينها، فليست كلها منغمسة في العمل السياسي.

8-أسباب إختيار الموضوع:

لكل باحث أسباب تجعله يهتم بموضوع من المواضيع لدراستها ضمن تخصصه العلمي،فمنها الموضوعية ومنها الذاتية،وفي هذا الصدد فإن موضوع السلفية في إعتقادي كان له جانبين مهمين كانا سببا في دفعنا بالإهتمام بهذا الموضوع،حيث تتمثل في:

أ-الأسباب الموضوعية:

بعد المرحلة التي عرفتها الجزائر في نهاية القرن العشرين من خلال الأزمة الأمنية،حيث شهدت المدن الجزائرية صراعات إسلامية عن طريق حركات متعددة من بينها الجبهة الإسلامية للإنقاذ و الجماعة السلفية للدعوة والقتال الخ.فإذا مابحثنا في ميدان العلوم الإجتماعية في الجزائر،حيث على سبيل المثال في تخصص علم الإجتماع لم يكن قبل هذه الفترة الإهتمام بالدين وتدين الأفراد ضمن البراديغمات السوسيولوجية،لكن مع إنفجار تلك المرحلة اللاأمنية في الجزائر، بدأ بعض السوسيولوجيين يهتمون بالمسألة الدينية من أجل فهم ما يجري داخل المجتمع الجزائري، ومن بينهم الأستاذ: عبد الرحمان موساوي,محمد مرزوق,بومحراث بلخيرفي أطروحة الدكتوراه,عبد الحفيظ غرس الله, و لقجع عبد القادر الذي إهتم بالدين في الهوامش الحضرية في آخر حياته، حيث إن التوافد الكثير لهذه التيارات الدينية إلى المجتمع الجزائري في العقود الأخيرة, هو ما جعل أهمية هذا الموضوع تظهر بشكل واضح, وذلك كون أن المجتمع الجزائري منذ زمن قديم كان يتعايش مع التدين الشعبي الطرقي الصوفي،والسلفية بمفهومها الحديث, هي مجرد تيار وافد من خارج المجتمع بكل ما يملكه من مفاهيم وأفكار معاصرة,الأمر الذي تساؤل حوله السوسيولوجيين, ما بعد القرن العشرين في الجزائر,أين أصبح الفضاء الحضري لا يمكننا غظ النظر فيه عن وجود صاحب اللحية و القميص.

ب-الأسباب الذاتية:

قبل دخولي إلى الجامعة فأنا قبل كل شيء ترعرت في حي رأس العين وكوشة الجير الهامشيين،كنت أدرس القرءان في أحد المصليات الموجودة في حي رأس العين عند الشيخ ب.ب،حيث كان سلفيا إلى جانب أغلبية القراء الذين كنت أقرأ معهم في المصلى،حيث كان السلفيين هم من يتحكمون في تسيير شؤون المسجد وكان هذا سنة

2006،فكانت المواضيع التي نتطرق لها ماعدا قراءة القرءان، هي تعلم اللغة العربية وتفسير القرءان والحديث حول أهل السنة والجماعة في بعض المرات،حيث يتم ذكر الصوفيين بأنهم ليسوا على المسار الصحيح،وكنت في تلك الفترة قد تأثرت نوعا ما بهذا التيار،فمنذ تلك الفترة كنت أتساؤل عن سبب هذا الصراع بين السلفية والصوفية، خاصة وأن العائلة التي أنحدر منها تتوارث المذهب الصوفي منذ القدم،ويمكن الجزم أنه منذ تلك الفترة كان هذا الموضوع يشكل تساؤلات في تفكيري،هي دوافع ذاتية نابعة منذ أكثر من عقد من الزمن، وبعد الدخول إلى الجامعة كنت قد وجدت الفرصة السامحة لي في الإهتمام بهذا الموضوع،فكان السلفية في حي كوشة الجير هو الموضوع الذي حز في نفسي من أجل وضع مقاربة أنثروبولوجية لهذا ألأخير,أين بدأت تجربتي في العمل الميداني حول التوجهات السلفية في الهوامش الحضرية سنة 2014 ,وذلك من خلال العمل الثنائي مع الأستاذ لقجع عبد القادرمن خلال قيامي بأكثر من 50 مقابلة ميدانية مع السلفيين,ثم تلاها نقاش في المكتب مع الأستاذ لقجع عبد القادر, حيث تمثل في تحليل وتفسير المعطيات الميدانية.

9-الدراسات السابقة:

إن مسألة الظاهرة السلفية باتت تحت مجهر العديد من المفكرين في مختلف ميادين العلوم الإجتماعية،فموضوع دراسة الجماعات الدينية بمختلف هوياتها وعقائدها من خلال التفكيرو الممارسة والخطاب الذي يصدر منها،هو من الزاوية الأنثروبولوجية يختلف عن النظرة إتجاه هذه الأخيرة مقارنة مع التخصصات الأخرى خاصة الدينية،فالباحث في الأنثروبولوجية عليه رؤية دقائق الأمور وفهم المعنى من وراء أفعال وممارسات الأفراد والجماعات، دون الحكم على أفعالهم بالسلب أو بالإيجاب،وهذا مانصبوا إليه من خلال معالجة موضوع الهوية السلفية، معتمدين في ذلك على توجيهات بعض الدراسات السابقة التي نحن بصدد عرضها الآن،و لمعرفة كيف تم معالجة بعض المواضيع التي تقترب من موضوع دراستنا.

إن الدراسات السابقة مثلها مثل باقي المراحل التي يمر عليها البحث العلمي ،هي تعتبر مهمة جدا من الناحية النظرية في إثراء الباحث بمعارف مهمة تساعده في مسعاه البحثي،وفي فهم أكثر تقدما في الموضوع الذي سيعالجه،فقد تساعده في فهم كيف تم طرح التساؤلات في مثل هذه المواضيع، وكذا المراجع النظرية التي تم إستعمالها في هذا الصدد.قد تساعد الدراسات السابقة الباحث في كيفية الإحاطة بموضوع دراسته من خلال جمع مختلف الزوايا التي تم رصد ذلك الموضوع بواسطتها.في هذا الصدد قمنا بجمع بعض الدراسات السابقة من أجل قراءتها والتعليق عليها.

-الدراسة الأولى:

أطروحة دكتوراه الإعلام السلفي والمرأة المعاصرة،دراسة تحليلية للخطاب السلفي في القنوات الفضائية،من إعداد الطالبة:نعيمي مليكة وإشراف الأستاذ طيبي غماري،جامعة مصطفى إسطنبولي معسكر،السنة الجامعية 2017/2016.

عالجت هذه الدراسة مسألة الإعلام المعاصر الذي برز إلى الوجود مع كل هذا الزخم من التحولات الإجتماعية والتطور التكنولوجي،حيث ظهرت هناك ما يسمى قنوات إعلامية تلفزيونية أصبح لها دور مهم في صنع الرأي العام،بل والتأثير في المجتمع،وعلى غرار هذا الأخير ظهور القنوات الدينية والتي أصبحت تحت تأطير الشيوخ السلفيين،الذين بدورهم أصبحوا يوجهون الرأي الديني إنطلاقا من هذه القنوات والمنابر التلفزيونية،عكس ما كان ساريا في العصور القديمة التي كان فيها التلقي للمواعظ والإرشادات الدينية عبر المسجد فقط،.

هذه الدراسة قامت على تحليل مضامين الخطاب السلفي المتلفز عبر تكنولوجيا الإعلام المعاصر من خلال الشيوخ الذين يرسلون خطاباتهم الدينية والتي سيتلقاها الكثير من الجماهير،حيث إعتبرت الدكتورة نعيمي مليكة أن شيوخ التيار السلفي قد وجدوا في التكنولوجيا المعاصرة الإستراتيجية المحكمة في الحكم على الأخرين ومن بينهم المرأة, من خلال تصنيف جسدها الأنثوي وتمييزه عن الجسد الذكراني،وذلك تقول أنه يتم لفظه من طرف هؤلاء الشيوخ السلفيين بالإرتكاز على تأويلهم للنصوص الدينية،وذلك يكون

حسب أذواقهم الإيديولوجية ومرجعيتهم العقدية السلفية،بل في بعض الأحيان حسب رؤيتهم الخاصة،ولقد إعتبرت الباحثة هذا العمل بمثابة الهيمنة الذكورية التقليدية,والتي هي في إعادة بناء وتشكل من جديد عبر الإعلام الحديث, حيث يمنح سلطة التحكم والسيطرة التاريخية للرجل على حساب المرأة في كل مرة.

إن المرأة في ولاية معسكر ميدان الدراسة، تقبل الفتوى السلفية التي تصدر من القنوات الدينية،و لكن بالرغم من ذلك ترى الباحثة أن المرأة المعسكرية تعجز عن تطبيقها،وهذا العجز هو في نظرها راجع إلى المستوى الإجتماعي وكذا الرغبة في البحث عن هذه الحاجة،ثم تعود الباحثة وتقول أن الشيوخ السلفيين إستطاعوا ممارسة كل أشكال الهيمنة من خلال الجنس الذكراني،حيث غالبية القنوات السلفية يسيطر عليها الرجل مقارنة مع العنصر النسوي،بالرغم مما تعيشه المرأة المعاصرة من تحديات جديدة وحداثة معاصرة،حيث أصبحت المرأة تشارك في صناعة المجتمع بأفكارها إلى جانب الرجل،لكن هذا التحدي تجد فيه الباحثة الكثير من المغامرات والصعوبات التي تواجه العنصر النسوي.

إهتمت هذه الدراسة بواقع المرأة المعاصرة في مضامين الخطاب السلفي المتلفز, والذي وجد له فضاءا جديدا غير الفضاءات التقليدية حيث يعتبر الفضاء الإستراتيجي للتأثير على أكبر شريحة من المجتمعات في العالم،وذلك من خلال العمل على تغيير الذهنيات وتوطين هويته السلفية داخل المجتمعات،وذلك إنطلاقا من الحصص التي تبث عبر التلفزيون،وهذا عندما نحاول التمعن فيه فإننا نجد أن هذه الدراسة تناولت جانبا مهما من التيار السلفي الناشط عبر الإعلام المعاصر،وهو ما يحاول بواسطته هؤلاء الفاعلين الترويج لتيارهم الديني مستفيدين بشكل كبير من تكنولوجيا الإعلام والإتصال الحديثة.وكذلك نستفهم من هذه الدراسة أن هؤلاء السلفيين حاولوا الولوج إلى عالم التلفزيون وذلك كحيلة منهم من أجل مواجهة الأفكار و العقائد التي يتم ترويجها عبر هذا الإعلام المرئي.

-الدراسة الثانية:

أطروحة دكتوراه:

- بناء الهوية الدينية لدى الشباب الفرنسي المنحدر من أصول جزائرية"مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية" في ضواحي باريس من إعداد الطالب سعيدون زروقي وإشراف الدكتور بن طرمول عبد العزيز،السنة الجامعية 2019/2018،جامعة وهران 2،محمد بن أحمد(أطروحة دكتوراه).

يرى الباحث أن مسألة الهوية باتت من المسائل المهمة في الساحة الأكاديمية، بل حتى على المستوى السياسي، خاصة بالنسبة للمهاجرين من شمال إفريقيا وكيفية التعامل معهم من طرف الدولة التي تستقبلهم،حيث محاولة بناء الهوية عند الأفراد ذو الأصول الغير فرنسية عندما يتشبثون بإرثهم الإسلامي بات من أهم المواجهات التي تتميز بالصعوبة في ظل عيشهم في مجتمع يختلف تماما عن أصولهم التاريخية المرتبطة بالإسلام،لقد تطرق الباحث في هذه الأطروحة إلى مسألة المهاجرين من الدول العربية في شمال إفريقيا والذين ولد أبناؤهم في المجتمع المضيف،حيث بدأ هؤلاء الشباب في محاولة البحث عن بناء هويتهم الخاصة،فالبرغم من نشوئهم في محيط ثقافي فرنسي ،إلا أن هؤلاء الشباب يعيشون صعوبة قبول الهوية الفرنسية بكل ما تحمله من إرثها الثقافي،وهم في صراع معها, وذلك يتمظهر حسب الباحث من خلال معايشته لهم في تشبثهم بدين آبائهم، بل بالراديكالية التي باتت تحوم حول هؤلاء الشباب، ما سيسبب خطرا عليهم في فرنسا كونها لا تتقبل مثل هذه الحركات الراديكالية.

إن هؤلاء الشباب رغم ما وجدوه من تنشئة إجتماعية في المدرسة الفرنسية،والتي تكسبهم ثقافة المواطنة البعيدة عن الإنتماء الديني،والطائفي،إلا أن هؤلاء الشباب هم في بحث مستمر ويومي عن هويتهم التي يدافعون عنها ،بل ويريدون تشكيل شخصيتهم الدينية بها متجاوزين الهوية الفرنسية التي لم يستطيعوا قبولها بكل شكل من الأشكال.

إن المطالبة ببناء المساجد والمصليات وأماكن للتعليم الديني ،من طرف هؤلاء الشباب قاطني الضواحي الباريسية هي بمثابة الدلالة الواضحة من طرفهم على التشبث بالأصول الدينية العربية لهم،وهذا يراه الباحث على أنه كرد فعل من طرفهم على التمييز الذي يتعرضون له داخل المجتمع الفرنسي،فهم بهذا المعنى من خلال المطالب والخطابات اليومية في فرنسا هم يدافعون على شيء هو يتشكل في ذواتهم مع مرور الزمن،بل هو موجود داخل كيانهم وهنا تظهر الأهمية الأنثروبولوجية في تفسير الثوابث التي دائما ما تبقى عالقة في ذهنيات الأفراد والجماعات بالرغم من كل عمليات التثاقف التي يتعرضون لها.

إن أهمية هذه الدراسة تكمن في كونها تصب في نفس المنحى الذي نصبوا إليه تقريبا،وهي الدفاع عن هوية من طرف شباب يعيشون في ضواحي باريس في مقابل هوية سلفية في ضواحي مدينة وهران يدافع عنها أولئك الشباب السلفي في الحي المدروس.

-الدراسة الثالثة:

أطروحة دكتوراه : التحولات القيمية في بنية المجتمع الجزائري "التيار السلفي دراسة ميدانية"،من إعداد الطالبة شطاح خيرة و إشراف الأستاذ عيساني امحمد، السنة الجامعية 2023/2022جامعة وهران 2 محمد بن أحمد.

جاءت هذه الدراسة التي إهتمت بمسألة القيم وكيف أنها تعتبر جوهر المجتمع،حيث لا يستطيع أن يكون هناك فرد دون قيم أو تصورات ثقافية نحوى ما يعيشه داخل المجتمع،لقد تعلقت الدراسة بمنظومة التحولات القيمية التي حدثت في المجتمع الجزائري عبر التاريخ،أين تطرقت على سبيل المثال إلى المرحلة الكولونيالية أين مارس هذا الأخير سياسة محاولة تغيير منظومة القيم داخل المجتمع المحلي وإعادة ترسيخ قيم ذات ثقافة فرنسية عن طريق التعليم الفرنسي ومحاربة المدارس والزوايا القرءانية، وهنا نشير إلى عملنا نحوى دراسة السلفية في حي كوشة الجير، حيث سيكون لنا تطرق خلال هذا العمل في إحدى الفصول إلى المرحلة الكولونيالية عن طريق الدراسات الإثنولوجية والتي كانت لها مساهمة كبيرة في إستهداف مسألة الهوية الإسلامية.

لقد خاضت الباحثة شطاح خيرة في مفهوم مهم جدا في عملنا البحثي وهو السلفية،لقد حاولت ربط التغيرات القيمية في المجتمع الجزائري بدخول التيار السلفي والذي إعتبرته كدخيل على المجتمع، وأنه جاء من شبه الجزيرة العربية.فبعد البدايات الأولى الذي دخل فيها أثناء التواجد الفرنسي في الجزائرعن طريق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،هاهو اليوم يثبت نفسه في منظومة القيم الدينية داخل المجتمع بعدما كان مجرد دخيل عليه.لقد ذكرت الباحثة أن الجزائر تاريخيا كان لها إرتباط مع المذهب المالكي،حيث وكأنها تحبذ هذا الأخير عندما تذكرنا بأن الجزائر هي في حقيقة الأمر بحاجة إلى مرجعية علمية تمثل المذهب التاريخي للمجتمع المحلي وهو المالكية، وهنا نجد أن الباحثة وكأنها تدافع عن هذا الأخير.تعتبر أنه من الأسباب التي ساعدت التيار السلفي على التوطن داخل ذهنية المجتمع المحلي هو في حقيقة الأمر مجرد عوامل سياسية،إقتصادية، وكأنها تشير إلى فشل المنظومة السياسية ما بعد الإستقلال في محاولة حماية المجتمع الجزائري من هذا الأخير، إلى جانب الوضع الإقتصادي والذي إعتبرته من خلال الفقر والحرمان والجهل أنه كان سببا في تغلغل هذا الأخير داخل المجتمع الجزائري.

لقد كان هذا التيار الدخيل في نظرها عاملا مهما في زعزعة الموروث الديني الذي توارثته الأجيال داخل المجتمع الجزائري، حيث ذكرت أن الشباب الذي أصبح في هذا الوضع المزدوج بين التقاليد الدينية والتجديد السلفي قد وجد نفسه في صراع وتساؤل عن الحقيقة.هذا ما خلق في الأخير صراعات داخل المجتمع المحلي بين معارض وموافق لتعاليم السلفية الواردة من الخارج.تكمن أهمية هذه الدراسة في الإستفادة منها في عملنا البحثي في أنها عالجت مسألة صراع تدين الأفراد بين الموروث والجديد داخل المجتمع،بين تدين تقليدي وتدين وافد، حيث يعتبر هذا بمثابة الإستفادة من هذه النقطة في معرفة مكانة التيار السلفي في أوساط المجتمع الجزائري ومنهم الشباب، وكيف أصبح ينظر إلى هذه المنظومة القيمية الجديدة داخل المجتمع المدروس المتمثلة في التعاليم السلفية.

-الدراسة الرابعة:

الحركة السلفية وتياراتها بين النظرية وواقع الممارسة الإجتماعية في الوسط الجامعي،دراسة ميدانية ،رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير ،إعداد الطالب بوعزرية ميلود،إشراف الأستاذ عروس الزبير، السنة الجامعية 2015/2014،جامعة الجزائر 2.

عرفت هذه الدراسة في مضمونها التطرق إلى ظاهرة الفكر السلفي،والذي جاء من خارج المجتمع المحلي،ودخل كفكر جديد عبر تياراته الدينية إلى المجتمع الجزائري،وذلك عبر عدة طرق مثل طلبة العلم الذين هاجروا إلى الحجاز للدراسة،وكذا بعض اللقاءات مع مختلف المشاييخ خلال مواسم الحج،فأصبح اللباس الذي يتميز به هؤلاءالسلفيين من ناحية الشكل ،يمثل الهوية التي تميزهم عن الآخرين،حيث أنه حتى داخل السلفية هناك لباس سلفي جهادي،يتميز به ذو الفكر السلفي الجهادي الأفغاني وكذا اللباس السلفي السعودي العلمي،الذي يختلف أصحابه عن السلفية الجهادية حيث يكتفون بالعلوم الشرعية وعملية التربية للمجتمع.

تكمن أهمية هذه الدراسة في تزويدنا بمعلومات مهمة حول الإختلافات الجوهرية بين الحركات السلفية داخل الجزائر وخارجها،حيث وجدنا أن هناك هويات سلفية في صراع بينها،وفي صراع مع غيرها،وكل هوية سلفية تحاول بناء المجتمع الموجود في مخيالها من خلال ما تملكه من عقائد وتصورات للتدين الذي تراه هو الصحيح بالنسبة لها،فهو المجتمع الذي تريده إنطلاقا من عقائدها التي تمأسست عليها،فيتطرق الباحث إلى الفضاء الجامعي والذي يعتبره بأنه أصبح مسرحا للتيارات السلفية،فبالرغم من أن الجامعة هي فضاء النقد والتمحيص في الأفكار والمعتقدات إلا أن الحركات السلفية أصبحت تحاول فرض نسقها داخل الفضاء الجامعي،إنطلاقا من فكرة أن الدين يعتبر عامل مهم عند أفراد المجتمع الجزائري فهذا سيكون كسلاح مهم تستعمله هذه الحركات السلفية في الجامعة،وذلك بالإستفادة من التعاطف مع الدين عند الفرد الجزائري بشكل عام وعند أفراد مجتمع الدراسة بشكل خاص, وذلك بغية تثبيت وجوده داخل الفضاء الجامعي.

-الدراسة الخامسة:

كتاب: السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية،د.مصطفى حلمي،دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع،الطبعة الأولى 1983،الطبعة الثانية 1991.

هذه الدراسة هي عبارة عن كتاب جاء في مضمونها الدفاع عن السلفية في التاريخ ،حيث يتعرض الدكتور مصطفى حلمي إلى تاريخ الحضارة الإسلامية النابعة من الإسلام الصحيح،حيث يجب التفريق حسبه بين رؤية السلفية من الناحية العقدية والمحافظة على التوحيد النقي،والفلسفة الغربية التي أثرت في الكثير ممن يدعون الإسلام،حتى أصبحوا تابعين للمنظومة الثقافية الغربية،وذابوا فيها،متناسين بذلك أصولهم الحقيقية التي تستمد مرجعيتها النقية من الدين الإسلامي.

يعود صاحب الكتاب إلى التذكير بالحضارة الإسلامية،وذلك في زمن السلف الصالح أين إستطاع النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة تأسيس معالم لبناء الحضارة التي جاءت فيما بعد نتائجها في التاريخ،وكان منطلقها من داخل الدين الإسلامي،ويحز في نفسه وكأنه متأسف عن هذه الأخيرة حيث يرى أن هناك ما يسمى الخيانة التي تعرضت لها هذه الحضارة من الداخل،وأن سبب ذلك أنها كانت تسير في النسق الصحيح للدين الإسلامي.

تكمن أهمية هذا الكتاب في طرح مسألة مهمة وهي الخصوصيات الدينية في بناء الحضارة،حيث لا يمكن للحضارة الغربية حسب ما نراه أن تكون هي الوحيدة في التاريخ،وموضوع السلفية الذي يتم الإهتمام به من طرفنا ماهو إلا محاولة منا لفهم الثقافة الدينية التي يتمسك بها هؤلاء السلفيين وكيف لها أن تفرض وجودها في واقع المدينة المعاصرة, وأن تحاول أن تعيش حياتها السوسيولجية الدينية إنطلاقا من خصوصياتها وعدم الرضوخ الكامل لثقافة الآخرين.لقد إنتقد هذا العمل الفلسفة الغربية والرؤية الحضارية لنفسها وللآخرين،حيث إعتبرها أنها لا تعترف بحضارات الأخرين،وتظن أن التاريخ متوقف عندها،ثم يعود وينتقد الحركات الإسلامية الأخرى،والتي ينعتها بالحركات الزائغة عن طريق الحق،وفي نظره أن السلفية والحضارة هي حضارة التوحيد النقي من

الزيف،هي العودة إلى الإسلام النقي وإلى الكتاب والسنة،وبواسطة هذا نستطيع بناء مجد الحضارة المندثرة.ما يعاب على صاحب الكتاب أنه كان يميل إلى الفكر السلفي بشكل واضح, خاصة عندما ينتقدالحركات الدينية الأخرى،فبالرغم من عمله الإيجابي في إنتقاد الحضارة الغربية التي تنفي الآخرين من التاريخ،إلا أنه يميل إلى الحركة السلفية عندما يذكر كثيرا في كتابه مصطلخ السلف و السلفية .لكن مع الرغم من كل هذا إلا أن مفهوم الهوية السلفية في دراستنا من خلال الإستطلاع الميداني ظهر لنا أنه يتوافق إلى حد كبير مع الكثير من أفكار هذه الدراسة, خاصة في مسألة إنتقاد الغرب, و كذا مسألة إنتقاد الحركات الدينية الأخرى خاصة الصوفيين في حي كوشة الجير ميدان الدراسة, والذين هم عبارة عن الخصم المباشر للسلفيين في الحي المدروس,أين عايشنا ذلك الصراع الثنائي بين الطرفين طيلة هذا العمل.

-الدراسة السادسة:

Abdelkader lakjaa,la religion dans l’espace domestique-residentiel :les planteurs-ras el ain ,urasc &larviq ,1991,université d 'oran.

الإهتمام بالحي الذي هو تحت مجهر دراستنا والمتمثل في حي كوشة الجير،هو ليس ببعيد جغرافيا عن الدراسة التي قام بها الأستاذ لقجع عبد القادرسنة 1991 في أحياء بلونتور-رأس العين، بل هو إمتداد جغرافي لنفس المنطقة،فلقد تناول الأستاذ في هذه الدراسة الممارسات الدينية في الفضاءات الداخلية لكل من حي رأس العين وبلونتور بوهران، وهي من جملة الأحياء اللارسمية على مستوى مدينة وهران.يلعب إحترام الدين دورا لا نقاش فيه عند سكان هذه المناطق، خلال هذا العمل ذكر الأستاذ تاريخ بناء أولى السكنات الغير رسمية على مستوى حي بلونتور والتي تعود إلى زمن المرحلة الكولونيالية في الجزائر، وهذا ما يثبت أقدمية هذا الحي مقارنة حتى مع أحياء رسمية في مدينة وهران.بعد هذا التذكير بمراحل توسع هذه الأحياء ،كان عليه أن يتطرق لموضوع دراسته وهو علاقة التدين كثقافة وممارسة عند قاطني هذه الأحياء مع تمثلاتهم لفضاءاتهم المسكونة، وكيف يتم بناء المسكن بالرجوع إلى تعاليم الدين ، وذلك لاحظه من خلال تلك

العلاقة التي تربطهم مع الممارسات الدينية التي يقومون بها بعد إنهائهم لبناء سكناتهم.هذه الدراسة إهتمت بجانب مهم في الأنثروبولوجيا وهو كيف أن هؤلاء الساكنين في هذه الأحياء، هم ملزمين ثقافيا بالخضوع إلى تعاليم ثقافتهم الدينية داخل الفضاء المنزلي، من خلال ذبح خروف أو دجاجة بعد إنهاء بناء المسكن، كرمز على حماية أنفسهم وأولادهم من العين وكذا من الجن،إلى جانب توجيه الباب ناحية القبلة كدلالة على الصلاة،وهي بهذا المعنى ترمز إلى تشبثهم بالدين,جاءت هذه الدراسة تميل بشكل واضح إلى تلك الممارسات الصوفية,حيث تلك الطقوس التي توصل إليها الأستاذ لقجع إنما تخص الصوفيين,وذلك كون أن السلفيين ضد هذه الممارسات التي تعتبر محرمة عندهم،وكل تيار يدافع عن تدينه الذي يعبر عن هويته.

إن ما يهمنا في هذه الدراسة هي تلك الهوية التي تجمع ساكني هذه المناطق مع فضاءاتهم المسكونة، حيث يعبرون عليها من خلال ممارساتهم الدينية،وهنا نشير إلى دراستنا الحالية أن هؤلاء الشباب السلفي والذين يقطنون في نفس الحزام السكني الذي يمتد على سلسلة جبال مرجاجوا، هم كذلك لهم رمزية بسط هويتهم الدينية داخل سكناتهم،وذلك من خلال مثلا منع وجود الصور داخل المسكن، وهذا لكي يمتثلوا لتعاليم تيارهم السلفي كما سنلاحظ ذلك في الفصول القادمة من هذا العمل....

الفصل الثاني

الفصل الثاني: السلفية الإصلاحية ورأي الشباب السلفي بالحي المدروس إتجاهها

1-مقدمة:

ليست السلفية من حيث التاريخ حديثة النمو والنشأة،حيث لن يكون الشيخ محمد إبن عبد الوهاب في نجد خلال القرن 18م، سوى مجدد لتيار ديني وعقيدة سلفية تخالف الكثير من التيارات الدينية الأخرى،إن محاولة وضع مقاربة للهوية السلفية في حي كوشة الجير الهامشي بوهران،لن تكتمل إلا بالعودة إلى التاريخ القديم،وذلك من أجل التذكير بماض هذا التيار الذي كان مثل الجنين في بطن أمه منذ القرون الهجرية الأولى،ليعرف نموا وتطورا ملحوظا في زمن الشيخ إبن تيمية،وكذا ليكتمل من ناحية الشكل والمضمون في عصر الشيخ محمد إبن عبد الوهاب النجدي.سيكون التطرق في هذا الفصل إلى تلك الحركات السلفية التي جاءت مابعد الوهابية،حتى يعلم القارئ أن السلفية هي في حقيقة الأمر الراهن،سلفيات لا سلفية واحدة،وذلك من خلال تلك الإختلافات في مضمون وأهداف كل نوع من أنواعها،ماجعلها تختلف عن بعضها البعض في الماضي والحاضر.سيكون خلال هذا الفصل تلك الإستشهادات النابعة من كلام المبحوثين،وكان الهدف منها هو معرفة مواقفهم إتجاه كل منها،وهو بغية تحديد النوع الذي يعتنقه مجتمع البحث من خلال هذه الحركات السلفية.

2- الشباب السلفي في مدح الإصلاح الديني(الحنبلي،التيمي،والوهابي):

أ -المرجعية السلفية الأولى, الشيخ أحمد إبن حنبل الشيباني(780م-855م):

قبل الخوض في هذا العمل إلى طرح بعض الأفكار المهمة في تاريخ السلفية الإصلاحية، وكيف كان ظهور كل منها على مسرح الحياة الإجتماعية، ضمن سياقات تاريخية معينة،إخترنا في هذا العمل محاولة مزج العمل الميداني مع تاريخ السلفية الإصلاحية كجانب نظري،حيث قمنا بطرح أسئلة لأولئك الشباب السلفي بحي كوشة فيما يخص الإصلاحات الدينية عند الجماعات السلفية، حيث في كل مرة كان هناك

الإعتمادعلى رأي هؤلاء السلفيين أثناء عرضنا لتاريخ هذه الأخيرة، عندما كان يتطلب منا الإستشهاد بخطابهم في سياق معين.

إن موضوع السلفية وكذا الهوية بشكل عام, بات من أهم المواضيع التي أصبحت تطرح نفسها على عدة مستويات،سواء من خلال تلك الصراعات الإقليمية من خلال ما تشهده عوالم اليوم من حركات سلفية, وتوترات سياسية ضمن الإسلام السياسي من جهة, وحتى داخل نفس الدولة من خلال تلك التوجهات الدينية التي تحاول أن تجد لها فضاءا تعبر به عن خصوصياتها الدينية من جهة أخرى،وهو ما تعيشه بلدان العالم الإسلامي اليوم,وذلك على المستوى الإجتماعي.

لقد أصبح الدين الإسلامي من خلال تلك الحركات التي تزعم أنها تمثله, كل على حسب تمثلاتها له بمثابة النقطة التي جعلت الإهتمام بالدين أمرا ملزما، وما يعيشه العالم الإسلامي من حركات دينية في المشرق العربي, يعتبر من أهم الدلائل التي تثبت هذا الكلام،حتى أصبح اليوم هناك مخابر غربية في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها, تعمل على دراسة المسلمين حتى من الجانب النفسي،وكانت أحداث سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية, هي التي زادت من توتر الأوضاع بالنسبة للمسلمين،خاصة أولئك الذين يعيشون في البلدان الأوربية،فأصبح مصطلح الإسلاموفوبيا والتخوف من صاحب القميص واللحية, بمثابة سلوك تم الترويج له خاصة على مستوى الإعلام الغربي, وذلك من أجل محاربة الدين الإسلامي بشكل أساسي, وكان نجاح هذه العملية بعد سنة 2001 قد بلغ نوعا ما نسبة مقبولة في نفسية الشعوب الأوربية,و التي أصبحت تتخوف من المسلمين خاصة السلفيين, لأنهم كانوا ينظرون لهم نظرة الجهادي الذي سوف يقوم بتفجير الفضاءات الحضرية،فكانت المدينة الأوربية تشكل فضاءا حساسا بالنسبة لأولئك السلفيين الذين يعيشون في الدول الغربية, وهنا يقول السلفي(**المبحوث رقم 04)** في هذا الصدد"كان عندي صديق سلفي مغترب في أوربا سنة 2009, ولما جاء إلى وهران تكلمنا على حال السلفيين في بلاد الغربة،فقال لي عندما تمر في بعض المناطق, هناك من يقوم بحركات الهروب والإبتعاد عنك عندما تكون في الرصيف وكأنه خائف منك"،وهذا

ما يدل من خلال هذا الخطاب, أن الأحداث التي جرت في بداية القرن الحالي, كان لها ترويج إعلامي كبير في التخويف من المسلمين الملتحين،حيث أصبح في تلك الفترة المواطن الأوروبي يخاف من صاحب اللحية كما جاء على لسان هذا المبحوث في الميدان المدروس.لقد تم الزج بالسلفية في العقود الأخيرة في الجانب السياسي, فهي كما سنلاحظ خلال التاريخ, صحيح أن هناك سلفية تحبذ العمل السياسي, لكن ما نلاحظه اليوم هو أن صانعي القرارات السياسية في بعض البلدان إستعملوا الدين لأغراض سياسية, وهذا ما زاد من شدة التخوف من السلفيين خاصة على المستوى الإجتماعي, وهنا يقول **(المبحوث رقم 03)** والذي ينتمي إلى السلفية الوهابية العلمية التي تنبذ النشاط السياسي"السلفيين الذين يتاجرون بالدين في السياسة هؤلاء خوارج ومنحرفين عن المنهج الصحيح،ولكن اليوم نحن نتعرض للإنتقاد من طرف الغير سنيين حيث يتهموننا أننا نتبع دينا علماؤه يجلسون على كراسي الحكام"، وهنا في إشارة إلى بعض السلفيين في الدول العربية في بلاد المشرق, والذين يمارسون النشاط السياسي بمفاهيمه المعاصرة مثل حركة حماس في فلسطين و الإخوان المسلمين في مصر مثلما مر ذلك في فترة حكم الرئيس محمد مرسي.

لقد أصبحت اليوم المفاهيم غير واضحة بين هذه الحركات الدينية خاصة السلفية،وذلك لتعقد الأوضاع من خلال مثلا الإنشقاقات التي أصبحت تحدث حتى داخل نفس التيار بمجرد الإختلاف في مسألة فقهية بسيطة,بل وصل الأمر حتى الإختلاف حول مصالح بلدانهم السياسية. وبالتالي المقاربة التاريخية التي سنقوم بها في هذا العمل، ستكون مساعدة لنا في تحديد نوعية كل منها من خلال تاريخ ظهورها، وكذا الطريقة التي تتبعها كل حركة في إثبات وجودها داخل الفضاءات الإجتماعية التي تنشط في أوساطها، والعمل الإصلاحي التي تراه يتماشى مع عملية ضبط المجتمع،وذلك وفقا لمرجعياتهم العلمية الدينية, من خلال العلماء الذين يتبعونهم في التاريخ اللإسلامي.

إن البدايات الأولى لظهور الدين الإسلامي كانت على يد النبي صلى الله عليه وسلم تتماشى وفقا لعقيدة واحدة تجمع المسلمين داخل المدينة على عقيدة توحيدية واحدة,.إن هذا الدين التوحيدي جاء من أجل أن يضع تلك الحدود النهائية لمسألة القبلية والصراعات التي

كانت لا تتوقف داخل نفس المجتمع,أين رصدنا ذلك في كتب الفقهاء ومن أفواه السلفيين في حي كوشة الجير أثناء المقابلة،و الذي كان يحتوي(المجتمع المكي) على عدة قبائل كلها تتشبث من ناحية النسب بأسلافها الذين تعتبرهم بمثابة المرشد و الموجه لها في حياتها الثقافية وتصوراتها للوجود.فهنا نطرح السؤال التالي:كيف أصبح هذا المجتمع الذي جمعته ديانة واحدة, أن تظهر داخله تدينات متعددة جعلت منه يظهر وكأنه مجموعة من الديانات وليس دينا واحدا؟.

قبل الخوض في التيارات السلفية الإصلاحية في التاريخ، فنحن ملزمين بالعودة على الأقل إلى الإرهاصات الأولى التي زرعت تلك البذور لهذه التيارات في القرون الهجرية الأولى، حتى جاء أولئك العلماء من أمثال إبن تيمية وزادوا على هذه الأخيرة أفكارهم, من أجل إعادة توجيه المجتمعات الإسلامية نحوى الدعوى الأولى لهذا الإتجاه التاريخي.بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ستشهد المدينة صدمة كبيرة بين المسلمين، حيث منذ تلك اللحظة المهمة في وفاة صاحب الرسالة، ستنطلق المعالم الأولى لبداية الإختلاف بين المسلمين،حيث الإجتماع الذي تم داخل السقيفة وإختيار أبي بكر الصديق خليفة على المسلمين، لم يكن عليه إجماع شامل كون أنه حدث أثنا وفاة النبي صلى الله عليه وسلم،وخاصة أن بني هاشم من قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا في تلك اللحظة يحيطون بإبن عمهم وهو على فراش الموت، وذلك لتأدية طقوس الجنازة على الطريقة التي شرعها لهم اللإسلام.إن الإختلاف في قضية من يجلس على كرسي الحكم، لم تكن هي المشكلة الوحيدة التي سقط فيها المسلمين،لأن هذا الإختلاف الذي بدأ حول الخلافة، سيتطور لاحقا في المسائل الفقهية والعقدية،وذلك عند الأجيال التي جاءت بعدهم ممن يسمون بالتابعين وتابعي التابعين، حتى بدأت تظهر الطوائف والتيارات الدينية،وإذا ما عدنا إلى المنبع الأول الذي كان له تأثير كبير على ظهور السلفية في التاريخ الوسيط و المعاصر، فسيكون الإمام أحمد إبن حنبل في القرن الثاني والثالث للهجرة، بمثابة الملهم الأول لمن بعده من السلفيين.سيكون هذا الأخير محل خلاف كبير حتى مع خلفاء عصره، وهنا يقول السلفي **(المبحوث رقم 08)** في شخصية اللإمام أحمد إبن حنبل"لقد تعلمنا من مشاييخنا حفظهم الله، أن الشيخ العلامة الفقيه أحمد إبن حنبل، عاش محنة عظيمة في

القرون الأولى للإسلام، حيث كان سببا في المحافظة على نهج أهل السنة والجماعة، خاصة ضد المعتزلة وغيرهم،الذين كانوا يمتثلون للأهواء والعقل والفلسفة في تفسير النصوص الدينية، و الإجتهاد في حل النوازل التي فتنت المسلمين في تلك المرحلة الخطيرة للإسلام، والتي كانت فتنة كان قد حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة قبل وفاته, وخاصة كفر المعتزلة وقولهم بأن القرءان مخلوق لا كلام الله المنزل"، وهنا نجد أنه لازال هؤلاء الأعلام، أمثال المؤسس اللأول لهذا النهج التديني، بمثابة الشخصيات المقدسة التي لازال هؤلاء السلفيين في المجتمع المدروس، يعتبرونها بمثابة المثال والقدوة التي هم ملزمين حسب توجههم الديني، بالسير على خطى هذه الشخصيات،حيث يعتبرون أنفسهم داخل الحي، أنهم في جهاد على نفس منهج المصلحين الأوائل.تعتبر أولى القضايا الدينية التي ذاع صيت الإمام أحمد إبن حنبل بواسطتها, هي صراعه ضد التيار المعتزلي في مسألة خلق القرءان.كان الخليفة المأمون ممن تأثر بكلام خلق القرءان، وأراد من الشيخ أحمد إبن حنبل الإقرار بذلك، لكن هذا الأخير قد رفض التسليم بهذا المعتقد، الذي لا يراه سوى خروجا عن عقيدة أهل السنة والجماعة في القرءان، والآثار الموروثة عن الصحابة,وأثناء حوار جمعه مع الخليفة وحاشيته من التيارات الدينية الأخرى كالمعتزلة، ردد في هذا الصدد حول القضية التي تتعلق بالقرءان قائلا بأن القرءان هو من علوم الخالق سبحانه وتعالى,وأي شخص يدعي أنه مخلوق فهو كافر لا شك في ذلك[8]،وكان قد إنفجر بهذا الخطاب أمام الخليفة نفسه،ملتزما بمعتقده الذي يخالف كل من يوجد داخل هذه المناظرة،لكن هذه الإرتجالية لن تمر مرور الكرام، لأن هناك من حاشية الخليفة من أثر بخطابه عليه،وذلك بقولهم له أن هذا الأخير، قد جعل من يجلس على كرسي إمامة المسلمين كافرا وخارجا عن ملة الإسلام الأول،وهذا الذي سيؤدي بعد نهاية هذه المعركة الكلامية بإدخاله السجن، إذا لم يقر بالعودة عن كلامه الأول، ولكنه سيدخل السجن لأنه لم يتراجع عن كلامه.إن السؤال الذي تبادر إلى أذهاننا ونحن نسرد تاريخا مهما من تاريخ تجذر الفكر السلفي، على أولئك الشباب السلفي الذين يقطنون في الحي المدروس، هو ماذا يجدون في هذه الشخصية التي صمدت في تلك الفترة أمام الخليفة نفسه، ولم يتراجع عن

8-الإمام أبي عبد الرحمان عبد الله بن إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني 213ه-290ه،تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني،كتاب السنة،المجلد الأول،دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع،الرياض،الطبعة الرابعة 1416ه-1996ه.ص32

موقفه الفقهي العقائدي،فكان منهم أنهم قبل الجواب قد تأثروا كثيرا بهذا الأخير، حيث كانت أجوبتهم تغلب عليها تلك الحركات الجسدية من جلوس، ووقوف، وتنفس بشكل سريع، لأن هذه القصة في تاريخ الفكر السني، يعتبرونها إحدى أهم المواقف التي ثبت من خلالها أهل السنة والجماعة، بل وكانوا دائما ما يتخذونها كمثال في حياتهم الدينية الواقعية، في مواجهة الصعوبات التي تواجههم من طرف المجتمع،و الذي يوجد به حسبهم فرقا ضالة تحاول التأثير عليهم, وعلى عقيدتهم التي يرونها هي الأصح في فهم اللإسلام الأول,.حيث يقول **(المبحوث رقم 03)"**الشيخ أحمد إبن حنبل كان صابرا لله وواثقا من نفسه أنه على الطريق الصحيح،ولهذا لم يخف من السجن،لأنه بعد ذلك كان قد أثر في الكثير من الناس في عصره فدخلوا في عقيدته التي كان يدافع عنها"،فهم بهذا الكلام فهموا أن الدفاع عن أهل السنة والجماعة قد تواجهه عراقيل متعددة وجب الصمود أمامها, مثلما هم اليوم داخل الحي يصارعون أولئك الخارجين عن تيارهم بشتى الطرق والوسائل ,ضمن إستراتيجيتهم الخاصة,وذلك من أجل إستدراجهم نحوى السلفية كتيار يعتنقونه.

إن محاولة تطبيق الحياة الدينية الإسلامية على نفس المسار الذي كانت عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم, هي التي كانت محل جدال كبير بين الحركات الدينية التي ظهرت بعد وفاته،حيث كان الشيخ أحمد إبن حنبل في بغداد يجاهد ليلا ونهارا في مواجهة أهل الكلام والمعتزلة, الذين كانوا في عصره خاصة في بغداد, أين كان بها الكثير من العلماء والفقهاء,.لقد دافع هذا الأخير على العودة الكلية لزمن النبي صلى الله عليه وسلم, وعدم إدخال أي رأي أو تأويل خاصة للنصوص المقدسة،حيث يكون حسب توجهه الذي يدافع عنه, النقل الذي صدر عن الحديث النبوي الشريف, و كلام الصحابة الذين عايشوا النبي صلى الله عليه وسلم ,بمثابة المرجعية العلمية التي وجب أن تسير عليها الأمة الإسلامية بعد وفاة رسولها, حيث كان الإمام إبن حنبل متمسكا بشكل كبير على الإرتكاز على النص في كل شيء عندما يقارن مع غيره[9]وهو ما جعله الحلقة الأبرز في تشكيل الفكر السلفي تاريخيا،إن هذا الموقف الذي كان يتزعمه في تلك الحقبة التاريخية المحورية

[9]-عبد الغني عماد،السلفية والسلفيون الهوية والمغايرة،قراءة في التجربة اللبنانية،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت،الطبعة الأولى،2016.ص123.

من تاريخ بداية نمو الفكر السلفي, لن يكون متوقفا عند مسألة خلق القرءان ولا العودة إلى النص المقدس،بل سيتم منذ هذه اللحظة وضع اللبنات الأولى لتيار سيتم تسميته بتيارأهل الحديث، حيث سيكون الحديث النبوي بمثابة المرجعية المهمة إلى جانب القرءان, في الرد على التيارات الكلامية والفلسفية الأخرى،و التي ذهبت أبعد من هذا الأخير, في فهم وتأويل الكثير من المشكلات التي واجهت المسلمين في تلك المرحلة,.إن الرأي الذي ظهر على يد مجموعة من التيارات الدينية في فهم الحوادث وتفسير المسائل الفقهية, من خلال أولئك العلماء الذين أصبحت لهم شرعية في طرح رأيهم إلى جانب المصادر التشريعية المقدسة, في حلحلة الظروف السياسية والإجتماعية للمسلمين، لم يتقبله جماعة أهل الحديث،حيث كان الإمام إبن حنبل من المتشددين في التمسك بالآثار و الحديث والقرءان, حتى و إن كانت على ظاهرها تفهم ويعمل بها،إلا أنها تعتبر السبيل الوحيد في الحفاظ على نهج السلف الصالح،عكس أهل الرأي الذين وجد فيهم هذا المنهج الحديثي, أنهم زاغوا عن طريق أهل السنة والجماعة،وذلك منذ الوهلة الأولى التي بدأوا فيها إضافة تفكيرهم الخاص, في تفسير وتأويل المفاهيم الحساسة في الدين الإسلامي.

لا يجوز إعمال العقل في الدين والقرءان والحديث وكلام الصحابة موجود، هذا ما ناقشناه مع السلفيين كذلك في هذا المنحى، حيث أنهم يجدون في موقف الشيخ إبن حنبل هو السبيل الأرشد في الرد على المخالفين، فهاهو الشاب السلفي **وهو (المبحوث رقم 20)**يقول بصريح العبارة عندما تناولنا مسألة الإجتهاد في الدين فقال لي " نحن أهل نقل لا عقل،خاصة في الأمور الأصولية والتوحيد والعقيدة لا يوجد من له الحق في تفسير ذلك إلا السلف الصالح الذين أجمع عليهم العلماء "،وهنا نجد أنه بالرغم من ذلك التاريخ الذي يفصل من حيث المدة الزمنية بين عصر الإمام أحمد إبن حنبل، وعصر هؤلاء الشباب، إلا أننا وجدنا من خلال مسائلتهم أنهم لازالوا يتشبثون بتلك المواقف التقليدية في فهم المشكلات الفقهية والحياة الواقعية الدينية،وهذا ليس سوى نتيجة لتلك الحلقات الدينية التي تنظم داخل المسجد أو عبر وسائل التكنولوجيا الحديثة،و التي لازالت تعمل على ملإ عقول السلفيين الجدد, بتاريخ بزوغ تيار أهل السنة والجماعة ،على يدي الأئمة الأوائل، وهذا ظاهر من خلال خطابهم معنا أثناء القيام بالمقابلات الميدانية في ميدان الدراسة.

عندما قلنا في بداية هذا الفصل، أن الشباب السلفي يمدحون الإصلاح الديني، فنحن لا نعني به قبولهم لكل الحركات السلفية التي جاءت لتغيير ما وجدته قد زاغ عن الإسلام الأول،لكن نحن كنا نقصد من خلال العنوان، تمجيدها للخط السلفي الذي ينحدر من الشيخ أحمد إبن حنبل، مرورا عبر الشيخ إبن تيمية،وصولا إلى الشيخ محمد إبن عبد الوهاب النجدي، لأن هؤلاء السلفيين ينتقدون الحركات الإصلاحية الأخرى، معتبرينها بأنها زاغت عن المسار الحقيقي الذي يمثل الخط السابق الذكر،وعن نهج أهل السنة والجماعة..

إن العصر الذي نتكلم عنه أين تبلورت في صدره المعالم الأولى لظهور التيار السلفي عن طريق أهل النقل والحديث، هو بمثابة المرجعية المقدسة لأولئك السلفيين المتشددين بهذا الفكر،تعتبر تلك الفترة حسب تصوراتهم أنه الزمن الأكثر مثالية في تاريخ الإسلام,وتجلت فيه المرجعية الصافية والنقية للإسلام قبل بروز ما سمي بالطوائف الدينية[10] ، حيث لم تزد تلك الطوائف التي ظهرت خلال القرون الهجرية الأولى, سوى تسهيل عملية ضعف المنظومة العقدية عند المسلمين من خلال تلاقحهم مع الثقافات الأخرى, القادمة من خارج بلاد المسلمين من منظور الحنابلة.في هذة الفترة التي ستنتهي بعد وفاة الإمام أحمد إبن حنبل, لن تزيد القرون التي ستأتي بعده سوى ظهور المدارس الفقهية والمعتقدات المتعددة حول الإسلام, مثل: الصوفيين والماتردين والأشاعرة مع أبي الحسن الأشعري, والعديد منها, بل كذلك ما زاد من حدة المسألة هو دخول الفلسفة الغربية في التفسيرات الدينية, حيث أصبح هناك من يعتمد على العلوم الغربية الفلسفية في تفسير القضايا والمشكلات الإسلامية من منظور أهل الحديث.

يرى السلفي **(المبحوث رقم 04)** أحد المبحوثين في قضية التأريخ للحركات الدينية، بأن ظهور الحركات الدينية الملتصقة بالإسلام والمتعددة حسب كلامه قائلا "أنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومرور القرون التي سماها بأفضل القرون ،ظهر هناك شقاق وخلاف بين المسلمين،ما أدى في القرون التي جاءت بعدهم إلى ظهور الفرق الإسلامية،وكثير منها فرق ضالة أفسدت الدين الإسلامي"،فهو خلاف ليس بالجديد وهو تيار سلفي ليس وليد فترة حديثة ،وليس من ناحية المفاهيم ، بل تحديدا من ناحية الأفكار

[10]-الدكتور محمد عمارة،إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات،دار السلام،الطبعة الأولى،2009.ص31.

التي بنى عليها توجهه الديني هؤلاء العلماء المعاصرين، والذي ليس سوى أنه مقتبس من زمن الشيخ أحمد إبن حنبل الشيباني،و الذي يسمى عند السلفيين إمام أهل الحديث والنقل والنص والآثار.جذور أنثروبولوجية فكرية تمأسس عليها مع مرور الزمن ،فهم أولئك الذين زرعوا البذور الأولى في التدين حسب مجتمع البحث،وهؤلاء حسبهم هم المؤهلين إلى قيادة الخلف الذي يأتي بعدهم،حتى في أمور الدنيا حسب السلفي **(المبحوث رقم 17)**"الإسلام عقيدة توحيدية وكذلك طريق حياة ينظمها المسلم حسب دينه وعلمائه"،وهذا مايجعل هؤلاء السلفيين يدافعون من خلال خطابهم عن قضية العقيدة الإسلامية الصحيحة بالدرجة الأولى،لكن كذلك محاولة إعادة مجد الحياة الإجتماعية التي كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة،حيث هم كذلك يدافعون عن مشروعية مدينة إسلامية تخضع لقيم المسلمين الأوائل في الإسلام،وأن الحضارة الإسلامية التي زرعها النبي صلى الله عليه وسلم, تعتبر هي الحضارة التي يجب على المسلمين الإفتخار بها من خلال ما تعلموه من آداب ومعاملات مع بعضهم البعض, والأخلاق التي جاء بها الإسلام.وهنا في هذا الصدد سنحاول التذكير بأحد المفكرين المعاصرين والذي كان له مشروع فكرة الدفاع عن ما ضاع للمسلمين من حضارتهم، وهو المفكر الجزائري مالك بن نبي، وهذا الأخير من خلال كتاباته يتذكر دائما العصور المزدهرة التي عرفها المسلمين من خلال الحضارة التي أسسوها، لكن هنا سيكون بعض الخلافات في الرأي بينه وبين مجتمع البحث، حيث أن مالك بن نبي ينتمي إلى تفكير منفتح يقبل الأخذ والإستفادة من تجارب الآخرين،لكن السلفية الأولى في الإسلام على يد أهل الحديث, كانت متشددة في مسألة العلوم الخارجة عن تعاليم الدين الإسلامي،وهنا تعتبر النقطة الجوهرية التي سوف تتوضح لنا في سرد الحركات اللإصلاحية في تاريخ المجتمعات الإسلامية،و أنها تشكل إحدى نقاط الإختلاف التي كانت كل حركة تتميز بها عن الأخرى،بالرغم من العقيدة التوحيدية التي تجمع بين هذه التيارات الدينية السلفية.إن فكرة الدفاع عن المرجعية السلفية الأولى في تاريخ هذا الفكر, عند أولئك القاطنين بحي كوشة الجير الهامشي بوهران، وذلك من خلال خطاب أولئك الشباب السلفي، تظهر لنا أنها هي الخصوصيات الثقافية و الأنثروبولوجية التي ستوضح لنا مع مرور الوقت, أنها لا تعبر إلا على تلك

الهوية السلفية التي تتشكل بها الجماعة السلفية في ميدان دراستنا،إن الخطاب الذي يرى أن الإسلام السني الصحيح الذي دافع عنه أوائل العلماء في الفترة الإسلامية الأولى،لو نعيده على أصوله الأولى فسنشهد تطورا في جميع المجالات ،نجده يرمز إلى الحنين إلى الماضي، وتقديس تلك الفترة، بل و مدحها في خطاب هؤلاء السلفيين لم يتوقف طيلة إجرائنا معهم للمقابلات الميدانية،وذلك فيما يخص تاريخ الإصلاحات الدينية السلفية، وهنا سنستدل بكلام الشاب السلفي**(المبحوث رقم 16)** عندما كنت أتحدث معه حول مشاكل الحي، فإذا به يشدد اللهجة في الكلام نحوى بعض التصرفات التي لاحظها في الحي،وكان حول موضوع السحر والشعوذة من طرف أحد السحرة حيث قال"لو كان هنا سيدنا عمر إبن الخطاب رضي الله عنه،سيقوم بإقامة الحد على هؤلاء المشعوذين مثلما فعل ذلك مع السحرة في عصره"،إن هذا التفكير لا زال يحبذ إقامة الحدود على الطريقة الإسلامية، وهو غير مقتنع حسب خطاب هؤلاء السلفيين بالقوانين الوضعية، ويعتبرونها غير كافية وليست دقيقة في رذع المفسدين عن فسادهم داخل المجتمع.

من الناحية التاريخية والزمن الذي ينتمي إليه التيار السلفي،والذي كان ظهوره من ناحية الجذور الفكرية خاصة،و كما أسلفنا سابقا خلال مرحلة ظهرت فيها الحركات الدينية متأثرة بعلم الكلام والرأي وخلق القرءان وما إلى ذلك من مواقف متعددة،ظن المسلمين أن هناك غزو فكري وهرطقات ستجعل هناك ضبابية كبيرة على مستقبل الإسلام السني الصحيح، إن هذه الفترة هي التي تعتبر المرصد الحقيقي الذي يعتبر بمثابة الخيط الذي يتشبث به السلفيين, من خلال الإمام أحمد إبن حنبل خاصة, حيث يرى محمد عمارة،بأن الإمام أحمد هو أحد رموز الحركة السلفية,بل هو رأسها وهوإمامها الأبرز[11]،والذي سيتم إعتماده منذ تلك الفترة لاحقا, بمثابة المؤسس الأول لما سيتم تسميته بالتيار السلفي في العصور القادمة من تاريخ الحركات الدينية داخل الإسلام،فاليوم أصبح يصطلح عليهم بالسلفية الوهابية خاصة، وفي بعض المرات يكون تسميتهم بالحنابلة من أجل ربطهم مع المؤسس الأول لهذا الإتجاه الديني،ومن خلال تطرقنا في هذا الصدد إلى فترة الشيخ أحمد

11الدكتور محمد عمارة،السلف والسلفية،جمهورية مصر،وزارة الأوقاف،القاهرة،تاريخ النشر 2008.ص21.

إبن حنبل، فلقد تراءى لنا أنها تعتبر حسب ما توصلنا إليه من خلال قرائتنا البسيطة، أنها بمثابة الدفاع الأول في تاريخ السلفيين عن ما سميناه في عنوان هذه الدراسة بالهوية السلفية، والتي نحاول تتبع من يتشبثون بها عبر التاريخ, وصولا إلى مجتمع البحث،فهو دفاع عن الهوية الإسلامية من مرجعية حنبلية سلفية،ترتكز على النقل فقط وتتجاوز التأويل والرأي،وهنا سنوظف تحليلنا الأنثروبولوجي حول هذه النقاط التي ذكرناها من قبل، حيث أن الخصوصيات التي تتمظهر من خلالها جماعة مهما كان توجهها، أو إثنية مهما كان لسانها وثقافتها، هي دائما عندما تتعرض لمثل هذه الإصطدامات مع ثقافات غيرها، فقد يجعلها هذا الإصطدام تتخوف من ذوبانها في ثقافة تختلف عنها،مايجعلها تحاول الدفاع عن خصوصياتها الأنثروبولوجية، وذلك على سبيل المثال عند أولئك الذين يعيشون في القبائل الإفريقية،و كيف لاحظ الباحثين الإثنولوجيين الطريقة التي يتمسكون بها في الحفاظ على خصوصياتهم المتوارثة عبر أسلافهم، وهنا ربما نلاحظ أن أهل السنة والجماعة في ذلك العصر، كانوا يتصورون أن هناك شيء ما يحاول إستبعادهم عن الثقافة الدينية التي ورثوها عن الإسلام الأول، ما جعلهم يثورون حتى ضد الخلفاء، مثلما مر معنا حول الإمام أحمد إبن حنبل.

يرى **(المبحوث رقم 01)** أنه"بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهرت الفتنة التي حذر منها قبل وفاته، لكن الصحابة إستطاعوا أن يسيطروا على الأوضاع،رغم الصعوبات الكبيرة التي واجهتهم،ذهب المسلمين نحوى الفتوحات الإسلامية ،هذا ماجعل هناك الإختلاط مع مجتمعات غير مسلمة، الشيء الذي جعل المسلمين يتأثرون بثقافات غيرهم، ما جعل العلماء يتفطنون لهذه المشكلة، حيث برز أمثال الشيخ إبن تيمية في التصدي للفرق الضالة في الإسلام"، فسيكون المجدد الثاني من خلال هذا الخطاب هو ما سيكون مع المرحلة التي أعاد فيها الشيخ أحمد إبن تيمية الإرث الحنبلي،بل زاد في ذلك من خلال المجادلات الفلسفية التي خاضها ضد التيارات الدينية والغير دينية،حيث تعلم الفلسفة والمنطق من أجل الدفاع عن المذهب الحنبلي، وذلك من خلال معرفة علوم خصمه, من أجل محاربته بأسلحته الفكرية.

ب - المرجعية السلفية الثانية الشيخ أحمد إبن تيمية الحراني(1263م-1328م):

لن يتوقف التيار الحديثي في القرن الثالث الهجري مع مؤسسه الأول كما أسلفنا سابقا الشيخ أحمد إبن حنبل الشيباني،فبالرغم من تعقد الأوضاع وظهور الملل والعقائد فيما بعد،سنكتشف مع القرون الوسطى من سيعيد تذكير المجتمع الإسلامي في البلدان المشرقية, بذلك التيار التقليدي المنسوب لأهل السنة والجماعة،مع الشيخ أحمد إبن تيمية الحراني الشامي، ستكون رحلة جديدة في محاولة الذهاب أبعد بقليل من شيخه في التاريخ وملهمه،حيث سيصطدم مع سياق تاريخي وثقافي من نوع جديد، ماسيجعله يبتكر أسلوبا جديدا في الدفاع عن تيار أهل السنة والجماعة.

ليستمر الإصلاح السلفي بعد عصر الإمام إبن حنبل،حيث يقول **(المبحوث رقم 11)**"في كل عصر يأتي الله برجل شجاع في الدين و إمام مصلح على منهج أهل السنة والجماعة،يعيد لهذه الأمة دينها الصحيح،حتى لا يضيع دينهم مثل الإمام المصلح شيخ الإسلام إبن تيمية ومحمد إبن عبد الوهاب وقبلهم الإمام أحمد إبن حنبل"،إن هذا الخطاب الذي صدر من هؤلاء السلفيين في المجتمع المحلي،هو في حقيقة الأمر نتيجة لتلك الحلقات العلمية التي يحضرها هؤلاء السلفيين،أين يتم تلقينهم من خلالها من يسمون عندهم علماء أهل السنة والمراجع المتفق عليها،والتي تمثل النهج الذي وجب عليهم التمسك به.إنه الإصلاح الذي يدافع عنه هؤلاء الشباب السلفي داخل حي كوشة الجير،على ذلك النهج الذي رسمه هؤلاء العلماء، فهو في مخيالهم وعقائدهم الخاصة أنه هو التدين الصحيح، وهم عنه راضون وبه مقتنعون،وحسب رأيهم وكأنها توحي لنا برسالة هي متوارثة عبر الأجيال،ترسم صورة الثقافة الإصلاحية التي لاتغادر خطابهم،والتشبث بهوية موروثة منذ قرون سابقة،والدفاع عنها هو جوهر تفكير هؤلاء الشباب السلفي،ففي لسان حال هذا المبحوث أن المجتمع الواقعي المعاصر, هو بحاجة إلى إصلاح كبير،من العلماء السلفيين،حيث يقول (**المبحوث رقم2**)"نحن في زمن الفتن و الإبتعاد عن الطريق الصحيح،ولهذا نحن من خلال الحلقات التي نقوم بها ،داخل المسجد هو الموعظة وتنبيه الشباب والأطفال على الإقتداء بالسلف الصالح،وذلك مواصلة على نهجهم من خلال

إصلاح المجتمع"،من هذا الكلام يتمظهر لنا أن هناك معالم التأثر بالأئمة المصلحين،في تاريخ الفكر السلفي الإصلاحي المتبع،وإذا ماعدنا إلى مابعد الإمام أحمد إبن حنبل كما ذكرنا في البداية،والذي وضع الدعائم الأولى لهذا المنهج،سنجد هناك تواصل في التاريخ،مع إبن تيمية.

يعتبر الشيخ إبن تيمية في الأعراف السلفية المعاصرة ،أنه بمثابة شيخ الإسلام بدون منازع،فمع مرور الزمن ظل إبن تيمية يزداد تمسكا بتوجهه الديني الحنبلي,وتابعا للإمام إبن حنبل الذي يعتبر قدوته [12]،وهذا كدلالة واضحة بأنه إستلهم تفكيره الديني من الطريق الذي حدد بداياته الأولى الإمام أحمد إبن حنبل،وهنا يقول **(السلفي المبحوث رقم 13)**بالحي المدروس كتعليقا على هذه النقطة"لما جاء إبن تيمية وجد الصوفية والخرافات،وإبتعاد الأمة عن النهج الصحيح،وعن الكتاب والسنة،فقام بمواجهتهم بالدليل والحجة،وحارب التفلسف في الدين وإعتبره زيغ عن المنهج"،إنه المصلح الذي واصل مواجهة التدينات التي أصبحت تشكل هويات هجينة ودخيلة على الدين الإسلام من منطلق تفكير هؤلاء السلفيين في التاريخ.من هذا الخطاب يتراءى لنا أن الشيخ إبن تيمية يعتبر من الممثلين الأساسيين للهوية السلفية،و التي يتمظهر من خلالها مجتمع الدراسة ويعتبرونها كمرجعية علمية, لا يمكنهم نسيانها في ممارساتهم وخطاباتهم التوعوية،إنها العودة إلى الجذور الأولى للإسلام،فهو صراع في نظرهم خاضه علماء أهل السنة والجماعة في التاريخ، من أجل المحافظة على الأصول الأولى للتدين الصحيح بالنسبة لهم،يقول السلفي(**المبحوث رقم 10)**"كل ما قام به شيخ الإسلام هو محاربة البدع التي ظهرت في زمنه وجاهدها حتى دخل السجن"،وهنا كان يقصد الصوفيين الموجودين في الحي، وأن الشيخ إبن تيمية حارب الصوفيين في عصره، وهم بدورهم يواصلون على نفس المنهج في محاربة الصوفيين في الحي المدروس.

لقد كانت هناك سجالات للشيخ إبن تيمية في زمنه، والتي قادته إلى القيام بمناظرات وكتابات من أجل إظهار، ما كان يسميه المنهج السني الواجب إتباعه,.لقد كان الشيخ إبن

12-أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحصين،دعوة الإمام محمد إبن عبد الوهاب سلفية لا وهابية،تقديم الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ال الشيخ،دار عالم الكتب للنشر والتوزيع،1999.ص42.

تيمية حازما في الذود عن مذهب السلف الصالح،فلقد عاصر موجة المغول والتتار والحروب التي خاضها المسلمين ضدهم،ماجعل الإسلام، يتمظهر تحت تمثيلات ثقافية جديدة،فلم يعد في هذه الفترة الزمنية من العصور الوسطى، أن تبقى الخلافة حكرا على القرشي أو العربي،لقد أصبح العجم وغيرهم من الأجناس، يجلسون على كراسي إمارة المسلمين،وهنا ستبدأ رحلة التفسير الثقافي للدين الإسلامي من منظور ثقافي غير عربي، عن طريق تمازج ثقافة هؤلاء العجم المسلمين، مع دينهم الإسلامي الجديد،مايجعل إبن تيمية في هذه الحالة، يرى أنه خطر على الدين الإسلامي، من خلال تسرب الفلسفة الأعجمية، وتغلغلها ضمن منهج التفسيرات الفقهية الإسلامية.لقد تخوف من الغزو المغولي الذي حاول إضعاف أركان الدولة الإسلامية،حيث بدأ يستشرف أن بقاء الأوضاع سارية المفعول على هذا النهج، هو بمثابة الطمس التدريجي للهوية الإسلامية النقية والصافية،خاصة إذا ما رأينا في جانب آخر إلى جانب الغزوات المغولية،ظهور الحركات الدينية الباطنية، وغيرها ممن رأى فيهم الشيخ إبن تيمية، الخطر الكبير على تأويل النصوص الدينية، وفقا للأهواء الباطنية،وفي هذه الفترة كان التفكير الذي أسسه الصوفي محي الدين إبن عربي، بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس في مسألة وحدة الوجود،و التي أقر بها في تصوراته للوجود، وهنا سيكون الشيخ إبن تيمية حازما في هذه الأخيرة، ويكفر بشكل علني الشيخ إبن عربي، ويرى في عقيدته أنها عقيدة المجوس والمسيحية المحرفة، وكلام فلسفي متأثر بالفلسفات القديمة في تفسير الوجود على سطح الأرض,وهو الخطاب الذي يردده السلفيين في حي كوشة الجير إتجاه الصوفيين حول مسألة الحلوليين.فإذا كان الشيخ أحمد إبن حنبل واجه المعتزلة في ما سمي بإشكالية: هل القرءان مخلوق أو منزل من الله،وكانت هذه من أبرز مواقفه في ذلك العصر،فسيكون الشيخ إبن تيمية فيما بعد ،أكثر توسعا في المجابهات التي قادها ،فسيواجه في عصره قبل دخوله السجن،كلا من: الأشعرية التي تؤول النصوص، والباطنية التي تؤمن بعقيدة إبن عربي، والصوفيين الذين قال أنهم إبتدعوا مسألة التوسل والأوراد وهي أمور بدعية،وإلى جانب هذا لن يكتفي بالمجال الإجتماعي في محاربة الفرق الضالة حسبه،بل سيتطرق كذلك إلى الجانب السياسي، وهو شيء جديد في عصره، مقارنة مع سابقيه في المنهج، حيث سيكون الكتاب

الذي ألفه في زمنه حول السياسة الشرعية،و التي وجب من خلالها إصلاح الراعي والرعية، بمثابة الكتاب الذي وضح من خلاله مشروعه السلفي التطهيري، وأنه لا ينتقد فقد الدولة على المستوى القاعدي الإجتماعي،بل كذلك يتطرق إلى الدولة من خلال النظام الحاكم ،وكيف يجب على الخليفة المسلم والرعية في الإمتثال للسياسة الشرعية، وفقا لمنهج السلف الصالح المأخوذ من عصر النبي صلى الله عليه وسلم،إنه الكتاب الذي سيكون له وقع كبير، في مشاريع التوجهات السلفية المعاصرة في زمننا هذا.لقد وجه نصيحة دينية إلى ولاة الأمور,أين يرى بأنه من المفروض على ولاة الأمور أن يأمروا الرعية بوجوب الصلاة,ومعاقبتهم لكل من لا يصلي[13]، حيث تكون هذه الممارسات التي على الخليفة المسلم أن يتخذها ضمن برنامجه السياسي في تسيير شؤون الدولة الإسلامية، بمثابة إشارة واضحة الدلالة على أنه خليفة شرعي في كتاب الشيخ إبن تيمية،وهنا نجد أن فقه العبادات و الذي يتمثل في علاقة المسلم مع الله، لم يفصله الشيخ إبن تيمية عن الحياة السياسية خارج الدين،بل في نظره أن الخليفة المسلم هو مطالب بحماية الدين الإسلامي ضمن حكامته،بل لا يمكنه أن يعزله عنها،ولهذا تطرق إلى مسألة الصلاة وأمر فيها الولي على المسلمين، بأن يعمل على تطبيقها مثل باقي ميادين الحياة السياسية الأخرى.لقد كان خطاب السلفي **(المبحوث رقم 07)** في التعليق على كتاب السياسة الشرعية قائلا:"لقد قرأته منذ مدة،هو بمثابة دستور يحمل في مضمونه كيفية تنظيم حياة المسلمين وفق المنهج السليم للدين الإسلامي"،إن الشيخ إبن تيمية يعتبر ضمن النسق التاريخي في سيرورة التيار السلفي،بمثابة أحد الوسائط المهمة في التأسيس للسلفية المعاصرة،حيث لا يخلوا خطاب السلفيين في مجتمع الدراسة، من الإسهامات التاريخية التي جاءت على يدي الشيخ إبن تيمية الحراني الدمشقي،وذلك في إرشاد ولاة الأمور في المحافظة على منهج أهل السنة والجماعة،وكان في نظرهم أنه يعتبر هذا أهم سبب في الزج به داخل سجون الخليفة في ذلك العصر.سجن الشيخ إبن تيمية بعد الرد على الحلاج وإبن تيمية وتوسل الصوفيين بقبور الموتى ،فما وجدناه في آراء السلفيين مجتمع الدراسة، أنهم يمجدون هذا التصرف من طرف الشيخ إبن تيمية، بل ويعتبرونه جهاد في الدين، وهو بمرتبة أعلى من المجاهد

13-الشيخ أحمد أبن عبد الحليم إبن عبد السلام إبن تيمية(661ه-768ه)،السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،تحقيق:علي إبن محمد العمران،إشراف بكر إبن عبد الله بوزيد،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،دون تاريخ،ص96.

في الحروب،لأن حسبهم هو يعمل على الحفاظ على العقيدة والهوية الصحيحة التي تعتبر المرتكز الحقيقي للتدين النقي.لقد تم الإعتراف بالمجهودات التي قام بها في زمنه، ليس فقط على المستوى الفقهي،بل كذلك مشاركته في الحروب ضد العجم الكفار، وكذلك ضد الفرق الباطنية التي أفتى بجواز قتالهم، لأنهم تعاونوا مع التتار في محاربة دار الإسلام،إن تأثير الشيخ إبن تيمية خلال عملنا البحثي الذي قمنا به حول هذه الشخصية، لم يكن فقط في زمنه وبيئته التاريخية، بل سيصبح بعد فترة من ذلك العصر، بمثابة الملهم الذي ستأخذ منه مختلف الحركات الدينية السلفية، الروح العلمية والأفكار الجهادية في مواجهة حكام عصرها، وشعوب مجتمعاتها التي تعيش معها، مثل الحركات الجهادية على سبيل المثال.

سنستدل بكلام السلفي **(المبحوث رقم 05)**حول شخصية المجدد الثاني في مذهب أهل السنة والجماعة، الشيخ إبن تيمية في مسألة تأثيره على مذهب أهل السنة في عصرنا، فيقول"يعتبر الشيخ إبن تيمية مجدد بمعنى الكلمة،لقد واجه تلك المرحلة حسبما قيل لنا من طريق علمائنا المعاصرين أمثال الشيخ الألباني، بأن الشيخ إبن تيمية كان أمة في الحفاظ على العقيدة الإسلامية،يعتبر بمثابة الرجل المصلح الذي يأتي به الله على رأس كل قرن، من أجل إصلاح حال المسلمين كما جاء في الأثر،نعم نحن نعترف بأن تأثير الشيخ على عقائدنا الحالية واضح جدا، وهذا هو ما نقر به بأنه منهجنا الذي خلفه لنا السلف الصالح"،فهم بهذا الخطاب ينضمون إلى جانب السلفيين الآخرين في بلدان أخرى، بأنهم يمرون في نفس النسق والخط التصوري للتدين، مثلماء أقر به شيخهم في ذلك العصر.فلن نتعجب مرة أخرى في تضمن خطابهم أثناء المقابلات الميدانية التي أجريناها معهم،بأنها تتضمن الكثير من الجمل التي لا تخلوا من الإستدلال بالشيخ إبن تيمية،وذلك يتمظهر في الدفاع عن هويتهم السلفية في حي كوشة الجير، الميدان المدروس.

يعتبر الصراع الذي خاضه الشيخ إبن تيمية داخل مجتمعه الذي رأى فيه تعدد الثقافات والتصورات الدينية، بمثابة تلك الهويات التي تسبح على مسرح الحياة اليومية،حيث كل هوية تريد فرض منطقها الديني داخل المجال المعاش،يمكننا في هذه الحالة من الناحية الأنثروبولوجية أن نتصور تلك الصراعات الثقافية،والتي تمثل

خصوصية كل حركة دينية إتجاه تمثلاتها للإسلام الأول،فالبرغم من غياب هذه المصطلحات الأنثروبولوجية في تلك المرحلة المتقدمة، إلا أن هذا لا يحرمها من أن تستفيد من التصنيف ضمن هذه الأخيرة.فيمكننا في هذه الحالة أن نقر حسب البحث النظري والميداني حول الهوية السلفية في المجتمع المحلي،أن هذه الأخيرة رغم فقدانها للمصطلحات المعاصرة في تلك الحقبة، إلا أن هؤلاء السلفيين لا يمكنهم أن يكونوا سوى كنسخة متجددة من سلفية تلك المرحلة، فبالرغم من التغيرات التي حدثت في زمننا المعاصر من خلال السياقات الثقافية المتجددة، والتي ألزمت السلفيين على إبداع أفكار جديدة وطرق أخرى،وذلك في مواصلة الدفاع عن مجد مرجعيتهم العلمية التقليدية في قالب جديد،فهذا لا يمكنه أن يكون مفترق طرق بين الماضي والحاضر،بل سيبقى لب هذا التوجه السلفي متواصلا، بل وثابتا،يشكل ذلك المنطق المتوارث عبر الأجيال،وهذا ما وصل إلى أفكار هؤلاء السلفيين في زمننا الحاضر،وذلك من خلال ما يسردونه ضمن مضامين خطاباتهم اليومية.

إلى جانب القراءة التاريخية للشيخ إبن تيمية في المسائل العقدية،والإلتزام الغير مشروط بملهمه في التاريخ،الإمام إبن حنبل،كان علينا أن لا نغفل دور هذه الشخصية الدينية من خلال عقيدتها،وذلك في علاقتها مع الفضاء المعاش، ما يعرف عندنا اليوم: بالدولة والسلطة والمجتمع والفضاء الحضري.إن الخطاب الذي أصدره الشاب **(المبحوث رقم14)**المتحصل على شهادة الماستر في العلوم الشرعية، حول موقفه من إصلاحات الشيخ إبن تيمية، كان له تأثير كبير في عملنا هذا،وذلك من خلال العودة إلى كتابات هذه الشخصية المصلحة، وكيف لهؤلاء السلفيين في مجتمع البحث، يقدسونها ضمن خطابات الحياة اليومية،وذلك من خلال التأثر الواضح بها،حيث يصل في بعض الأحيان، المشاجرة مع المخالفين لهم من أجلها،مثلما حدث لي سنة 2015 مع أحد السلفيين الذي خاصمني،وذلك حول شخصية معاوية إبن أبي سفيان،والذي يعتبر كذلك من الشخصيات التي لا زالت محل جدل في صدر الإسلام،حيث هناك إختلاف حوله بين الطوائف الدينية، من الذين يمدحونه والذين يذمونه والذين يتوقفون في شأنه،مثلما جاء على لسان**(المبحوث رقم 12)**قائلا" هناك من علماء أهل السنة من قال أن معاوية نتوقف في أمره،فلا

نكرهه،ولا نسبه،بل نترك أمره لله".وبإتمامنا لما كنا نقول عن الشيخ إبن تيمية فهو ليس فقط مصلح ديني،أو مرشد سياسي للحكام والرعية كما جاء في كتابه السابق الذكر،بل يعتبر مصلح إجتماعي،وتجلى ذلكفي إعطائه لأفكارضمن معاملات إقتصادية،إجتماعية،وإداريةتتمظهر في كيفية خلق منظومة من المعاملات التي تجمع في الأخير بين موقف الراعي والرعية في بناء مجتمع متماسك،على نهج الكتاب والسنة يسير،وهنا نستفهم أن الرمزية الثقافية التي يتجلى فيها فكر إبن تيمية في هذا المنحى الأنثروبولوجي،إنما هو تعبير على تلك الشخصية التي تحاول التوفيق بين علاقة الإنسان بربه،وذلك من خلال إصلاح عقيدته التوحيدية،وكذا علاقته مع المجتمع،وذلك من خلال ما يصطلح عندهم بفقه المعاملات في العلوم الإسلامية،أي فقه الحياة اليومية من خلال علاقة التبادل والتفاعل بين أفراد المجتمع الإسلامي.وهذا دائما يتماشى وفقا للشريعة الإسلامية، وهنا تظهر جليا خلفية الإرتكاز على خصوصية المجتمع الإسلامي الذي دافع عنه الشيخ إبن تيمية،متجاوزا بذلك الفلسفات التي إنتشرت في وقته،ولم يضفها ضمن مخططه الإصلاحي،كونها لا تتوافق مع منهج أهل السنة والجماعة عقائديا بالدرجة الأولى.يقول **(المبحوث رقم 07)**"الشيخ إبن تيمية،هو مصلح ديني ومصلح إجتماعي،حيث لم يتكلم في الدين فقط،كذلك تكلم حسب ما جاء على لسان العلماء في علاقة الناس مع بعضهم البعض"وهنا نجد أن فكر إبن تيمية على عدة مستويات،من خلال التنظير لصالح مجتمعه آنذاك،لم يبقى حبيس الأدراج،ولم يبقى مرتبطا بتلك الفترة الزمنية،بل قد وجد مكانته داخل مضامين الخطاب الذي يسرده هؤلاء السلفيين المستجوبين في حي كوشة الجير،وهم لا يتوقفون عن ذكر مزاياه الإصلاحية في خطاباتهم التوعوية اليومية،وهذا ما ينهلونه من شيوخهم وعلمائهم عبر الطرق والوسائل التكنولوجية المعاصرة،إلى جانب الحلقات العلمية على الطريقة الحضورية الكلاسيكية.

لقد بدأت أصوات تنادي في النصف الثاني من القرن الماضي، بضرورة العودة إلى التراث الذي طغى عليه الفكر الكولونيالي للمجتمعات الغربية ،داخل المجتمعات الإسلامية،ماجعل الأجيال التي جاءت فيما بعد،تجهل تاريخها الذي تعرضت للقطيعة معه ،وذلك من خلال المشاريع التغريبية التي كان هدفها السطو على خصوصيات الآخرين،

وذلك بإستبدال ثقافتهم المحلية،بثقافة تسمى بالعالمية الأوربية.لقد نجحت هذه الأخيرة في إغراق هذه المجتمعات المستعمرة ،تحت هيمنة مصطلحات ومفاهيم غزت منظومتها الأكاديمية،حيث لا نجد اليوم أي باحث لا يمكنه تجاوز الإسقاط المحتوم لها، على واقعه المحلي،نتيجة الغياب الشبه تام، لمفاهيم مستنبطة من فقه الواقع المحلي،إلا النذر القليل من الذين إستفاقوا في الآونة الأخيرة من أمثال: مالك بن نبي،جمال غريد،عبد القادرجغلول،عبد القادر لقجع وغيرهم،في ميدان العلوم الإجتماعية.إن تفحصنا لشخصية إبن تيمية من خلال ما جاء في كتاباته،لا يمكننا المرور بشكل سريع دون التمعن فيما طرحه على المستوى الإقتصادي،حتى لا يظن الذين يستبقون الأحداث ،أن الحركات السلفية هي في الأخير ليست سوى مشروع عقائدي في تنظيم علاقة المرء بربه،فهنا سوف نعود إلى أهم كتابات الشيخ إبن تيمية، والمتمثل في كتابه الحسبة في الإسلام.إن هذا الكتاب، من خلال التمعن داخل مضامينه، سيجد القارئ من خلاله منظومة من الأفكار الإقتصادية الممزوجة بالدين، في كيفية ضبط و تسيير الحياة المدنية.إنه لا يترك المستوى السياسي،ولا العسكري من خلال صناعة الأسلحة،ولا على مستوى الفلاحة، والصناعة، وكذا البيوع ،وهو يحاول توجيهها ضمن الكتاب والسنة، مستدلا بالقرءان والحديث النبوي الشريف، وكذا ماجاء في كتابات من سبقه من العلماء المسلمين.ففي مسألة البيوع والسعر مثلا: جاء في مضمون كتابه بأنه إذا وجد القاضي بأن التسعير في البيوع قد يحفظ حقوق الرعية,فعليه بذلك تحت مشاورة أهل الخبرة والبصيرة[14]،حيث تغليب المصلحة العامة على المصلحة الفردية، ليست وليدة ثقافات ونظم المجتمعات الغربية المعاصرة بالشيء الحتمي،فهاهو الشيخ إبن تيمية في القرون الوسطى، يعطي أفكارا في تنظيم الإقتصاد الإسلامي بما يخدم مصلحة المجتمع،ويلزم فيها القضاة والولاة بالعمل على متابعة هذه القضايا،وذلك يتشابه مع نفس السياسات المعاصرة، من خلال تدخل الدولة بمؤسساتها في مرات كثيرة، في ضبط الأسعار داخل الأسواق المحلية،أليس هذا دليل مهم في أن التراث الذي لا نهتم به،هو في حقيقة الأمر، يحمل نفس الأفكار التي تبلورت ضمن مناهج سياسية وإقتصادية،تم تصديرها لنا في قالب معاصر وجديد، وكأنها تم خلقها في القرون الأخيرة

[14]-شيخ الإسلام أحمد إبن عبد الحليم إبن تيمية،الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ص40.

من لا شيء،ونذكر هنا بالسوسيولجي الجزائري جمال الدين غريد،الذي تطرق لمسألة المفكرين في الإسلام،وكيف وجب علينا أن نعترف بأن هناك مفكرين مسلمين، تركوا الكثير من المسائل المهمة في بناء مجتمع على قواعده الخصوصية يرتكز،متجاوزا إنتظار الأفكار والأشياء التي لم ولن تتوافق إلا مع البلدان التي جاءت منها.

يقول الشاب **(المبحوث رقم 04)"**ترك الشيخ إبن تيمية مجموعة من العلماء الذين واصلوا من بعده منهجه في الإصلاح، ومن أبرز العلماء الذين هم من تلامذته هو الشيخ إبن القيم الجوزية"،فها هو شخصية أخرى ليست سوى من ضمن الشخصيات التي تكونت على يدي المصلح **إبن تيمية الحراني االدمشقي.إبن القيم الجوزية(691ه-751ه)**،الدمشقي،المتشبث بالإرث الحنبلي،وعلى خطى شيخه إبن تيمية يمضي،دخل معه السجن في قضية التبرك بالقبور.للشيخ إبن القيم الجوزية عدة مؤلفات لا يحصى عددها، يدافع من خلالها على العقيدة الإسلامية وهوية السلف الصالح،لقد حاول وضع كتاب يشبه إلى حد ما،كتاب شيخه إبن تيمة،وهو كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، والذي أورد فيه نصائح للقضاة والحكام، في كيفية تعاملهم مع المشكلات التي تطرأ على واقع المجتمع الإسلامي.

إن المقابلات التي أجريناها مع شباب كوشة الجير السلفي،أوحت لنا من خلال الرجوع إلى ماضي هذه الحركات الدينية،أنها لا ترتبط بالمؤسسين الأوائل فقط على المستوى العقائدي،بل كذلك يتمسكون بهم في فقه الحياة اليومية من الزاوية الدينية.يعتبر الشيخ إبن تيمية بمثابة الملهم الذي أثر بشكل كبير، في السلفيات المعاصرة، بالرغم من التعددات التي شهدها هذا التيار،إلا أن كلها لا يمكنها أن تتجاوز أفكار إبن تيمية،حيث هناك من إستفادت منه على المستوى السياسي ،وهناك من إستفادة منه على المستوى الإقتصادي،وهناك حركات جهادية،إغترفت من فقهه الجهادي الذي خصه لزمنه وسياقه التاريخي،في محاولة إسقاطها له، على واقعها المعاصر.هذا ما يجعل هذه الشخصية بمثابة جدل تخلقه بين المفكرين،فمنهم من يراها شخصية إصلاحية،ومنهم من يراها شخصية جهادية،من خلال قرائتهم لتراثه الذي تركه،وتعد السلفية العلمية لغاية اليوم من خلال

مجتمع البحث، من ضمن السلفيات التي أخذت من فقهه: الإصلاح العقائدي،والمحافظة على العلوم الشرعية من داخل الدين الإسلامي، وهو ما جاء على أفواه المبحوثين الذين يقرون بضرورة طلب العلم الشرعي،والذي يعتبر من الفروض الواجبة على المسلم من أجل الحفاظ على دينه،والدفاع عنه متى تطلب الأمر ذلك،خاصة فيما يخص العمل على نشره داخل المجتمع المحلي، كما يفعل ذلك بعض السلفيين من الذين إستنطقناهم في هذه الصدد.

إن المدينة التي أسسها النبي صلى الله عليه وسلم،كانت ذا طابع ديني إسلامي،حيث كان مشروع تنظيم الحياة العامة في مختلف المجالات، يتم فيه الرجوع إلى ما يقر به صاحب الرسالة.إن فكرة فهم ثقافة المجتمع السلفي، ليست سوى محاولة منا،لأجل التغلغل داخل تاريخ هذا التيار,.ما لاحظناه في كتابات هؤلاء المؤسسين للتيار السلفي،هو محاولة منهم تذكير مجتمعهم الذي جاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم،بضرورة تسيير الحياة المدنية، وفقا للنمط الذي كانت تسير عليه في بداية الإسلام الأول,.لقد كان السلفيين في الحي المدروس، يستشهدون خلال الحديث معهم، بعدة قضايا عالجها النبي صلى الله عليه وسلم،يعتبرونها بمثابة مرجعية، وجب على المسلمين العودة لها،وترك القوانين المعاصرة التي لا تتوافق حسبهم مع العقيدة الإسلامية.

إن **قوله تعالى[15]"ولا تنسى نصيبك من الدنيا"**،بمثابة كلمات من داخل النص القرءاني، تدل على أن المسلم لم يخلق فقط لأجل جانب تعبدي فقط،حيث جاء في أدبيات التفاسير الكلاسيكية والمعاصرة للقرءان الكريم،أن الدين الإسلامي ليس فقط في وجوب تقييد العبد في عبادة الله فقط،فهذا فهم غير واسع للدين،إن تنظيم الحياة الإجتماعية هي الأخرى وردت في النصوص القرءانية،وهنا يقر السلفيين بأن التمتع بالدنيا من خلال الكسب المشروع والحلال الذي لايتعارض مع الإسلام،هو أمر ورد في النص القرءاني،وذلك على سبيل المثال: الحرية المقيدة في الزواج بأكثر من إمرأة، إذا توفر شرط العدالة بينهن.إن التشدد الذي ظهر على المستوى العقائدي في التمسك بالنص المقدس دون تأويل ولا تحوير ولا إدخال رأي في فهمه،لا يمكنه أن يغطي تلك الإسهامات

[15] القرءان الكريم،سورة القصص،الاية 77.

الأخرى في ميدان تنظيم المجتمع المسلم.فإذا كان المفكر إبن تيمية وتلميذه إبن القيم الجوزية كانوا على قدم وساق،في إثراء الإرث الحنبلي،فهم لم ينسوا نصيبهم من الدنيا،في التفكر داخل تنظيم الحياة الإجتماعية،وذلك وفق منهج أهل النقل والنص.يتراءى لنا أن مؤسسي هذا التيار كان لهم تشدد على المستوى التوحيدي في توحيد الله وحده للعبادة، والكلام في أسماء الله وصفاته دون تجسيم ولا تكييف، حسب ما يثار في هذه المسألة،إنه الموضوع الذي لازال يطرح نفسه إلى زمننا هذا، بين الحركات الدينية.سيكون بعد قرون من زمن هؤلاء المؤسسين عهد جديد وتاريخ آخر،من تلك الحركات التي ستدلي بدلوها في تأسيس مذاهب سلفية تحاول هي الأخرى, أن تنسج لها منطقا يتوافق مع الكتاب والسنة, حسب ما تراه هي من زاويتها.سيكون الشيخ محمد إبن عبد الوهاب من الشخصيات التي ستثير ضجة كبيرة في القرون المعاصرة,.لن تتوانى هذه الشخصية في نظر الشباب المدروس في الدفاع عن مذهب أهل السنة والجماعة ولن يكون مدحهم لها، أقل درجة من السابقين,.هي الشخصية الأكثر تشددا في الإصلاحات التي تنادي بها،إذا ماقورنت بماضي علماء هذا المنهج.

ج - المرجعية السلفية الثالثة,محمد إبن عبد الوهاب النجدي(1703م-1792م):

من قبيلة تميم،بنجد، من الحجاز ينحدر،كانت المرحلة التي عاش فيها محمد إبن عبد الوهاب ،هي مرحلة السياق السياسي الثقافي الذي تمثل في السيطرة الواسعة للدولة العثمانية على سائر البلدان العربية,.لقد كانت الدولة العثمانية تجد في الحركات الصوفية، بمثابة التدين الصالح لها،وذلك من ناحية مساعدتها على الإستمرار في بقائها تتربع على كامل الأقطار الإسلامية من منظوره,في هذه المرحلة بدأ القلق يدخل في تكوين شخصية النجدي السلفي،فسيكون له مستقبل كبير، في مواجهة ذات شكلين من المستويات،تتمظهر الأولى في: مواجهة السلطة العثمانية، وهي تعتبر مواجهة سياسية،بينما تتمظهر المواجهة الثانية في: محاربة الطرق الصوفية كما سنلاحظ ذلك في هذا الصدد.

أردنا في بداية التطرق إلى شخصية إبن عبد الوهاب، من خلال كلام الشاب فتحي المتخصص في العلوم الشرعية، فيقول حول هذه الشخصية"يعتبر الشيخ محمد إبن عبد الوهاب المجدد والمصلح الثاني والثالث بعد الإمامين،إبن حنبل وإبن تيمية،هو رجل دين، جاء فوجد الوضع الديني غيرصحيح،تجلى ذلك في الطرق الصوفية والخرافات التي إنتشرت داخل بلاد المسلمين،كانت الدولة العثمانية هي طرف رئيسي في نشر وتدعيم دين الضلال"،هي شخصية ظهرلنا منذ بداية الحديث مع هؤلاء السلفيين، أنها ستكون محل مدح بلا شك، وكتاب التوحيد الذي سنتطرق له لاحقا،دائما ما كان على لسانهم يذكر.لقد حاول محمد إبن عبد الوهاب، التوفيق بين الدولة والمجتمع، في ضبط الدولة الإسلامية على منهج أهل السنة.يقر الكثير من الذين إهتموا بشخصية محمد إبن عبد الوهاب،أنها تعتبر النقطة الأخيرة التي إكتملت بواسطتها ما تسمى السلفية بالمفهوم الحديث.لقد كان سببا مهما في تدهور الدولة العثمانية في المشرق ،خاصة بعدما تحالف مع الكثير من قبائل العرب،والتي كانت لاتزال سمة القبلية تتغلغل داخل كيانها،حيث ذكرهم بأن الذين يجلسون على كراسي إمامة المسلمين، هم في حقيقة الأمر من العجم.مستدلا بجواز الإمامة في قريش فقط، كما ورد في السيرة النبوية والحديث،من هنا ستكون المواجهة الأولى مع العثمانيين، ثم فيما بعد مع الصوفيين في مسألة الأضرحة المرتفعة عن سطح الأرض.من الإمام أحمد إلى الشيخ إبن تيمية ثم محمد إبن عبد الوهاب، سيتشكل في الأخير، التيار الذي أصبح فيما بعد، يصطلح عليه بالوهابية تارة،وبالسلفية تارة،وأهل التوحيد والموحدون تارة أخرى.فكيف ستتمظهر لنا أهم الأفكار التي تشكل العقيدة السلفية للوهابيين، إنطلاقا من المجدد الثالث لأهل السنة والجماعة، من خلال تدين المسلمين الأوائل، الذين صاحبوا النبي صلى الله عليه وسلم،فأصبحوا يسمون بالصحابة؟.سيخلق هذا الأخير في القرن 18 ميلادي جدلا كبيرا عندما يتعرض لقبور الصحابة، من خلال هدم ما إرتفع منها عن سطح الأرض،معتبرا ذلك خروج عن طريقة الدفن عند أوائل المسلمين.

في نجد،في بلاد الحجاز في القرن 18 ميلادي،ستظهر شخصية إسلامية أخرى تأخذ حبل مواصلة الدعوة الحنبلية،وكذا دعوة الشيخ إبن تيمية وتلميذه إبن القيم الجوزية،إنه الشيخ محمد إبن عبد الوهاب الذي فجر صراعا فكريا جهاديا في منطقة

الحجاز وماجاورها،وذلك من منطلق الإصلاح المزعوم من طرفه،وأصبحت تسمى الحركة الوهابية في الحجاز،الأشهر في التاريخ حسب هؤلاء السلفيين من حيث الإصلاح المذهبي السليم في القرون الحديثة،وتعتبر بمثابة النموذج المثالي الذي يجب الإقتداء به حسب تمثلاتهم في المخيال الجماعي لهذه الجماعة الهوياتية المشتركة في العقيدة السلفية،أين يتمظهر ذلك في كتابات المفكرين كذلك، أن[16]"الإصلاح الديني المسمى بالوهابية،هو الأول من نوعه في الإسلام المعاصر"،خاصة من ناحية السياق الثقافي الذي جاءت من خلاله هذه الحركة،وكذا الطريقة التي إستعملت عند أتباع الوهابي النجدي في طريقة التغيير، والتي تختلف في شكلها خاصة، عن طريقة المؤسسين الأوائل لهذا التطرف الديني التاريخيمن خلال إستعمال السلاح والقوة القبلية, .ومن خلال هذا التيار الذي فاجأ المجتمعات المعاصرة في ظروف لم تكن تنتظرها في تلك المرحلة،أصبحت منذ تلك الفترة وما بعدها من قرون،منطقة الحجاز،تعتبر بمثابة القطب المركزي الذي يصدر التيارات الدينية إلى البلدان العربية والغير عربية،خاصة عندما نتفحص القنوات العالمية التي تهتم بالحركات السلفية، القديمة منها والحديثة، حيث كل تيار أخذ ما يصلح له من الفكر الوهابي في الحجاز.وهنا نعود إلى مواقف السلفيين في الميدان المدروس،والذين يتمسكون بالسلفية التقليدية والعلمية فيما بعد، في السير على خطى هؤلاء الأعلام،والذين مهما تغيرت السلفية في بعض الإجتهادات الحديثة،إلا أنهم سيبقون بمثابة الركيزة الجوهرية في تمسلف المعتنقين لها،خاصة في مسألة العقيدة التوحيدية.هنا يقول الشاب مهدي معلقا على الوضع الجديد الذي لم يتقبله المخالفين في تلك الظروف التاريخية العصيبة حسب رأيه،أين أصبح الدين غريبا عن بلاد الحجاز، فيقول"لقد وجدنا في كتابات العلماء ودروسهم،أمثال الشيخ الألباني،إبن باز،والعثيمين،رحمهم الله أجمعين،أنه بعد ظهور الشيخ محمد إبن عبد الوهاب في القرن 18 ميلادي،على ساحة الإصلاح الديني،من أجل إعادة الدين السني إلى أصوله الأولى،قامت قيامة أهل الضلال في تلك الفترة من الصوفيين والشيعة الروافض، الذين إغتنموا فرصة موت السنة في تلك القرون، بسبب الدولة العثمانية الخبيثة التي إستعملتهم لصالحها،ما جعلهم ينشرون دين الجاهلية

[16]Pascal ménoret,l'énigme saoudienne,les saoudienne et le monde 1744-2003 préface de françois bougat,edition la découvert,paris,XIIIe 2003.p57-58.

ماقبل الإسلام،ولم يتقبلوا ظهور المجدد الشيخ محمد إبن عبد الوهاب،الذي نعتبره عندنا من أهل السنة والجماعة،حارب تقديس الأولياء،والطواف على القبور مثل مناسك الحج"،وهنا نستفهم أن العدو الأول للوهابية في تلك المرحلة هم:العثمانيين،الصوفيين،وفيما بعد الشيعة الروافض كما يسمونهم في الأعراف والكتابات السنية الكلاسيكية.

هي خيوط متواصلة ضمن منطق متسلسل لهذا التيار المعتمد على النقل، لا العقل بالدرجة الأولى،وهو مسار تاريخي لهذا التيار السلفي ومعتنقيه،و الذين لا يريدون أن يتركوا هذا الأخير،معتبرينه ثقافتهم التي هي بمثابة كيانهم، بل وجدوا لأجله، وأن الحياة الدنيا ليست سوى إمتحان للناس، هل يصلحوا أنفسهم، أم يعصوا ربهم، وفي الآخرة هناك جزاء لكل فرد، مستدلين في ذلك بالنص القرءاني، في الآية الكريمة التي تقول بعد: [17]"بسم الله الرحمان الرحيم"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"،حيث وجودهم على سطح الأرض، هو لعبادة الله بدرجة أولى،و الذي ينقذهم عقائديا من العذاب في الآخرة، عندما يمتثل له روحيا هؤلاء الشباب المدروسين في حي كوشة الجير ميدان البحث،وذلك يتجلى عندهم من خلال الإيمان المترسخ داخل قلوبهم،وجسديا من خلال الممارسات اليومية لمختلف العبادات،خاصة في علاقتهم مع الصلاة.إن الخطاب الذي وجدناه داخل الميدان المدروس، فهمنا من مضامينه أن السلفية بتطرفها ومنهجها عبر التاريخ،تعتبر بمثابة هوية لا يراد لها الزاول والإندثار، تحت سلطان الهويات المضللة للمجتمع المسلم، من منظور السلفيين أنفسهم.وذلك يتجلى في كونهم يرددون أنه في كل فترة، يظهر علماء سنيين ينقذون الأمة الإسلامية من الضلال,.وأن محمد إبن عبد الوهاب، ليس سوى واحدا من هؤلاء الرجال,.منطق ثابث عند سلفيي حي كوشة الجير،فمن خلال تذكير مجتمعهم المحلي بما صنعه أبطالهم في التاريخ،هو تعبير واضح المضامين على السير على خطى أسلافهم في الحجاز، من أجل نشر هذا التيار في المجتمعات المغاربية عامة،والمجتمع الجزائري خاصة،فمن خلال التوعية التي تكون داخل الحي للشباب الغير سلفي،يتم فيها تذكيرهم بأن علماء السلف الصالح،قد تعبوا قديما في الحفاظ على منهج النبي صلى الله

[17] سورة الذاريات، الآية 56القرءان الكريم،

عليه وسلم وصحابته الكرام،ولكن بالرغم من ذلك، فقد وصلنا هذا الدين محفوظا بسبب جهادهم، ضد من ينعتونهم بالضالين عن طريق أهل التوحيد الحقيقيين.

لقد برز الظهور على المستوى الرسمي،تاريخيا للفكر الوهابي، من خلال ذلك التحالف الكلاسيكي الذي أسس دعائمه الأولى، الشيخ محمد إبن عبد الوهاب، مع إبن سعود في القرن 18 ميلادي،بحيث أصبح معترفا به على المستوى المؤسساتي الرسمي،وذلك بالدولة السعودية الناشئة،من خلال ما أجمع عليه المؤرخين، في ذلك الإتفاق التاريخي الواضح،والذي جرى بين ال-شيخ، والذين يمثلون أحفاد الشيخ محمد إبن عبد الوهاب من جهة،والعائلة الحاكمة:ال-سعود ،والتي تتوارث السيطرة السياسية منذ ذلك التاريخ، على بلاد الحجاز من جهة أخرى،هو إتفاق على تقسيم الأدوار، داخل السعودية المعاصرة،حيث سيكون الجانب الديني لآل-شيخ،والجانب السياسي لآل-سعود،معتبرين بأن السلفية الوهابية هي التي ستكون التدين الرسمي و القاعدي ،للمجتمع السعودي في قالبه السياسي الحديث،عن طريق تأسيس ما يسمى المملكة العربية السعودية،والتي نجدها في هذه الحالة،تخالف تعاليم الدين الإسلامي،حيث أن ال-سعود يتوارثون الحكم على المسلمين من نفس العائلة،بينما النص القرءاني والحديث النبوي، يقر في مسألة الحكم، على طريقة مبدأ الشورى في الإسلام، لإختيار الحاكم،وهذا ما لا نجده في السعودية الوهابية،وهنا علامة تساؤل في هذه النقطة المهمة.حيث بدأ منذ الدعم السياسي الذي تبعه الدعم المالي من طرف الملك،هذا التيار، في حرق مراحل كثيرة،من أجل تمسلف كامل للشعب السعودي،فلم يعد بعد مرور فترة قصيرة،الحديث حول الوهابية في مواجهة الداخل السعودي،بل صار هذا التيار في القرن العشرين، خاصة في نصفه الأخير،منتشرا في البلدان العربية البعيدة،بل حتى في الدول الغربية،وذلك من خلال السلفيين الذين ذهبوا بأموال سعودية،من أجل نشر هذا التيار،إلى أقصى الحدود، لكي لا يدعوا مجالا للتيارات الدينية الأخرى، في السيطرة على الفضاء الديني ،خارج السعودية،مروجين بأنها تيارات متطرفة ومضللة للمجتمعات.

سنعود إلى الشيخ محمد إبن عبد الوهاب، ومدى تأثيره على السلفيين في الحي المدروس،فمثلا أردنا معرفة ما يتم تسميته بكتاب التوحيد،والذي يعتبر من أهم ما جاء على يدي هذا المصلح،فيتكلم الشاب سمير معلقا على كتاب التوحيد للشيخ محمد إبن عبد الوهاب،قائلا:"كتاب التوحيد للشيخ المجدد محمد إبن عبد الوهاب،يعتبر أهم كتاب يعطيك معنى العقيدة السنية الصحيحة ،المأخوذة من طريق السلف الصالح،فهو كتاب مهم لكل مبتدئ في المنهج السني،وهو كتاب يظهر لك مدى الشرك الذي يقع فيه الصوفيين والشيعة،من خلال وصف التوحيد الصحيح لله فقط،لا غيره،فهو كتاب أنصحك بتناوله،لمعرفة العقيدة الصحيحة للمسلمين"،وهنا نجد أن كتابات الشيخ إبن عبد الوهاب،تمثل هي الأخرى إلى جانب سابقيه في المنهج،أفكارا يتمسك بها هؤلاء السلفيين في الحي،بل كل من قمنا معهم بالمقابلات الميدانية،وجدناهم بأنهم،كلهم قرأوا كتاب التوحيد، للشيخ محمد إبن عبد الوهاب,.حاولنا بعد مناقشة مضمون ما جاء في هذا الكتاب مع السلفيين،أن نقوم بالتعليق على هذا الكتاب،و الذي يعتبر عند السلفيين،علماءا كانوا،أم طلبة علم،بمثابة كتاب وكأنه مفروض، على المؤسسات التي يدرسون فيها هذا المنهج،وذلك لتكوين الشخصية السلفية الوهابية، من خلال النيل من أفكار هذا الأخير.

إن التعليق على كتاب التوحيد بشكل خاص،وفكر إبن عبد الوهاب بشكل عام ،هو محاولة وضع فرق طفيف بينه وبين من سبقه في هذا المنهج،وذلك في ما ركز عليه كل طرف في إصلاحاته بشكل كبير،في المشروع المشترك بين هؤلاء المصلحين الثلاثة في التاريخ ،والتي سنعود لها بعد قليل.لقد بدأ الشيخ إبن عبد الوهاب،طريقه الإصلاحي بجانبين مهمين في عمله،حيث هناك جانب إستعمل فيه السلاح والجهاد،والذي إستمده من كتابات الشيخ إبن تيمية في باب الجهاد.بينما الجانب الذي سنعلق عليه، هو الجانب الفكري.يعتبر كتاب التوحيد من الكتب الأولى في مسيرته العلمية,.في هذا الكتاب لاحظنا أن الشيخ إبن عبد الوهاب،لا يتوقف عن الإستدلال بالآيات القرءانية،والتي يدعمها في تقوية طرحه في مفهوم توحيد الله,.يركز على معنى توحيد الربوبية،توحيد الألوهية،وهي أن يعبد الله لأنه هو الذي يستحق العبادة،بينما توحيد الربوبية هو أن الله هو الرازق والخالق لكل شيء,.إن هذا الكتاب،تطرق للكثير من المفاهيم المهمة في الفكر السلفي

الإصلاحي ،مثل: السحر،التطير،زيارة القبور،..الخ،جاء التشديد على ممارسي هذه الأفعال عند الشيخ،بطريقة صلبة،تتجاوز السابقين في هذا المنهج,.ما لاحظناه أثناء تمعننا لهذا الكتاب،عند قراءة محاوره،هو أن كل ما جاء في طياته،لا يغيب عن تلك الخطابات اليومية في الحي،بل كان يذكرنا في كل لحظة،بأن هذه المعطيات،قد سمعناها في الميدان،والتي يتلفظها أولئك السلفيين في الحي،على غرارمسألة: السحر،القبوريين،الشرك بالله،وغيرها من مواضيع الحياة اليومية,.فيه أهم باب عند السلفيين وهو باب تحقيق الإيمان والتوحيد الصحيح,يجعل دخول المؤمن إلى الجنة دون حساب ولا عقاب[18]،حيث التركيز على صفاء العقيدة التوحيدية عندهم،هي لب المذهب السلفي،بل هي الجنة في الأخير،حتى وإن كان هناك أخطاء للعبد في أمورخارج مسألة العبادات،وهذا ما لاحظناه في خطاب السلفيين في الميدان المدروس،كتدعيم منهم لهذا الكتاب المرجعي،والذي يمثل الحجر الأساس، عند من يشكلون تلك التطرفات الدينية السلفية الحديثة,.سيكون في هذه اللحظة من هذا العمل، التفريق بين الشيخ محمد إبن عبد الوهاب، والشيخ إبن تيمية،حيث جاء هذا الأخير ضمن مشروعه الإصلاحي، التأكيد على الجوانب العقدية للمجتمع السني،ثم أضاف إليها، فلسفة الحاكم والمحكوم، من خلال التأليف في كيفية تنظيم إقتصاد الدولة الإسلامية،إلى جانب حث الحاكم على جهاد الكفار والزنادقة في عصره،بينما الثاني :إبن عبد الوهاب، غابت عنه فلسفة التنظيم الإقتصادي والإداري للدولة،مكتفيا بالجانب العقدي و الجهادي،هو يشبه إلى حد ما،الشيخ الإمام أحمد إبن حنبل، الذي إهتم بمجال العقيدة التوحيدية بشكل كبير،سيكون الشيخ إبن تيمية وتلميذه إبن القيم الجوزية في هذه المفارقة،بمثابة الشخصيتين اللتان وضعتا ،مايسمى :مشروع دولة إسلامية من زاوية دينية، سنية،فأضافوا لها الجوانب الإجتماعية والإقتصادية الأخرى،والتي تكتمل بها معالم الدولة بكل مجالاتها المطلوبة.

وبعد تلك الحقبة الزمنية،التي ظهر فيها هذا المصلح التاريخي،بدأت أفكار الشيخ محمد إبن عبد الوهاب النجدي ، بالإنتشار في العوالم البعيدة,.وذلك من خلال نشر كتبه،

18-الإمام المجدد محمد إبن عبد الوهاب النجدي رحمه الله،كتاب التوحيد،حقق نصوصه:أبو مالك الرياشي،أحمد بن علي بن مثنى القفيلي،مكتبة عباد الرحمان،مكتبة العلوم مصر،الطبعة الأولى،2008.ص17.

وكل ما تركه من آثار،إلى مجتمعات أريد لها أن تقتنع بهذا التنظيم التقليدي،بحلته المعاصرة والحديثة,.فأصبح كقدوة يمتثل لها الكثير من المصلحين الذين جاءوا من بعده,.فعلى سبيل المثال في البلدان المغاربية والتي كان لهذا التيار الجديد،نصيب من التوغل داخل منظومتها القيمية الدينية,.حيث في هذا الصدد في بلاد المغرب,فإن ظهور السلفية في المغرب كانت تشبه في بداياتها الأولى الطريقة الوهابية المتوغلة في منطقة الحجاز[19]والتي ساهمت بقدر كبير من خلال علمائها, في الدفع بهذا التيار في الإنتشار في بلدان شمال إفريقيا،أين سنشاهد ذلك في الفصل القادم،عند التطرق إلى موضوع السلفية الإصلاحية،في البلدان المغاربية، فيما يخص حالة الجزائروالمغرب الأقصى.

كتعليق على المشروع الوهابي بشكل عام، يمكننا أن نقول:إن لكل مشروع مهما كانت أهدافه،إلا وله أفكار وقواعد يتمأسس عليها،حيث يشكل المنظومة التي سيسيرضمن نهجها هؤلاء المؤسسين له,.ومشروع الإصلاح السلفي،لم يأتي هكذا دون ترتيب للأفكار والأطاريح،لمشروعه الطموح,.هو مشروع مجتمع إسلامي سني،قائم على الكتاب والسنة،حيث تتمظهر الإيديولجية العقدية التوحيدية بشكل يظهر جليا،على أنها الأساس الصلب، والجوهري للهوية السلفية,.فإذا ما كانت الإيديولوجيات: هي بمثابة أفكار وجب على من يعتنقونها أن تكون لهم تلك الصفة المشتركة في التمسك بأفكارها،فإننا نجد أن المشروع الوهابي في البداية الأولى،إنطلق من خلال التركيز على الوحدة والتماسك،تجلى ذلك في جمع القبائل البدوية في نجد،في توحيدها على عقيدته السلفية,.يمكننا ملاحظة ذلك بشكل رسمي، بعد الإتفاق الذي رسمته العائلة الوهابية من الجانب الديني،مع العائلة السعودية في الجانب السياسي،وذلك ليس سوى من أجل الحفاظ على المكاسب التي حققها كل طرف، من خلال هذا الإتفاق التقليدي,حيث أن السلفية الوهابية كان هدفها الجوهري الذي إرتكزت عليه,هو تنقية العقيدة الإسلامية إنطلاقا من التوحيد وكل شيء له إتصال مع المسائل الغيبية[20]،وهذه المسألة هي الشطر الأول والأساسي لبناء المجتمع من القاعدة كما

19-الحركة السلفية في المغرب الأقصى ودورها الأنثروبولوجي والديني والوطني في التصدي للمشاريع الإستعمارية(السياسية،اللإقتصادية والأنثروبولوجية)،الدكتور:جمال برجي،جامعة تلمسان،مجلة أنثروبولوجيا الأديان،المجلد 18،العدد:05،2022/06/02.ص168.

20-عبد الغني عماد،السلفية والسلفيون الهوية والمغايرة،قراءة في التجربة اللبنانية،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت،الطبعة الأولى،2016.ص123.

يتمظهر ذلك في مشروع السلفية العلمية،وعلى رأسهم الشيخ إبن باز والعثيمين,.وهنا يقول المبحوث مهدي "العقيدة هي الصح،وهي أساس الدين الإسلامي،فإذا فسدت عقيدته،فماذا يجني من الدنيا ولو كسبها"،في إشارة منه إلى أن السلفية هي في حقيقة الأمر مشروع عقائدي قبل أن يكون شيئا آخر،هو مشروع تصحيح الأفكار قبل تصحيح الأشياء.

إن الملاحظة التي عايشناها داخل أحد المصليات،أين كانت هناك إحدى الحلقات الدينية في الحي المدروس،كان لها تعبير ودلالة واضحة على ذلك المشروع الفكري العقائدي,.حيث لاحظنا أن الأولويات في إختيار المواضيع المطروحة في النقاش والتلقي،كان موضوع التوحيد ومحاربة الشرك والتطرق إلى ما يقوم به الصوفية في الحي, من خلال تنظيم طقوس الوعدة للولي الصالح،على أنها مثال واضح عندهم ومن المواضيع المركزية في حلقهم، والذي يمثل الشرك وعدم توحيد العبودية لله،حيث يرمز لنا مثل هذا الخطاب على أن هؤلاء السلفيين أصبحوا من هذا الجانب،يعتبرون أنفسهم حاملي لواء الدين،بل هم الخليفة الشرعي والتاريخي لصاحب الرسالة،في إيصال طريقة ممارسة الشعائر الدينية،وإعتبارها التدين الأصح،أما باقي الفرق الدينية،ماهي إلا فرق خرجت عن سكة أهل السنة والجماعة.،إنه المعنى الثقافي الأنثروبولوجي للحفاظ على البناء الذي يتشكل من خلاله هذا التطرف الديني،وأن مفهوم التوحيد هو اللبنة الأساسية في البناء،وأي إهتزاز أو أي شيء يمس هذا البناء،قد يحدث خللا داخليا،وهذا ما يحيلنا إلى التذكير بالإثنية كوننا في تخصص الأنثروبولوجيا، من أجل وضع ملامح تشابه في الفكرة المذكورة حول مسألة البناء،حيث على سبيل المثال :الإثنية لها خصائص تشترك فيها، ما يمكننا أن نسميها بالهوية التي تجمع عناصرها الداخلية،لها فاعلية الحفاظ على نسقها الداخلي،وبهذا الشكل ستظهر لنا هذه الأخيرة،في شكل تلك الصورة الكفاحية التي يحملها كل عضو داخلها،وذلك لحماية النظام الذي تسير عليه،وهذا ما يسري داخل المنظومة الفكرية للسلفيين خاصة في مجتمع الدراسة،أين تجد تلك السمات المتشابهة في خطابهم،والنبرة الحادة في الدفاع عن هويتهم،مشكلين بينهم تلك الكتلة المتراصة،في

مساعدة بعضهم البعض على مواجهة مخالفيهم في التيار،وحماية أعلامهم المؤسسين له,قد يصل الأمر إلى الشجار أو قطع العلاقة.

3-الحركات السلفية مابعد الوهابية ورأي المجتمع المدروس حولها:

بعد الظاهرة السلفية التي عرفتها منطقة الحجاز في القرن 18 ميلادي،وذلك بقيادة المصلح محمد إبن عبد الوهاب النجدي،الذي جاء بغية تغيير ما طرأ على الوضع الديني من تغير،رأى أنه لا يتماشى تماما من ناحية الصحة،مع تدين المسلمين الأوائل في صدر الإسلام,.ففي القرون التالية،سيشهد التاريخ الإسلامي ،في بلاد المشرق العربي،بزوغ حركات دينية سلفية،كانت قد إستلهمت أطروحاتها الأساسية الأولى قبل البدء،من الحركة الوهابية،ولكنها لن تسير ضمن نفس النسق الفكري بدرجة متطابقة،بل ستعمل على إضافة أفكار جديدة،وأهداف أخرى،وجدت أنها ستعمل على نهضة الأمة الإسلامية,.إستجابة لمتطلبات السياق الثقافي والإجتماعي الجديد,.خاصة إذا علمنا أن المرحلة التي جاءت من خلالها،كانت البلدان الإسلامية،تحت وضع إستعماري جديد،وذلك عقب سقوط الدولة العثمانية، وتمدد الغزو الأوربي ناحية البلاد الإسلامية,.كان من أهداف هذا الغزو الجديد:هو تغيير ذهنيات شعوب هذه المستعمرات،فكان لزاما على هذه الحركات،مواجهة الوضع التثاقفي الجديد،بأساليب تختلف نوعا ما،عن أسلوب الوهابيين,.سميت بالحركة الإصلاحية النهضوية الإسلامية،وسميت الأخرى بالحركة السلفية الإخوانية، والتي ستمارس الجانب السياسي من أجل مواجهة حكام بلدانها,.سيكون الإجتهاد الفقهي والسياسي والجهادي مفتوحا بشكل واضح، عند هذه الحركات,.إن الخروج من دائرة الإنغلاق على التفاسير التقليدية، والتشبث بالموروث الفقهي،سيعتبر شيئا لم يعد كافيا ،لترقية الوضع الديني والإجتماعي في بلدان العالم الإسلامي,.سيكون فتح باب الإجتهاد والتأويل واضحا ضمن برامج هذه الحركات الجديدة,.لكن في نظرهم سيجتهدون في التوفيق بين هذه التأويلات المعاصرة من طرفهم،وكذا النصوص المقدسة لمجابهة أي تعارض بين الطرفين,.فالواقع المعاش الذي أصبحت تعيشه الأمة الإسلامية،وجدوا فيه

هذه الحركات الدينية،أن ضرورة وضع فقه خاص بالوضع المعاصر،أصبح أمرا لا يجب أن يختلف فيه المسلمين.حيث يسمى فقه المعاملات، وعكسه فقه العبادات في العلوم الدينية،فالأول يتغير بتغير الأحداث،أما الثاني فلا يتغير كونه صالح لكل زمان ومكان,حيث أن فقه المعاملات بين الناس في الحياة الإجتماعية,محكوم عليه بالتغير كونه متأثر بما يحتاجه الناس في يومياتهم,فهو فقه متجدد وغير ثابت[21]،ما يفسر ضرورة فتح باب فقه الحياة اليومية من أجل إيجاد حلول واقعية، لما يسمى بفقه النوازل في العلوم الدينية،أي:كل ما ينزل على المسلمين من وقائع وظروف إجتماعية،لا يوجد لها تفسير في كلاسيكيات التفاسير الدينية للمسلمين القدماء،ولا في النصوص المقدسة،مايتطلب من العلماء الذين يعيشون في ذلك الزمن،فتح باب الإجتهاد.

سيكون لنا في هذا الصدد بعد تلك المقدمة،القيام بعرض لتلك الحركات السلفية،والتي ظهرت على ساحة الحياة الدينية والإجتماعية في البلاد المشرقية،بعد وفاة الشيخ محمد إبن عبد الوهاب،.فعلى الرغم من ظهور من يتجاوز إصلاحاته على المستوى الفكري والعملي، لن تموت حركته الدينية،فستكون السلفية التقليدية والتي أصبحت تسمى بالعلمية،بمثابة السلفية التي لن تتسامح مع المجتمع الإسلامي،وذلك بعدم التفريط في حركة مجددها المعاصر,.هذه الأخيرة سيتم التطرق لها بعد النهضويين واللإخوانيين،كونها جاءت في مرحلة زمنية متأخرة عنهما،ماوجب علينا إحترام التسلسل الزمني، في سير هذه التطرفات السلفية عبر التاريخ،حيث تمظهرت كل منها في النقاط الآتية الذكر:

أ-حركة الإصلاح مع جمال الدين الأفغاني(1839م-1897م):

بأسد أباد الأفغانية مسقط رأسه،سلفي مجدد،كان يريد نهضة حداثية للأمة الإسلامية،إن جمال الدين الأفغاني لم يبقى ضمن النمط التقليدي في الإصلاح القاعدي للمجتمع،وإن كان هذا ضمن أهدافه،لكن مارس السياسة،وإنغمس في التصدي الفكري للسياسة التي فرضها الغزو الأجنبي،إلى جانب فتح باب العلوم العقلية والفلسفية، وهو شيء جديد في مشروع السلفية مابعد الوهابية,.حاول من خلال المجالس التي كان يسهر

21-سيد قطب،نحوى مجتمع إسلامي،دار الشروق،الطبعة السابعة،1987،الطبعة الثامنة 1988،الطبعة التاسعة 1993،الطبعة العاشرة 1993.ص 51-52.

على تنظيمها خلال مسيرته الإصلاحية،الحث على تكوين العقول وزرع ثقافة النهوض من الغفلة التي أصبح يعيشها المسلمين,.ثقافة النهضة التي تنطلق من خصوصيات المجتمع اللإسلامي، نحوى التلاقح مع الثقافات الأخرى،لكن ضمن نسق الحفاظ على الهوية اللإسلامية،دون الذوبان في ثقافة الغير,.إن الفكر الذي نادى به هذا المصلح السلفي،يعتبر من خلال التمعن في أفكاره،على أنه مشروع يحفظ للخصوصيات الدينية للمسلمين في تلك المرحلة وجودها على ساحة البناء الحضاري، بهدف المشاركة الفعالة في بناء الحضارة الإنسانية,.إن الرجوع إلى تذكير المسلمين،بأن الولوج في العلوم المتطورة والفلسفات الغربية، ليس بالضرورة سيؤدي بهم إلى ترك دينهم،أو الإبتعاد عن أصولهم كمسلمين,.لقد كان هدف المصلح جمال الدين الأفغاني من خلال التمعن في أفكاره،هو معرفة كيف يقوم المسلم بالإستفادة من محاسن الآخرين،بغية توظيفها لصالحه.

على عكس المصلح محمد إبن عبد الوهاب في الحجاز،فإن الشيخ جمال الدين الأفغاني ،نهل من العلوم الفلسفية،المنطق،والفكر الذي ساهم بواسطته الغربيين في بناء حضارتهم،كان يحب إستلهام تجاربهم في بناء مجتمعاتهم،كان يحاول دائما جعلها تتطابق مع الدين الإسلامي,.لم يرغب بما جاء على لسان التقليديين في حرمة الفلسفة جملة وتفصيلا ،بل إعتبر أنه من الفلسفة ما يصلح لبناء المجتمع الإسلامي,.كان يشبه في أطاريحه الإجتهادية الحركات الدينية الكلاسيكية، والتي تخالف المنهج السلفي الحنبلي في قضية العلوم الفلسفية،مثل المعتزلة وعلماء الكلام وغيرهم.,حاولنا معرفة رأي السلفيين في الحي المدروس حول شخصية الشيخ جمال الدين الأفغاني،فيقول السلفي **(المبحوث رقم 20)"**هو شخصية دينية منهجيته تختلف عن منهج السلف الصالح،قرأت أنه كان يقرأ الفلسفة والعلوم الغربية في الإصلاح ويدعوا بها،هذا غير صحيح،لايصلح للأمة هذه،إلا ما صلح لأولها ،كما جاء في الحديث النبوي،هل مارس الشيخ أحمد الفلسفة،هل درس الصحابة الفلسفة،هذه هرطقات،ليست من منهج السلف الصالح"،فبالرغم من الشهرة التي عرفها المصلح جمال الدين الأفغاني في العصر الحديث،وكونه إستلهم من الوهابية في بناء مشروعه الإصلاحي،إلا أنه لم يشفع له ذلك في النقد الرافض له من طرف السلفيين في الميدان المدروس,.يعتبر هؤلاء الشباب السلفي ذو التوجه السلفي العلمي والتقليدي،أن

العلم الشرعي،الديني، هو الوحيد الذي من واجب العلماء الإرتكاز عليه من أجل إصلاح المجتمع،أما الفلسفة لا يمكنها أن تكون في نفس التوافق مع متطلبات المنهج الإصلاحي الصحيح,وذلك تحت شعار"لا فلسفة في الدين",.كان يدعوا إلى وحدة بين الحاكم والمحكوم،وهنا يذكرنا بطريقة الشيخ إبن تيمية في هذا المنحى,.حيث إصلاح الأمة يكون بالوحدة والإتفاق بين الراعي والرعية،حيث أنه يتمنى تلك الصيحة التي تأتي من القمة لكي تدفع بالشعوب نحوى اليقظة وتوحد صفوفهم[22]،فإذا ما سار الحاكم على نهج هذا الإصلاح،والذي يدعوا له هذا الأخير،سيكون هذا بمثابة الخطوة المهمة،نحوى بداية الخروج من دائرة التبعية،وذلك بالوحدة وإيقاض النفوس الغافلة،وهنا نجد أن الشيخ جمال الدين الأفغاني لم يكن مصلح في الجانب العلمي فقط،بل تعدى دوره كذلك إلى الجانب السياسي ،أين أصبح يعطي دروسا في السياسة والوحدة بين الراعي والرعية,.لن ننسى أن موضوعنا الأساسي هو الهوية السلفية،لهذا سيكون من واجبنا التذكير هنا،على أن السلفيين الذين نريد التعريف بهم،هم في حقيقة الأمر يحملون هموم تلك الهوية الدينية التي يقدمونها على أنها:هي الهوية الحقيقية الواجب إتباعها على جميع المسلمين,.في قراءة لأهم ما جاء في شخصية المصلح جمال الدين الأفغاني، يتراءى لنا أن فرض قوة الدين في المجتمع، وفتح باب العلوم الغربية لإصلاح ما أفسدته أيادي التقليد والجمود،هو قراءة من طرفنا في قالب المفاهيم السوسيولوجية الحديثة،أنه هو يشبه إلى حد ما،النداء من أجل بناء هوية حضارية إسلامية،داخل المدينة الإسلامية في ذلك العصر،محاولا إستبدال الغزو الأجنبي،والذي أفسد الحياة الثقافية لمجتمع هذا المصلح،من خلال محاولة الإستعمار، جعل خصوصيات المجتمع العربي،تذوب في محتوى الثقافة الغربية,.إن مجابهة الغرب من خلال العودة إلى التدين الإسلامي الأصيل,.هو القاعدة الرئيسية في بناء المجتمع اللإسلامي الحديث,.فالبرغم من التحديث الفكري في مشروع النهضة الإسلامية،إلا أن التوحيد والعقيدة السنية،لا يمكن التفريط فيها ضمن هذا المشروع,.يرى الشيخ جمال الدين الأفغاني حسب ما فهمناه من مشروعه هذا،هو أن المشاركة في البناء الحضاري،أو بناء

22-جمال الدين الأفغاني،محمد عبده،العروة الوثقى،دار النشر دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،دون تاريخ.ص113.

الحضارة، لا توجد بمنطق واحد،أو بتجربة ثقافية فريدة من نوعها،بل يمكن للمسلمين أن يذكروا باقي ثقافات العالم بتجربتهم الكلاسيكية،والتي تتمثل في الحضارة الأندلسية، بخلفيات دينية إسلامية،مندمجة مع النيل من العلوم الفلسفية، المنبثقة من الثقافات الأخرى.

لم تتوقف مسيرة الشيخ جمال الدين الأفغاني عنده،بل ستنتقل إلى تلاميذه ومن تأثربتفكيره في الإصلاح، ولو سيكون هناك تركيز من طرفهم على جانب من الجوانب، وترك جوانب أخرى،وهنا سنتطرق في هذا المنحى إلى **الشيخ محمد عبده(1849م-1905م)النيلي** المصري،حيث يعتبر من المتأثرين بالفكر الإصلاحي للأمة الإسلامية،بالرغم من تلاقح الأفكار بينهما،كونه أخذ عن الأفغاني،إلا أنه سيكون في تركيزه الإصلاحي مختلفا نوعا ما عنه،وسيكون على الطريقة الوهابية في ترك السياسة يسير,.إن التربية والتعليم وتنقية فكر الفرد والمجتمع من الأفكار المغلوطة،وتوعية الفرد المسلم في مؤسسات تربوية هي السبيل الذي إتخذه الشيخ عبده ،بعد مسيرة متميزة من طلب العلوم,.والإنفتاح على طلب العلوم الغير إسلامية خدمة لمصالح الأمة ليس مرفوضا في تفكيره،وهنا يكون مختلفا في هذا الجانب عن الوهابيين الذين لم يدعوا في تيارهم الإصلاحي بهذا الجانب،مكتفين فقط بالعلوم الفقهية المنبثقة عن الدين الإسلامي,.يقول الشاب**(المبحوث رقم 01)**"العلم الشرعي هو ما نؤكد عليه في المنهج،لقد أخطأ هؤلاء المصلحين في الدعوة إلى دراسة علوم الغرب،لأن فيها كفريات كثيرة،خاصة الفلسفة"،وهنا نجد أن ملتزمي السلفية العلمية في الميدان المدروس, لا يسيرون وفق هذا النمط التجديدي من إصلاح الأمة الإسلامية،بل يتخوفون من السقوط في الكفر والإلحاد،وهذا يعتبر العائق الأساسي في عدم قدرتهم على تقبل أفكار الآخرين.

إذا كان الأفغاني يحمل تلك الروح التي تدعوا إلى الحرية والإنعتاق من ظلمات الغزو تحت ثقافة الآخر،ما جعله يدخل في غمار السياسة ومواجهة الخطر الصليبي،حتى أنه كان يدعوا إلى الحرية للشعب الإيراني من النظام الذي كان يحكمه آنذاك،فإنغمس في السياسة وتعرض للنفي،فإن تلميذه محمد عبده، يجد من خلال نظرته أن طريق السياسة ليست مجدية بالقدر الكافي لنهوض الأمة من جديد،لكن هذا لا ينفي بصمته في تلك الأفكار

التي كان يبعث بها إلى بعض السياسيين من أجل إصلاح المجتمع،ونحن هنا ما نريد توضيحه في هذه النقطة،أن الشيخ محمد عبده وجد الخلل في التربية والتعليم،لهذا كان أقرب إلى مسيرة الوهابيين في إصلاح المجتمع من القاعدة الإجتماعية،وإن كان يختلف عنهم في مسائل أخرى،لكن بالرغم من كل هذا،إلا أن مشروع إصلاح الأمة الإسلامية وتحديث المجال الفقهي،والخروج من دائرة البقاء في التراث الموروث، وعدم وضع قراءة متجددة للواقع المعاش بعقول جديدة، في مواكبة كل ما تطرحه مستجدات العصر الحديث من مظاهر جديدة،كان كلاهما يؤكدان على هذه السيرورة،وذلك بهدف مجابهة العدو الأجنبي الذي وجدوا فيه،ذلك الخصم الذي لا يحترم ثقافة غيره.

يختلف الشيخ محمد عبده في نظرته للإصلاح،وسبب ركود الأمة عن الوهابيين في تجربتهم الأولى،وذلك في مسألة تحرير العقول من الزيغ,.نجدالشيخ محمد إبن عبد الوهاب في مبادرته الإصلاحية يحمل الصوفيين والدولة العثمانية سبب إنهيار الأمة الإسلامية،بينما الشيخ محمد عبده لم يتهم الصوفية ولا غيرهم،بل يجد أن السبب الحقيقي هو العقل الإسلامي المستعبد والذي يسبح في مياه الجهل والتجهيل من جهة،ومن جهة أخرى إهمال العقل المسلم وعدم أخذ المبادرة في تغيير واقعه الخاص،إنطلاقا من خصوصياته،وإن الإستقلال حسبه والمتمثل في تلك المفاهيم التي تتشكل من الرأي و الفكر والإرادة,هي جوهر إتمام الإنسانية والتي أتمها الدين للإنسان حيث كان محروما منها[23]، فمن خلالها يستطيع بناء شخصيته المستقلة،بل وحضارته ،ويخرج من دائرة التبعية للغرب فكريا بالدرجة الأولى عن طريق إعمال ملكة العقل،وماديا عندما يستفيد مما تنتجه أفكاره في المستقبل,.وهذا هو النسق الإصلاحي الذي نادت به حركة النهضة التي طالبت بالنهوض من جديد،تلميحا إلى ماضي الحضارة الإسلامية في الأندلس,.يوحي هذا المشروع الطموح عند الشيخ محمد عبده بشكل واضح، إلى المساهمة في بناء مشروع حضارة إسلامية، تنطلق من التراث والتفكير الإجتهادي الذي ينبع من الإنسان المحلي المسلم،مستقلا بعد عناء طويل من إستيرادها دون تحقيق ودون جهد من ثقافة غيره.

23-الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده،تحقيق وتقديم:الدكتور محمد عمارة،دار الشروق،الطبعة الأولى،1993،الجزء الثالث،الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات.ص455.

كان الشيخ محمد عبده أحد المصلحين الذين ذاعت شهرتهم في تلك المرحلة ومابعدها،سيكون له تأثير على الكثير من طلبته ومن أخذ عنه الطريقة في التغيير,من الذين تأثروا به،نجد **الشيخ محمد رشيد رضا(1865م-1935م)**،القلموني اللبناني،تأثركثيرا بشيخه محمد عبده،ما جعله يواصل مسيرته في إصلاح المجتمع عن طريق إلقاء دروس في المساجد من تفسير وفقه و عقيدة,.لقد توسع مشروعه اللإصلاحي حيث أصبح بعد فتح مدرسته بالقاهرة،يعمل على جلب الشباب المتلهف للعلم من سائر بلدان العالم،وهي إستراتيجية من أجل نقل هذا التفكير عبر هؤلاء الشباب إلى بلدانهم,.سيظهر الشيخ محمد رضا أكثر تأثرا بالتجربة الإصلاحية في الحجاز،وكان ذلك ظاهرا في كتاباته حولهم من خلال تلك المقالات التي كان ينشرها في مجلة المنار في مصر,.سيصبح المنهج الوهابي نموذج يجب أن يقتدى به في التغيير،مع أنه كان يعمل على المزج بين الأفكار الإصلاحية وعدم الإكتفاء بجانب واحد من العلوم في التغيير،والجمع بين ما يشاع أنها أفكار متناقضة أي: بين العلوم العقلية والنقلية، فيقوم بتبسيط الأفكار وأخذ ما يصلح للمجتمع., نجده في مدح واضح للشيخ محمد إبن عبد الوهاب,ويدافع عنه حيث يرى بأنه حارب الشرك والخرافات والبدع في نجد والحجاز,جدد التدين الإسلامي متبعا طريقة سلفه الإمام إبن تيمية[24]،أين يجده بمثابة السبيل الصحيح في إعتقاده،وهو صالح لتصحيح إيمان المجتمع المسلم، فيما يخص الجانب العقائدي التوحيدي بدرجة مهمة،والذي تبنته السلفية الأولى,.إن ما يلفت الإنتباه هو أن السلفيين الإصلاحيين يمدحون الوهابية بالرغم من أنهم غير مقبولين في رأي السلفيين في المجتمع المدروس,.يكمن هذا الرفض في إعتقادنا على مستوى الفروع وليس الأصول والعقائد،حيث نجد أن الفلسفة التي لم يرفضها علماء النهضة العربية ،هي مرفوضة عندهم،إلى جانب ذلك،يعتبر السلفيين في الميدان المدروس، أن هؤلاء المصلحين لم يحاربوا الطرق الصوفية، ولم تكن لهم مواقف واضحة منهم،إلى جانب ممارستهم للسياسة التي تعتبر كفرا لا وجود لها في الدين الإسلامي الصحيح,.يقول السلفي(**المبحوث رقم 04)**"من المنكرات التي لا يقبلها العلماء هي السياسة،حيث تخالف النهج الإسلامي

24-الوهابيون والحجاز طائفة من مقالات نشرت في المنار،بقلم الشيخ:السيد محمد رشيد رضا بمصر،مطبعة المنار بمصر،الطبعة الأولى 1344ه.ص6.

السني"،فلا مجال لقبول هذا النوع من الإصلاحيين عند السلفية العلمية،مالم تكن لهم مراجعات في مسألة النهل من التجربة الغربية، عن طريق العلوم التي تخالف الدين الإسلامي،ولهذا تجد السلفيين في الجامعة الجزائرية فيما يخص إختيار التخصص،يرفضون الفلسفة والعلوم الطبية،وحسب معتقدهم الذي يدافعون به عن سبب هذا الرفض, كما جاء عند السلفيين في الحي المدروس هو:السقوط في الشبهات والكفرو الإختلاط وغيرها من الكلمات التي يعبرون بها عندما سألناهم عن هذا المجال،وهنا نعود لاحد السلفيين الجامعيين الذي كان تخصصه يتمثل في جراحة الأسنان،ولكنه بعدما تمسلف،قام بعض الشيوخ بالتأثير عليه من أجل تغيير تخصصه،كون أن هذا التخصص،سيرمي به مستقبلا في جراحة أسنان النساء ،ولهذا إمتثل للمرجعية الدينية السلفية،وغير تخصصه نحوى إختيار تخصص العلوم الإسلامية بجامعة وهران.

لقد كان زعماء النهضة الإسلامية،من خلال ما كانوا ينادون به من أجل إيقاض الأمة من الركود، صارمين في ذلك،حيث لم يكن ذلك على مستوى التنظير فقط، بل ذهبوا نحوى العمل الإجرائي،فإستفادوا من الوسائل الحديثة في نشر تفكيرهم،فنجد على سبيل المثال مجلة المنار و تأسيس الجامعة الإسلامية,.بعد ظهور وسائل حديثة في عصر النهضة الإسلامية،وذلك من جراء ما جاء نتيجة الثورة الصناعية التي أنتجت ثورة حضرية،بدأت دول العالم تستلهم من تلك الإفرازات مايخدم صالحها،بدأ ظهور المجلات والجرائد لنشر الأخبار والمقالات العلمية،فظهرت مجلة المنار من طرف مؤسسيها النهضويين،على يدي الشيخ محمد رشيد رضا،والذي أسسها لإستكمال مشروع شيخه محمد عبده،حيث عمل على نشر مختلف المقالات التي تساهم في تكوين المجتمع،مقالات دينية وإجتماعية وغيرها ،المزج فيها بين العلوم الدينية والعقلية كما هو معلوم في مشروع النهضة،وكانت هناك إشارات ضمنية تتخلل هذه المنشورات، وهي ما نعلق عليه ضمن عملنا البحثي: بكيف يحافظ المسلم على هويته الإسلامية طبقا لما جاء عندهم،متجاوزا التقوقع على الذات ومدافعا عن هويته،وعدم السقوط في ما يسمى أزمة الهوية,.ذكرنا مجلة المنار كونها ستكون في تلك المرحلة كوسيلة مساعدة على نشر أفكار و عقائد المؤسسين الفعليين لحركة النهضة ،حتى لا يختفي المشروع في بقائه فقط على مستوى

الخطاب والتوعية،بل جسدوه في كتابات ومناشير بهدف البقاء والرسوخ,.وحتى يدرك القارئ العربي المسلم أنه من خلال القراءة سيفهم معاني هذا المشروع وأهدافه،فلا ننسى أنه في الجهة الأخرى كانت وسائل نشر الثقافة الغربية هي الأخرى, تعتمد على وسائلها الحديثة في تغريب المجتمعات الإسلامية,.سنعتبر أن هذه الوسيلة المتمثلة في مجلة المنار، ستكون كأداة مجابهة لما يتم نشره في الطرف الآخر,.وهنا يظهر جليا الخطر الذي تفطن له الإصلاحيين على أمتهم الإسلامية،لهذا كانوا لا يرفضون النهل من الثقافات الأخرى فيما يخدم مشروعهم من جهة،ومن جهة أخرى مواكبة الحداثة والتطور حتى تكون هناك مواجهات على نفس المستوى,.تطرقنا إلى أحد الأعداد الذي تم نشره في مجلة المنار أين يدعوا فيها المنشور إلى مواكبة المستجدات الجديدة والعمل على إعادة فهم الجوانب الدينية والدنيوية بعقل معاصر،حسب ما فهمناه من مضمون كلامه أن عملية إعادة تجديد الدين من خلال التوفيق بين الديني والدنيوي وتجديدهما,هي الوسيلة الأكثر صلاحا لإصلاح الشعوب الإسلامية[25]،وهنا تأكيد مباشر على أن الإصلاح الذي يبقى متوقفا على الجمود والتقليد وعدم فهم مشاكل الحياة اليومية بفكر متجدد،لن يكون له أي فائدة،ونجد أن هذا الخطاب ينتقد الحركة الوهابية بشكل غير مباشر،لأنها تمسكت بالأصول والتراث القديم،ولم تهتم بإصلاح المجتمع في جانبه الدنيوي.

إلى جانب مجلة المنار،فإن التيار الإصلاحي في العالم العربي جاء كما أسلفنا سابقا ،بغية الإصلاح والتجديد والخروج من دائرة الأوهام التقليدية المتجمدة حول الماضي,.أين وجه هؤلاء المصلحين نداءات للأمة من أجل تحريك العقول والتفكير,.ستكون هناك وسيلة أخرى في هذا المشروع ألا وهي الجامعة الإسلامية,.كان تأسيس الجامعة الإسلامية بمثابة مبدأ أساسي ومهم في ترسيخ وحدة هذه الأمة التي سيجمعها هذا المشروع داخل هذا الفضاء,.تشير الجامعة إلى عدة رمزيات،فمن بينها: هي تثبيت الهوية الإسلامية التي يدافع عنها هؤلاء الفاعلين من جراء الخطر الذي بات يهدد كيان الأمة من الثقافة الغربية،متجاوزين السيطرة العسكرية،إن إنشاء الجامعة الإسلامية كانت كحتمية نتيجة

[25]-مجلة المنار،الجزء الأول،المجلد الثاني والثلاثون،أكتوبر 1931.ص15.

الغزو الغربي بأنواعه للمجتمعات الإسلامية [26]،وهذا يعتبر بمثابة مشروع المواجهة على المستوى الفكري الأكاديمي،وهنا نجد التخوف من ثقافة الآخروالتي كانت تهدد بطبيعة الحال،خصوصيات المجتمع المسلم،ظاهرا في تلميحات هذا الخطاب,.هو مشروع يتراءى لنا أنه :محاولة بناء جدار هوياتي متماسك خاصة على مستوى الأفكار،وذلك ضد الضربات الثقافية التي تأتي من بعيد،بهدف التغيير،لا التلاقح,.حيث وجد هذا المشروع من خلال فهمنا له،أن هناك عملية تطهير ثقافي جاءت مع الغزو العسكري.

ب-حركة الإخوان المسلمين مع حسن البنا(1906م-1949م):

جاءت هذه الحركة الدينية السلفية في مطلع القرن العشرين،في زمن كانت فيه الحركة السلفية الوهابية قد أحكمت سيطرتها الدينية الدعوية في الحجاز،حيث هذا ما جعلها تستفيد في إنطلاقاتها الأولى من الإرث الوهابي ،"إن[27]" شعار الإخوان هو"الإسلام هو الحل"،ولهذا يعتبرون خوارج العصر عند السلفيين الوهابيين على طريقة الخوارج القدماء في الإسلام ،والذين خرجوا على الخليفة الرابع،سيدنا علي إبن أبي طالب رضي الله عنه,.فلا بديل عن الإسلام في تسيير الدولة،لا على المستوى القاعدي الإجتماعي في التغيير،مثلما جاء على نهج الوهابية فقط.بل تعدى طموح الإخوان المسلمين إلى الجانب السياسي،حيث أنه :حتى الدولة كمؤسسات سلطوية،هي معنية بهذا الشعار الإصلاحي،ولهذا سنلاحظ أنه لن يتم التسامح مع زعمائها من طرف مسؤولي السلطة في الدولة المصرية،وذلك بنهاية مأساوية للكثير منهم بالإعدام مثلما حدث للسيد قطب,.في سنة 1928م, سيتم تأسيس جماعة الإخوان المسلمين من طرف مؤسسها الفعلي،السيد حسن البنا, .بالرغم من الإستلهام الأول الذي أخذته الحركة من الوهابيين ،وذلك في إصلاح المجتمع من البدع والشركيات التي ظهرت في الحجاز،فإن الإخوان المسلمين سيذهبون إلى الجهة الأعلى من الدولة ككل،أي الجانب السياسي,.سيواجهون الغزو البريطاني الذي وجد فيه زعيمها المصري،أن المجتمع المصري تعرض للتغيير والطمس

26-معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية،تأليف الدكتور منذر معاليقي،راجعه:ياسين الأيوبي،دار إقرأ بيروت،لبنان،دون تاريخ.ص214.

27-les fréres musulmans égyptiens:pour une critique des vœux pieux,tewfik alimandos,dans politique africaine 2007/4(N°108),p25à46,edition karthala.p30.

الهوياتي،وهذا سيؤدي إلى إختفاء خصوصيات المجتمع المصري،المعروف بأغلبيته المسلمة,.هناك مشروع مفروض وثقافة مبرمجة للتغيير والتوطن داخل ذهنيات الفرد المصري,.بدأت الحركة تتوسع في نشاطها للعمل الميداني,.حيث من الطلبة الجامعيين الإخوانيين ،إلى الملاك الفلاحين،المحامين،والإداريين في مختلف المؤسسات,.لن تكتفي نشاطاتهم بهذا المستوى فقط ،بل ستذهب أبعد من ذلك كما هو متفق عليه في المشروع,.تعدى ذلك إلى كبار المسؤولين في السياسة وذلك ما سيخلق لاحقا صراعا سياسيا في مواجهة الحكومة المصرية كما حدث في زمن الرئيس جمال عبد الناصر،والذي لن يتسامح معهم،أين سينظم السيد قطب فيما بعد إلى هذه الحركة،أين سيحمل مصطلح المنظر رقم واحد لحركة الإخوان المسلمين.

أثناء تطرقنا إلى السلفية الإخوانية،حاولنا معرفة رأي مجتمع الدراسة حول الإخوانيين،فكان رأيهم رافضا لهذا النوع من التطرف الديني,.لقد إعتبر هذا التيار عند السلفيين العلميين بأنه تيار خارجي،أي:يخرج على ولاة الأمور،وأعطي لنا مثال من طرفهم بأن الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر،هي تيار قد إستمد وجوده من التيار الإخواني, .زيادة على ذلك ينتقد هذا الأخير كذلك في الجانب السياسي،أين دخل في منظومة سياسية تحكم بدساتير وضعية وشارك في الحزبية الخبيثة،التي لا أصل لها في الدين الإسلامي من منظور السلفيين في حي كوشة الجير،لن يتم التوقف في الإنتقاد فقط على المستوى الفكري،بل سيكون الشكل الهوياتي من خلال اللباس كذلك من المسائل التي ينتقد عليها الإخوانيين،حيث يرى السلفيين في الحي المدروس، أن الإخوان المسلمين لا يمتثلون للباس السني،فتجدهم يلبسون القمصان العصرية في المشاركات السياسية،ولا يهمهم اللباس الشرعي،تجدهم في مسائل كثيرة لا يؤكدون عليها ضمن أهدافهم في نظرهم،مثل الإختلاط أو العمل في المؤسسات الحساسة,.يقول الشاب **(المبحوث رقم 03)** في هذا الصدد حول الإخوان المسلمين"نحن نعتبر أن الإخوان لا علاقة لهم بأهل السنة والجماعة،أنظر ماذا يفعلون في العالم اليوم،الكثير من التفجيرات والإغتيالات كانت بسبب فتاوى شيخهم السيد قطب و يوسف القرضاوي،هؤلاء لا علاقة لهم بأهل السنة والجماعة،لا يعملون على تنقية المجتمع من البدع،بل هم هدفهم هو المصالح الخاصة التي

يعقدونها من خلال المشاركة في السياسة والتحزب،الذي هو حرام في اللإسلام،وأقول لك بأن القوانين الي يقبلونها في تحزبهم لو رأيت ما فيها،تجدها تتعارض مع الدين الإسلامي"،وهنا نستفهم أن الإخوان المسلمين غير مرحب بهم من طرف السلفيين العلميين،والذين يرونهم بأنهم قد إنغمسوا في مجالات لم يقم بها أهل السنة ،حيث تعتبر القوانين المعاصرة في الجوانب السياسية،لم تكن في الكتاب والسنة قد ذكرت،ولا الصحابة قد أقروا بها،بل هي أفكار في نظرهم من صنع الإنسان،ولن تكون لها أي فائدة في معرفة ما يصلح للمجتمع الإنساني،بنفس المستوى الذي جاء في الكتب المقدسة وفي أقوال الأنبياء والرسل ومن صاحبهم من أهل العلم,.يؤكد مجتمع البحث أن السلفية التي لا تهتم بإصلاح الفرد منذ طفولته على المستوى الديني العقائدي،هي سلفية مصلحية،هدفها كسب المال والنفوذ،ولا يهمها بناء مجتمع مسلم ذو عقيدة تتماشى وفق منهج أهل السنة والجماعة, كما تقر مرجعيتهم الدينية الحديثة والتقليدية،والمستمدة من الحنبلية القديمة.

من التدين على المستوى القاعدي،إلى السياسة،هكذا ستكون قصة هذه الحركة الدينية،والتي بدأها مؤسسها الأول حسن البنا على الطريقة الوهابية من خلال تقديم دروس توعوية أين كان الشخصية الأكثر إلقاءا للدروس الدينية في القاهرة في بدايات تأسيس هذه الجماعة,وكان الدين هو الموضوع الذي بدأت به هذه المحاضرات[28]،وهنا تعتبر هذه الحالة بمثابة البدايات الأولى لهذا المشروع.،والذي لن يتوقف على المستوى الديني العقائدي فقط,بل أصبحت جمعية الإخوان المسلمين تنتقد مع مرور العقود التاريخية بعد تأسيسها الجوانب الأعلى من الدولة ككل,فالجانب السياسي سيكون من أهم المعطيات التي سيتم التطرق لها بشكل حازم عند هؤلاء الفاعلين,.سينظم السيد قطب كما أسلفنا لاحقا إلى هذا الخط الجديد،أين سيكون منظرا لما يسمى مجتمع إسلامي لا يسير وفق النهج الغربي،بل وفق الدين والتعاليم الإسلامية،ولو تطلب الأمر الجهاد في ذلك لقمنا به،حسب ما دونه في كتاباته, حيث أصبحت كتاباته بمثابة الدستور النظري للمشروع الإخواني.

28- إيديولوجية جماعة الإخوان المسلمين،دراسة أكاديمية أعدها د.ريتشارد ميتشل،الجزء الثاني :التنظيم والإيديولوجية،ترجمة:منى أنيس،عبد السلام رضوان،مراجعة:فاروق عفيفي عبد الحي،الناشر مكتبة مدبولي،القاهرة.ص62.

إن رمزية الصراع الذي جاءت به حركة الإخوان المسلمين،ضد التيار الثقافي الغربي,وضد الحكومات التي تحكم تحت سلطة هذه الأخيرة من خلال ما سماهم السيد قطب: بطواغيت العصر تلميحا إلى الرئيس جمال عبد الناصر وحاشيته،يوحي لنا هذا الأمر على أن هؤلاء الفاعلين, كان هدفهم هو إسترجاع الهوية الأصيلة للمجتمع،فتنظيم المجتمع المصري والتنظيم السياسي من خلال الولوج إليه والمشاركة في وضع حزب إسلامي،هو تعبيرمنهم على محاولة القفز من وراء الجدار على سلطة التغيير التي تأتي من الأعلى نحوى الأسفل,.إن إصلاح الرعية من خلال العمل على التربية ليس كافيا عندهم،في ظل راع يحكم بقوة السلاح،وينصاع إلى ما تمليه عليه القوى الإمبريالية,.كون الراعي هو المسؤول على تنظيم الداخل الإجتماعي,.سيكون الفكر الإخواني متأثرا إلى حد كبير بكتابات الشيخ إبن تيمية،خاصة في مسائل الجهاد و السياسة ،والتي جاء فيها مسألة تنظيم علاقة الراعي والرعية, وذلك من خلال إصلاح كلا الطرفين,.لقد كان مشروع الحركة السياسي هو محاولة منهم ترويج ذلك التفكير عبر العلاقات السياسية،وهنا نذكر مثلا:بحركة حماس الإخوانية في فلسطين، والتي أصبحت لها علاقات سياسية متعددة مع مختلف دول العالم،بالرغم من أنها مجرد حركة،لكن نشاطها السياسي،وطد لها تلك الطريق، من أجل رسم علاقات دولية،تعمل من خلالها على نشر وتفعيل القضية الفلسطينية على أعلى مستوى،إلى جانب تلك النشاطات الجمعوية التوعوية،و التي تنشط في مختلف دول العالم من أجل التعريف بالقضية الفلسطينية.

نحن لا ندافع عن أي مشروع من ناحية صحة العقائد،فإذا كان السلفيين في الميدان المدروس يرفضون السلفيات الأخرى،فهذا يتمظهر ضمن تكوينهم العقائدي الذي إكتسبوه من طرف مشاييخهم في التيار,.خاصة في علاقة الفرد مع الله، فهي تعتبر من خصوصياتهم التي لا يمكن التطرق لها في هذا المجال بالسلب والنفي, فهذا ليس تخصصنا في هذه الدراسة,.إن العمل الأنثروبولوجي هو من أجل فهم معاني الأشياء والأفعال التي تصدر عن الفرد من منظوره الخاص،فإذا كان الإخوان المسلمين يحملون توجها فكريا يجعلهم حاملين لثقافة خاصة بذواتهم،فهذا من أدبيات البحث الأنثروبولوجي الذي همه الأساسي،هو التطرق لخصوصيات الأفراد والجماعات,.فإذا ما ناضلوا ضد الغزو الأجنبي

ثقافيا،وإنتقاد حكومة بلدهم،فهذا تعبير بمعنى أنثروبولوجي على أنهم يرون في مجتمعهم, أنه يسير في طريق غير سوي مع تاريخه الإسلامي,.وهذا يعتبر حق مشروع لهم في التعبير عن ما لاحظوه،فكل ثقافة تريد أن تحتفظ بكيانها,.بالرغم من الإختلافات التي تظهر نسبيا بين الحركات الإصلاحية في منهجية التغيير،غير أن حركة الإخوان إلى جانب النهضة والوهابية،تمظهر لنا أن العقيدة الإسلامية تعتبرعندهم بمثابة الأساس الذي تبنى عليه الدولة الإسلامية,.فعمل كل طرف منهم على إتخاذ التوحيد بمثابة المنطلق الرئيسي في مشروعهم،ولهذا لاحظنا أن كل حركة في بداياتها الأولى،قد إنطلقت على شكل دروس دينية توعوية في مجتمعاتها الأصلية،وهذه قراءة على أن العاطفة الدينية التي تشكل قوة ترتسم كينونتها داخل نفسية الإنسان المسلم, واضحة جلية كطعم منهم لجلب الأعضاء الذين سيصبحون فاعلين ميدانيين في المستقبل, ضمن هذه التيارات الدينية،حيث على سبيل المثال في سنوات التسعينيات من القرن الماضي،بالرغم من أن حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ هو حزب إخواني،لا علاقة له مع تدين المجتمع الجزائري تقليديا،المعروف بالتصوف الأشعري،غير أنه حقق إنتصارات واضحة في الإنتخابات الأولية،وهذا يدل على قوة الحضور الديني في نفسية الإنسان الجزائري،والذي كان يجهل مضامين هذا التيار السلفي, وذلك تحت عاطفة حب الإسلام تم إصطيادهم, دون فهم عميق لخفايا هذا الحزب, فمن منظور السلفيين الذين قمنا معهم بالمقابلات الميدانية, كانوا ينتقدون السلفية الإخوانية في الجزائر,يحملونها كل ما حدث من حروب دموية.

ج-السلفية العلمية و أعلامها الشيخ إبن باز والألباني:

كانت ولازالت سلفية تقليدية،على منهج الشيوخ الثلاثة تسير،لكنها أصبحت تسمي نفسها بالسلفية العلمية،قبل التوغل في مضامين هذا التيار الوهابي طرحنا على مجتمع البحث سؤالا حول هذا المصطلح الجديد,.يقول السلفي**(المبحوث رقم 19)** الذي دخل إلى السلفية سنة 2012"كانوا يسموننا السلفية التقليدية فاليوم نحن السلفية العلمية،نعمل على العلم الشرعي وطلبه،لنا مرجعيتنا التي نعود لها في هذا العصر،منهم الشيخ الألباني،إبن عثيمين،إبن باز،وفي الجزائر الشيخ فركوس حفظه الله،الذي يعتبر مرجعية حية في الدفاع عن مذهب أهل السنة والجماعة"،وهنا يؤكد لنا هذا الخطاب أن مجتمع البحث ينتمي إلى

السلفية العلمية،التقليدية والتي أصبحت تسمى بالسلفية الباردة،حيث لا يهمها العمل في السياسة وهي ضد الإنتخابات،بل عملها المنهجي هو العلوم الشرعية وتصحيح عقيدة المسلم ،كونه بها يدخل إما الجنة وإما النار,.يذكرنا الخطاب السلفي في كوشة الجير أن كل ما حدث في الجزائر سنوات العشرية السوداء, كانت السلفية العلمية بريئة منه,أين يتحججون بأن علماء الحجاز أفتوا بحرمة الجهاد في الجزائر, أين يقول المبحوث فتحي"مجمع الفتوى بالسعودية كان صارما في ذلك,حرم الجهاد,وأقر بالخروج عن ولي الأمر لكل من رفع سلاحه",فهو خطاب يشير إلى براءة السلفية العلمية من أحداث الجهاد في الجزائر.

إن السلفية العلمية تعتبر كتوجه ديني راديكالي،مختلف عن باقي التيارات السلفية التي جاءت ما بعد الوهابية،أين لاحظنا بأن تشكلها بدأ مع القرن العشرين،من العلماء البارزين في توطيد الطريق لبروز هذا التيار الديني هو الشيخ الألباني والشيخ إبن باز,أين يمكننا أن نستفهم من خلال قراءة مسار تشكل هذا التيار, بأنهما يعتبران من أبرز أعلام السلفية العلمية مابعد الوهابية,يؤكد هذا التيار على الأهمية البالغة في الحث طلب العلوم الشرعية, أي: كل علم له علاقة بالدين والسنة على طريق أهل السنة والجماعة, فهو من جوهر هذا التيار السني,من أجل السير على خطى السلف الصالح من منظورهم,يرى أعلام هذا التدين بأن الفهم الشرعي للدين الإسلامي ينبغي أن يرتكز على مصدرين مهمين في الإسلام وهما:الكتاب المقدس أي القرءان,والسنة النبوية,وعليه أن يكون فهما غير بعيد عن التفسيرات الخارجة عن الأصول,لقد بزغ نجم هذا التيار في توطين نفسه في السعودية كبداية أولى له,على خطى الحركة الوهابية في الحجاز سابقا,لكن سيذهب أبعد منها,وذلك من خلال إنشاء المؤسسات التعليمية التي ستروج لهذا الأخير في باقي أنحاء العالم,أين ستستقطب جماعات وفرادى من طلبة العلم الذين بدأوا يتوافدون إلى السعودية لدراسة العلوم الشرعية,أين تأسست الجامعة الدينية للعلوم الإسلامية في المدينة المنورة سنة 1961م,ومنذ هذا التاريخ ستكون السلفية العلمية كتيار سلفي يحاول فرض نفسه كهوية دينية جديدة, تعتقد بأنها تمتلك التدين الصحيح,وتريد تصديره إلى باقي العوالم الإسلامية,وهو الذي حدث بعد نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين.

إن المتأمل للعلماء المؤسسين للتيار السلفي العلمي,يجد أن هؤلاء العلماء دائما ما يركزون على الأمور الفقهية والعقائدية في دروسهم الدينية وفي كتبهم ,أين لا يمكننا ملاحظة إهتمامهم بالجوانب السياسية كإنتقاد الحكام والسياسيين,الأمر الذي يجعلها سلفية ترتكز على الجوانب الدينية التعبدية, دون الخوض في الجوانب السياسية,وهنا تشبه إلى حد كبير التيار السلفي الوهابي الذي يسير على نفس هذه الخطوات ,لهذا يرى الكثير من الباحثين في الحركات الدينية,بأن السلفية العلمية ما هي إلا سلفية تقليدية وهابية،البنت الشرعية للوهابية,بالرغم من تلك الإجتهادات الحديثة التي خاض فيها المؤسسين لها,لكنهم دائما ما يرتكزون على الخلفية التاريخية للسلفية العلمية كمرجعية,ألا وهي السلفية الوهابية,تهدف السلفية العلمية في مشروعها الطويل,إلى التركيز على ضرورة العودة إلى النصوص المقدسة,وذلك بغية معرفة الدين الإسلامي بصورة واضحة,على شاكلة الفهم الذي فهمه السابقين من السلف الصالح والصحابة,يؤكد الشيخ إبن باز أحد مؤسسي هذا التدين على أن تربية المجتمع وتصفيته من الإنحرافات العقدية والتعبدية إتجاه دينه الإسلامي,هي السبل الجوهرية من أجل بناء المجتمع الإسلامي الذي سيعيد الأمة إلى سابق عهدها,إن الدروس الدينية والمحاضرات التي تبث عبر وسائل الإعلام المعاصرة,تعتبر كطرف مساعد في نشر مشروع هذا التيار,يعتبر مجتمع البحث في حي كوشة الجير من معتنقي هذا التوجه,أين يمجدون في خطاباتهم اليومية جميع شيوخ السلفية العلمية,حيث يرون بأنهم يعتبرون حاملي التدين الصحيح،وهم الورثة الشرعيين كعلماء دينيين,تم تزكيتهم من طرف من سبقوهم في هذا المنهج.أصبحنا اليوم نسمع المداخلة(ربيع بن هادي المدخلي),الفراكسة(الشيخ فركوس),..الخ,هؤلاء ينحدرون من هذا التيار السلفي العلمي,بالرغم من أن هناك من يرى بأن ربيع بن هادي المدخلي قد إنشق عن السلفية العلمية,إلا أنهم يسيرون تحت مظلة هذا التدين, بالرغم من بعض الإختلافات الحاصلة بينهم,.يعتبر الشيخ الفوزان أحد أبناء هذا التيار,والذي يعاصر اليوم أحداثا مهمة تعيشها المملكة السعودية الراهنة,وذلك من خلال الإنفتاح على الحداثة الأوروبية, من خلال تلك الصفقات المبرمة مع عدة دول أجنبية,لم نلاحظ أي ردة فعل واضحة من طرف المرجعية السلفية في السعودية, بإنكار ما يتم التفاوض عليه سياسيا مع الدول الغير إسلامية,الشيء

الذي يظهر على أن السلفيين قد فهموا بأن الحداثة ومواكبة التطورات الراهنة, عن طريق التفاعل مع المختلفين عنهم,أمرا لا يمكن الإنعزال عنه,كون أن مشروعهم الديني عرف إنتشارا خارج المملكة السعودية ,بفضل ما أفرزته التكنولوجيا المعاصرة, من خلال الدروس التي أصبحت تبث عبر التلفزيون,شبكات التواصل الإجتماعي...الخ,قد يجدون بأن الإحتكاك مع الغير سلفيين أو الغير دينيين,هي فرصة من أجل جلبهم نحوى تدينهم,من خلال مشروع التربية والتصفية,وأن طاعة ولي الأمر هي من الأمور الواجبة عندهم,مالم يعلن كفره بشكل مباح أمام الرأي العام.

4-المجتمع المتخيل في فكر الإصلاحيين:

قد يظن البعض أن الإرتكاز على الجانب الديني كهوية أساسية في معتقد الإصلاحيين السلفيين،بأن هؤلاء الفاعلين أهملوا الجانب الحضاري للمجتمع الذي يريدونه،غير أن المتمعن في كتاباتهم ونشاطاتهم، بل وأفكارهم،يجد أن هناك عدة مؤشرات تدل على مجتمع العصرنة والتحضر،دون التخلي عن الهوية الإسلامية،فإذا كان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده قد نهلوا من العلوم الفلسفية وفلسفة المدينة الغربية،فهذا دليل ومؤشر واضح على التأثر الكبير الذي أحس به هؤلاء المصلحين ،حيث وجدوا أمتهم غائبة عن الصنائع،والحضارة الأوربية،كما تساؤل شكيب أرسلان عن سبب تأخر الأمة الإسلامية وتطور غيرها في زمن سابق،حيث فاز هؤلاء بفضل تحريك العقل الذي تم تجميده في الضفة الأخرى,.إن التركيز على مسألة التجديد في حل المشكلات الراهنة للأمة من خلال الإنفتاح على الثقافات الأخرى،هو من أجل خلق ذلك المجتمع الذي يمكن تصنيفه ضمن نفس النسق المتحضر،لكن دائما ما تكون الإعتبارات الدينية موجودة،ولهذا كانت لهم إنتقادات متعددة للغزو الثقافي الغربي,.تم عملية إنتقاد الحركات الدينية الأخرى من التقليديين الذين تجمدوا عند القرون الهجرية الأولى في تحريك قاطرة الإجتهاد،ويتمظهر هذا الرد في تقبلهم أفكار الحركة الوهابية في الحجاز على المستوى العقائدي, من خلال تصحيح عقيدة التوحيد من جهة،لكنهم من جهة أخرى لم يكتفوا بهذا القدر من العمل كإصلاح للمجتمع،بل توجهوا نحوى الشق الثاني من العمل،ألا وهو العلوم العقلية الغير مرتبطة بالدين,. ليس كل شيء مقبول وليس كل شيء مرفوض من

الحضارات الأخرى,.إنه الشعار الذي رفعه المشروع السلفي الإصلاحي،حيث يعمل على توظيف مفهوم الإختيارللأصلح، بإستعمال العقلنة في ذلك،كما كان ذلك في مشروع محمد عبده في محاولة التوفيق بين الديني والدنيوي،وذلك بغية إيجاد خيوط التوافق,.فإن كان هناك تعارض ما ،سيذهب هؤلاء إلى الإجتهاد في الوقائع المعاصرة،وعدم الإكتفاء بالتفسيرات التي تعود إلى سياق تاريخي غير هذا الذي تعيشه الأمة.,عدم البقاء في الإنغلاق على الماضي،ومشروعهم يرى أنه:كل فكرة صالحة لبناء المجتمع المسلم،لا تتعارض مع الدين فهي مقبولة ولا يهم من أي علم جاءت،غير أنه لن يكون هناك تقبل لكل شيء تفرزه الحضارة الأوربية,بل هناك عملية الغربلة,إنطلاقا من الرؤية الإسلامية,والحفاظ على قيم الإسلام ومفاهيمه[29]،بحيث لا يمكن أن نبني مجتمعا يأخذ كل شيء من غيره ،وفي الأخير يجد نفسه في تناقض مع عقيدته الإسلامية،وبالتالي نلاحظ أن تصفية الأفكار كانت تعالج في ميزان الدين الإسلامي قبل كل شيء,.إن الوسطية التي ميزت هؤلاء المصلحين تظهر جليا في عدم تقبل فكر التقليديين،ولا الإنجراف نحوى العلمانيين الحداثيين الذين يرون بأن الدين, مكانه في الفضاء المقدس،بل كانوا في وسط الساحة أين يتمسكون بالتوحيد الصحيح، ويواكبون العلوم الدنيوية من منظورهم,.لقد ظهر لنا جليا ذلك من خلال التربية الدينية التي كانت تقام من طرفهم في المساجد،وإلى جانبها العلوم الجغرافية والمنطق والفلسفة وغيرها, متأثرين في ذلك بالفلاسفة المسلمين.

سيكون المجتمع في المشروع الإصلاحي،بمثابة المجسد الحقيقي للإرث الإسلامي من جهة،ومن جهة أخرى مجتمع العلوم والمعرفة،حيث سيكون الفضاء المتخيل من خلال مشروعهم في نظرنا, هو فضاء اللاتعارض،واللاتطرف،والحرية مكفولة في إطار القانون داخل الإسلام،والذي هو كذلك تنظيم إجتماعي،إلى جانب أنه عقيدة وعبادة، [30]"حيث هكذا يبدوا الإسلام حقيقة سياسية وإجتماعية متجانسة،حضارة أعطت مفهومها الخاص للفرد الذي وضح مكانته داخل المجتمع وكذا إيجاد تنظيم الإتصالات بين الشعوب"،وهنا توضيح

29- أنور الجندي،اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار(منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى)،الطبعة الأولى،دار الإعتصام 1978.ص35.

[30]- islam et modernité chez muhammad Abduh: defis de son epoque et enjeux contemporains,s/d Eric Geoffroy,par etudiant ismaila Diop,pour obtenir Grade de docteur,29octobre 2009,université de strasbourg.p19.

على أن الإسلام, قد أعطى نظما و توجيهات سياسية و إجتماعية وثقافية, تمنح فرصة تلاقح الثقافات والتواصل بينها،والذي يعتبر أمرا غير مرفوض في مضمونه ومتونه المقدسة،وذلك من خلال ما جاء في القرءان الكريم،فهناك عدة آيات تدل على أن التنوع والتعايش بين العرقيات, هو أمر مرغوب في الملة الإسلامية,[31]"قال تعالى وجلعناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا".,أي بمعنى التعارف الثقافي والتلاقح بين مختلف الأفكار،من أجل التعايش في سلام وأمن،فإذا كانت الدساتير الحديثة للأوربيين تكرس مبدأ العيش المشترك،وإحترام الآخر داخل الفضاء الحضري،فهذا ليس بالجديد ،حيث لن يتم مرور هذه الفكرة عند الإصلاحيين ببساطة،[32]"فالإسلام و الإسلام وحده هو الذي أعطى التسامح والتعايش بين الناس،الأديان،والعيش المشترك،معناها الحقيقي قبل عدة قرون من ظهور العلمانية ،التي فرضت التعايش السلمي والإحترام المتبادل بين العقائد المختلفة"،أين سيكون هناك مجتمع يحتوي على ذلك التنوع المتجانس, حيث يكون إحترام عقائد الآخرين،أمرا لا يمكن الرجوع عنه،كونه جاء في النصوص المقدسة.

5-الدفاع عن الهوية الإسلامية بين التقليديين والمجددين:

بالرغم من أنه كان هدف الحركات الدينية الإصلاحية في العالم الإسلامي ،هو المحافظة على الهوية الإسلامية من التغريب, وكذا من التصوف المضلل للمسلمين في نظرهم،إلا أن طريقة الدفاع عن الهوية قد تعددت عندهم،فهناك تقليديين يجدون التشبث بالقديم هو الحل الوحيد لإنقاذ ما تبقى من الأمة الإسلامية ،بينما يرى الطرف الآخر أن هذا يعتبر ركود إلى الوراء،بل التجديد ومواجهة ماهو راهن بعقول حية, تعيش في عصرها هو الحل المساعد على النجاة,في هذا الإتجاه تعتبر كتابات محمد عمارة المعبرة عن فكرة التجديد داخل التدين ,بمثابة خطاب التجديد والتحديث والنهضة,تحيي التراث القديم بوسائل جديدة تمتاز بالمرونة تقبل التعدد وتتعايش مع الكل[33]،وهذا يعتبر بمثابة

---

[31]- القرءان الكريم..سورة الحجرات.الاية 13.

[32]-Boudjenoun Messaoud(,بوجنان مسعود),l'islam et le vivre ensemble,Al-Dirasat AL-islamiyya (الدراسات الإسلامية),High islamic council,volume 12 n22/09/safar/1443h/16/09/2021/issn:1112-4083.p123-124.

33-جدل الحداثة والتجديد الديني والمدني في الفكر الإسلامي لدى محمد عمارة،أ.نصيرة بوطغان،جامعة قسنطينة 2،عبد الحميد مهري،مجلة دراسات،المجلد 06/العدد:10(2019)،ص165-196.ص177.

إحترام العقول على تنوعها،وعدم مدح العقول القديمة وتجميد الراهنة، لكن دون التفريط في التراث التقليدي الذي يمكننا الإستفادة منه،حيث سيكون في النهاية، هومحاولة التوفيق بين التقليديين والمجددين،كونهم كانوا جميعا،يزعمون أنهم في وضعية الدفاع عن ملة الإسلام وعن هوية المسلمين.يرى مجتمع البحث السلفي أن الجانب العقائدي هو جانب ثابت لا يمكننا المساس به,كون أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالتمسك به,وهو شطر الإيمان بالله والعبادات المفروضة على المسلمين,بينما جوانب الحياة الإجتماعية الأخرى من خلال الإقتصلد فهو أمر متروك للعلماء الذين دائما ما يرسمون له تلك الفتاوى الفقهية التي لا تناقض التدين عند هؤلاء السلفيين,حيث يرى السلفي**(المبحوث رقم 01)**"الشيء الذي نتمسك به هو العقيدة لا تطور فيها ولا تجديد فيها,أما الحياة الدنيا ومتاعها نستفيد منها في إطار الشرع الذي يشرعه العلماء",وهنا تظهر جليا تلك الصورة الأنثرويولوجية التي تصدر من هؤلاء السلفيين بأن الجمع بين التمسك بالثراث الذي تركه العلماء السلفيين وما هو واقع في زمنهم هذا,هو شيء ليس فيه تناقضات ولا مخالفات,مادام هناك العلماء الذين يجتهدون من أجل التمسك بماضي السلف الصالح,من خلال الفتاوى التي تربط بين ماهو موجود في بطون الكتب,وماهو ممارس في الواقع المعاش,وهذا ما يدافع عنه السلفيين في حي كوشة الجير الهامشي,إن الجماعة السلفية ترسم لنفسها خصوصية ثقافية جديدة من حيث ما طرأ على الوضع الثقافي و السياسي من تغييرات راهنة مقارنة مع القرون السابقة,لكنهم يحاولون إيصال هذه الخصوصية الجديدة إلى من ينتقدونهم بأنها خصوصية تحافظ على جوهر الهوية السلفية, وعلى المرجعية التاريخية الشرعية للتدين الصافي الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه.تجدهم يرددون أن"الشيخ فركوس هو حامل الإرث السني الصحيح,وكلنا على طريقه نسير".لهذا لن يقبل هؤلاء السلفيين الفركوسيين مواقف ومناهج المصلحين المجددين من أمثال جمال الدين الأفغاني وحسن البنا,وذلك كونهم خرجوا عن المسار الوهابي,التيمي,الحنبلي.

6-قراءة أنثروبولوجية في الفكر الإصلاحي وإنتقاد التطورية:

ليس من الصدفة أن تبحث في علم الأنثروبولوجية،وفي نفس الوقت تهتم بموضوع الإصلاح من وجهة نظر مفكرين مسلمين,.وأن يظن القارئ في بداية الأمر أن هناك تباعد

بين المجالين،لكن سنعيد التذكير بأن الأنثروبولوجية لم تعد كلاسيكيا تنظر إلى المجتمعات الغير أوربية, بتلك النظرة المؤلمة،ولم يعد الدين مجرد سحر طقوسي ليس إلا,.بل سيكون الدين فارضا وجوده بأشكال متعددة من طرف معتنقيه,.فجعل الثقافة الغربية هي الأرشد لكل شيء، لم تعد صالحة للإعتقاد بها,.في موقف كان قديما ينفي ثقافة الآخرين,.فإذا كانت الأطروحة الأكثر تفتحا اليوم، والتي ترى أن الآخر يحمل ثقافته وهويته التي يدافع عنها،وعلينا أن نسمع له،أين أصبحت هناك الكثير من الأصوات تنادي اليوم وعلى إختلاف عقائدها وتياراتها،وذلك في كتاباتها بهذا المنطق, من خلال إحترام خصوصيات المجتمعات،حيث نجد على سبيل المثال [34]"الملتقى الذي نظم في متحف الإنسان كان هدفه الأساسي هو وظيفته"دعه يتكلم"بكل حرية"،متجاوزين في ذلك تهميش من جاءوا من دول عالم الجنوب،بأن لهم الحق في الكلمة،فإنه من هذا المنطلق،وضمن إهتمامنا بموضوع الحركات الدينية السلفية،فإنه يجب أن يفهم على أن السلفيين الذين جاءوا في مرحلة زمنية من التاريخ،وعلى إختلاف تياراتهم الدينية،إنما كان هدفهم هو التعبير عن ما يتصورونه على أنه كيانهم الذي لا يمكن لأي ثقافة أن تجتثهم منه,.سيكون مشروع التفكير في إصلاح الأمة الإسلامية من خلال الإتحاد بين المسلمين أنفسهم، هو البناء الأولي نحوى تشكيل الهوية التي تمثل خصوصيتهم التاريخية الأصيلة.، وهنا نجد أن هذا المشروع في نظرنا، أنه كرد متميز وبطريقة غير مباشرة على التطوريين,و الذين رفضوا أن تكون هناك مراحل تطور خارج خطهم, .إن المشروع الإصلاحي في نظرنا هو مشروع هوياتي بالدرجة الأولى،فمثلا جمال الدين الأفغاني كان يؤكد على الحرية والإنعتاق من هذا القيد,.فهذا إن دل على شيء،فإنما يدل على تلك الحرية التي من ورائها هو حماية خصوصيات الفرد المسلم،و الذي يريد أن يمارس ثقافته الدينية داخل مجتمعه، دون أن يتعرض لأي مساؤلة من أحد،والتي كانت تتعرض للطمس حسب رؤى هؤلاء المصلحين،وذلك من طرف الغزو الثقافي الغربي المعاصر لهم.

[34]-Jean Guiart,(s/d),etudier sa propre culture(experiences de terrain et méthodes),edition l'harmattan,2009.p10.

السؤال المطروح:هل نقبل النظريات والتقسيمات القادمة من الآخر،ونرفض فهم ما يريد أن يقوله السلفيين في المجتمع المحلي،متأثرين بما ترسله وسائل إعلام موجهة,.إن هذا الكيل بعدة موازين ليس في صالح أي طرف،خاصة المجتمعات التي هي تحت رحمة هذه القوانين التصنيفية,.إن الإنقسامات والصراعات الهوياتية والتي كان لها الأفضل في أن تتعايش بينها بدلا من الصراع،كل هذا سببه تلك الإزدواجية الفكرية الكلاسيكسية، والتي كانت تتقوقع بين مظهري العلم و مركزية الأنا,.هي إزدواجية لا زالت إلى عصرنا الراهن، تعيش تحت مخلفاتها مجتمعات كثيرة،منها المجتمعات الإسلامية,.وهنا نعطي مثالا من الواقع المعاش؛ حيث إن الصراع الهوياتي بين الفلسطيني المتشبث بأرضه، و الإسرائيلي المحتل،هو في حقيقة الأمر،تعبير على تلك الخصوصية الأنثروبولوجية للفلسطينيين,و الذين لا يريدون ترك هويتهم الدينية، وكذا في تعبيرهم عن طريق تشبثهم بالتراب، يتمظهر في مواجهة قاتليهم بصدور عارية,.وعلى هذا الأساس، نرى أن الهويات الإسلامية التي كانت ولازالت تصارع في العالم الإسلامي،يجب على الباحثين مقاربتها، بدلا من تصنيفها ضمن خانة الإرهاب بوسائل إعلام موجهة,.ألم تكن هذه الهويات الدينية تحس في زمن مؤسسيها بالغرابة وتعرض دينها للطمس,.؟هل لازلنا نصدق أحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية،على أنه هجوم إسلامي محض؟,.يجب تدارك الوضع في ظل ما تطرحه الرهانات المعاصرة،والعمل على فهم الوقائع من طرف ممارسيها, لا من طرف من يتحدث عن ثقافة غيره من منظوره العقائدي و بمعاييره الخاصة ،حينما تصنف على أنها خارجة عن منطق تطور وتحضر المجتمعات.

7-خاتمة:

إن العمل على مثل هذه المواضيع،والتي تخص التدين داخل الأديان،تعتبر من المواضيع الشائكة والمعقدة،والتي ليس من السهل وضع مقاربة لها عبر التاريخ،وذلك نظرا لحساسية المواضيع الدينية, وذلك بسبب الإختلاف بين الممارسين للدين،والذي قد يتطور إلى مواجهات مباشرة مثلما حدث مع الحركة الوهابية في القرن 18 ميلادي,.لقد كانت هذه المرحلة في الفصل الثاني ،هي محاولة التأريخ للحركات السلفية الدينية داخل الإسلام,.والتي جاءت لتحاول الدفاع عن مشاريعها الإصلاحية،من خلال منطلقات

مشتركة تتمظهر في العودة إلى العقيدة الإسلامية النقية, والصافية من أي بدع تلوثها,.لقد كان الهدف هو في الأخير،إعادة السيرورة الدينية داخل مجتمعاتها التي تعيش فيها،إلى أصولها القديمة،وذلك ضد التيارات الثقافية الغربية من جهة،ومن جهة أخرى ضد الحركات الدينية التي لا تمتثل لمنهج أهل السنة والجماعة،إلى جانب محاولة وضع نهضة للأمة.

لقد تعددت التيارات السلفية الإصلاحية في بلاد المشرق العربي،ونحن كان علينا التطرق إلى أهم الحركات السلفية في التاريخ،والتي كان ولازال لها رصيد مهم من التأثير على المستوى الإجتماعي الديني في العالم الإسلامي,.حيث جاء في بادئ الأمر الشيخ أحمد إبن حنبل،والذي رسم المعالم الأولى لهذا التيار السلفي الذي سمي بتيار أهل الحديث والنقل،حيث واجه مشكلة: هل القرءان مخلوق أم منزل من الله؟،بكل قوة أمام الخليفة نفسه,.ثم بعد ذلك بقرون ستأتي شخصية دينية أخرى ليست أقل تأثير في المجتمع من سابقيها,.إنه الشيخ إبن تيمية الحراني الدمشقي،حيث تأثر بالفكر الحنبلي كعقيدة مع الله،وكموقف ضد الخليفة وحاشيته في الدفاع عن أهل السنة والجماعة,.فأحيا بذلك تاريخا جديدا في هذا النهج،من خلال الذهاب أبعد منه في هذا التيار،فواجه أهل الكلام والمنطق والتصوف والمعتزلة وأهل الفلسفة القادمة من تراث الحضارات السابقة،وذلك لمنعهم من تفسير الدين والوقائع الدينية بإجتهاد فلسفي ممزوج مع الدين،كونه لم يرد في النصوص المقدسة،ولم يقل به صحابي،ولا عالم أهل سنة من التابعين,.فهو خروج في نظره عن فقه التشريع الإسلامي القويم والشرعي،بإدخال مصطلحات جديدة في الفقه الإسلامي لا أصل لها في الدين,.حيث أصبح بعض من ينتسبون لمختلف الحركات الدينية والتي ظهرت في عصره،يفسرون الدين بالرأي والعقل،لا بالنص والنقل،متحججين في ذلك،بأن النوازل التي نزلت على الأمة الإسلامية في عصرهم،ليست هي نفسها في صدر الإسلام،وبالتالي يصعب تفسيرها بعقول من عاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم،بل بفتح باب الإجتهاد المعاصر لهم.

بعد أن تمكن إبن تيمية في التوجه نحوى تأليف كتب ليست فقط في الجانب العقدي من خلال التوحيد وعبادة الله،بل ذهب أبعد من الإمام إبن حنبل،حيث سيعمل على وضع مشروع الدولة اللإسلامية،والتي كيف للراعي والرعية أن يعيشوا في علاقة توافقية داخلها،وذلك من خلال الإمتثال للشريعة الإسلامية،إلا أنه لم يكتفي بهذا الفكر لوحده،بل سيترك تلاميذا بعده،ومن أبرزهم الشيخ إبن القيم الجوزية،الذي هو كذلك ألف كتابا في السياسة التي يجب على المجتمع والسلطة أن يعيشوا في كنفها،وذلك تحت مظلة الدين الإسلامي,.سيعرف الإنتشار الفكري التيمي عبر التاريخ شهرة،وسيلقب فيما بعد،بلقب شيخ الإسلام،وذلك من طرف الحركات السلفية التي جاءت من بعده،متأثرة بفكره الديني الإجتماعي،معتبرين بأنه المجدد الأول في التاريخ السلفي,.وبعد قرون من وفاة هذه الشخصية،رأينا أنه قد بزغ نجم مصلح سلفي معاصر,.إنه الشيخ محمد إبن عبد الوهاب النجدي وطنا،الحنبلي مذهبا،قي القرن 18 ميلادي،أين أصبحت تسمى حركته الدينية بالوهابية،أين ثار هذا الأخير على تهميش المنهج الحنبلي ،التيمي في بلاد المسلمين،والذي يعتبره المنهج السني الصحيح عند هؤلاء المؤسسين الأوائل،حيث ثار ضد التوسع العثماني في البلاد الإسلامية،وتموقعه على كرسي الخلافة الإسلامية،حيث إعتبر التدين الصوفي الذي كانت هذه الدولة تدافع عنه،وتحميه في بلاطها،بمثابة تدين البدع والشرك بالله،و أنه ليس من تدين أهل السنة والجماعة,.سيقوم محمد إبن عبد الوهاب في هذا المنهج الذي حاول إحياء مضامينه في نفسية المسلمين،على محاربة كل من يخالف المذهب السني الحنبلي،وتمظهر ذلك في هدم قبور الصحابة والتابعين في المدينة المنورة،بحجة أن هذه القبور مرتفعة عن سطح الأرض فوق المستوى الغير شرعي,.لقد تمكنت الحركة الوهابية بعد مدة زمنية ليس ببعيدة،في الإطاحة بالنفوذ العثماني في بلاد الحجاز،عن طريق الإتفاقيات المبرمة مع القبائل العربية،وحتى مع البريطانيين،الذين كانت لهم عداوة مع نفس الخصم،ولم تتوقف الحركة الوهابية عند هذا الحد من النشاط،بل سيكون لها إتفاق من نوع آخر،وذلك لكسب المصالح التي جاءت من أجلها،ألآ وهي الجلوس والهيمنة على المرجعية العلمية والشرعية الدينية في بلاد السعودية،بحجة حماية منهج أهل السنةوالجماعة,.حيث سيكون ذلك الإتفاق التاريخي مهما جدا في الهيمنة على مجلس

الفتوى الدينية في العالم الإسلامي،وذلك كتمثيل للتدين الصحيح في نظرهم,.هو إتفاق بين الوهابية من جهة،و عائلة ال-سعود من جهة أخرى،فالأولى لها الحكامة الدينية،بينما الثانية لها الحكامة السياسية،وذلك كما هو متوارث منذ ذلك العصر،إلى زمننا الراهن,.ومنذ تلك المرحلة التاريخية في ميلاد هذا التيار السلفي،سيعرف إنتشارا واسعا خارج بلاد الحرمين الشريفين،حيث وجد البيئة التي تساعده على الإنتشار،وكون مكة هي مركز العوالم الإسلامية،ومكان للحج في كل موسم،سيكون هناك توعية ونشر هذا التفكير الديني بين الحجاج من طرف الفاعلين في المنهج الوهابي،والذين سيعودون إلى بلدانهم الأصلية بعد إتمام مناسك الحج،حاملين لتلك الأفكار،والتي ستؤثر في تدينهم الأصلي،ما يجعلهم يبحثون في ما تم نقله إليهم,.وإلى جانب هذه الطريقة،سيكون فيما بعد،فتح مؤسسات دينية،وجامعات إسلامية،تتبنى المنهج الحنبلي في بلاد السعودية،حيث سيتم إستقطاب الكثير من الشباب من مختلف دول العالم،وهنا ستكون المرحلة الثانية من نشر هذا التدين،والذي سيتطور فيما بعد،إلى إستعمال التكنولوجيا المعاصرة،والتنقل من طرف الدعاة والعلماء،إلى خارج بلاد السعودية،من أجل إيصال هذا التطرف الديني إلى أبعد حدود في العالم،وذلك من أجل الحفاظ على المرجعية التي تنتهجها السعودية،وكي لا يقع هناك إختلال في نظام مجتمعها الديني،أي:عدم تغلغل تيارات دينية تخالف التدين الرسمي.

بعد المرحلة الوهابية في السعودية،سيتعرض العالم العربي خاصة،إلى الغزو العسكري،والذي أنتج غزوا ثقافيا،وذلك من طرف الإستعمار الكلاسيكي،إن هذا سيعتبر بمثابة العامل الأكثر تأثيرا في الدفع بظهور علماء،يحملون في عقولهم،فكرة تغيير الوضع الغير مناسب مع خصوصية الأمة الإسلامية،و التي رأوا أنها تسير نحوى فقدان هويتها الدينية بدرجة أولى,.تكلل ذلك في بزوغ الحركة السلفية النهضوية في بلاد المشرق العربي،وذلك بزعامة الشيخ جمال الدين الأفغاني،والشيخ محمد عبده،وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا،حيث إنفجر هذا المشروع في زمن رأى فيه الأفغاني،بأن الحرية مسلوبة للمسلمين،سواء تحت سلطة التغريب،أو تحت حكومة تعمل ضد الأمة الإسلامية،تاركة إياها تسبح في ظلمات الجهل والركود,.هو مشروع إصلاحي متأثر بالوهابية في نجد،حيث ينطلقون من تصحيح عقيدة المسلم المعاصر،والذي لم يستطع مواجهة الغزو

نتيجة ضعف مرجعيته التي تعتبر ضالة عن التدين الصحيح،وهنا سيكون لهم توافق في العقيدة مع الوهابية،لكن هؤلاء النهضويين لم يكتفوا بالمجال العقدي التعبدي فقط مثل الوهابية،بل سيذهبون إلى مجال ثاني لا يقل أهمية حسبهم في حياة الأمة الإسلامية،إنه المجال الإجتماعي الدنيوي,.إن تحرير العقل من الجمود الذي سيطر على المسلمين طيلة قرون ماضية،وذلك عقب سقوط حضارتهم الإسلامية،وغلق باب الإجتهاد في القرون الهجرية الأولى داخل الدين،يعتبر القطرة التي أفاضت الكأس عند هؤلاء النهضويين,.لن يكتفي هؤلاء المصلحين بالتقليد الموروث عن الأسلاف السابقين في الدين، وتحريم العقل والإجتهاد والفلسفة والعلوم الخارجة عن الدين,.بل سيكون مشروع التلقي من الفلسفة والمنطق وتجربة الغرب في بناء حضارته،هي من النقاط الأساسية في مشروعهم،دون الغوص في هوية غيرهم،وتناسي هويتهم الإسلامية،وذلك تحت كنف الحرية وعدم السماح للتغريب أن يسلخهم عن هويتهم الأصيلة.

سيكون مشروع حركة النهضة هو التوفيق بين الدين والدنيا،بين الفقه الموروث و التجديد وإستعمال عقل المسلم المعاصر,.فقه الحياة اليومية في نظرهم أصبح لازما في عصرهم،وذلك بوسائل تتوافق مع السياق الثقافي الذي تمر فيه الأمة الإسلامية،حيث أن القوة التي أصبح يتمتع بها الغرب،لا يمكن مجابهتها بتجميد العقول،والإكتفاء بالماضي،بل يجب معرفة ما يجري عند الآخرين،من أجل مجابهتهم على نفس المستويات الحديثة.

سيأتي في زمن غير بعيد في مصر،والتي تعرضت للغزو البريطاني،والذي جاء من أجل فرض منطقه العسكري و الثقافي في المجتمع المصري,.في الربع الأول من القرن العشرين،سيشهد التاريخ الإسلامي،بزوغ حركة سلفية جديدة تنضم إلى أسلافها السابقين في التاريخ,.هي حركة الإخوان المسلمين مع مؤسسها الشيخ حسن البنا سنة 1928,.حيث كان نشاطها الأولي هو تعليم الفرد الذي كان في جهل تام لدينه الإسلامي،فكان من بين ما أقدمت عليه في بداياتها، هو التحرك على المستوى المؤسساتي الإجتماعي من خلال الجامعة والمستشفيات، وذلك بمساعدات خيرية من جهة،ومن جهة أخرى هو نشر تيارها الديني الذي كان يريد تأسيس دولة إسلامية،تكفل حرية الفرد

المعاصر،وتحكم بتعاليم الشرع,.ثم لن يتوقف الأمر على هذا المستوى ،بل سيكون النشاط الحزبي السياسي من أهم أهدافها في التغيير،وذلك من أجل مواجهة البريطانيين الذين سيطروا على المجتمع المصري،محاولين تغييره من الداخل الثقافي,.لقد كان توجيه التهمة إلى حكام العرب بأنهم طواغيت يحكمون بدساتير غير إسلامية،ووجب عليهم الحكم بالدستور الإسلامي.,سينضم فيما بعد السيد قطب كمنظر لهذا التيار،والذي أعلن في كتاباته بأن جهاد الكفار والطواغيت هو واجب إسلامي,.حيث سيتم إعدامه من طرف الحكومة المصرية بعد ذلك,.لقد كانت حركة الإخوان المسلمين ترى أن هوية المسلمين تتعرض للخطر،ولهذا كانوا ينشطون بطريقة خفية أثناء التواجد البريطاني في مصر،أين ساهم ذلك في تطور نشاطاتهم بعد الإستقلال,.سيكون تدين الإخوانيين وتنظيرات السيد قطب في القرن العشرين،بمثابة الفكر الذي سيلهم الكثير من الحركات الجهادية في العالم الإسلامي،ومايصطلح عليه بالسلفية الجهادية.

إن الوهابية التي تعتبر هي المرجع المعاصر الذي أيقظ الكثير من الحركات الدينية المعاصرة،لن يتوقف إحياء تراثها مع النهضويين والإخوانيين في التأثر بها،بل سيكون هناك في بلاد السعودية معقل التيار الوهابي في عصرنا هذا،ظهور مجموعة من العلماء،والذين إعتبروا أنفسهم سائرين ضمن المنهج الحنبلي،التيمي،الوهابي،لكن بتسمية جديدة أصبحوا يفضلونها بدلا من السلفية الوهابية,.فبعدما كان يقال لهم السلفية التقليدية،هم اليوم يصطلح عليهم بالسلفية العلمية,.يحبون العلم الشرعي ويكرهون العلوم الفلسفية التى لاتتوافق مع الدين الإسلامي,.هو تيار يدعوا الى نشر العلم الفقهي الصحيح،والموروث عن السلف الصالح،ونشر التوحيد عن طريق العلم،من أجل تصفية المجتمع وتربيته كما جاء في كتابات الشيوخ المؤسسين لهذه الحركة ,وهما الشيخ الألباني و الشيخ عبد العزيزابن باز,والذي إنشطر منها المداخلة نسبة لربيع بن هادي المدخلي.

لم يكن المجتمع المدروس في عرضنا لهذه التيارات بعيدا عن إبداء رأيه في هذه السلفيات,.حيث تمثل رأي الشباب السلفي القاطن في حي كوشة الجير،في رفضه للتيار الإخواني معتبرينه تيار من الذين يخرجون عن طاعة ولي الأمر،وهم خوارج

طغاة،ويشاركون في السياسة التي هي من مناهج غربية لا إسلامية,.إلى جانب ذلك فهم لا يتوافقون مع الفكر النهضوي في مسألة الإنفتاح على العلوم الغربية،والتشبه بهم في تكوين العقل الإسلامي،لأن هذا العلم الفلسفي فيه ما يتعارض مع الدين الإسلامي،ولا فلسفة في الدين،بل هناك مرجعية متفق عليها في التاريخ حسبهم,.فهم سلفية علمية،كانت ولازالت تقليدية،بحكم أنها لا زالت تتمسك بالأصول الأولى للفقه والتفسير،ولا تخرج عن ولاة الأمور،ولا تشارك في السياسة،تكتفي فقط بتغيير تربية الناس،من الضلال إلى الإلتزام بالمنهج السلفي,.من مؤسسيها الشيخ ناصر الدين الألباني الذي يعتبر عند السلفيين في الحي المدروس، بمثابة عالم أهل السنة والحديث في هذا العصر،او محدث العصر....

الفصل الثالث

الإستعمارية،"حالة الجزائر و المغرب":

1-مقدمة:

بعد المرحلة التي مرت بها العوالم الإسلامية العربية في بلاد المشرق، من خلال ما ذكرناه في الفصل السابق،وذلك حول المشاريع الإصلاحية السلفية،والتي جاءت من أجل عملية التجديد الديني من جهة،والنهضة بالأمة من جهة،والتغيير السياسي من جهة أخرى،فنحن الآن سنقوم بتحول تاريخي من المشرق إلى المغرب،وذلك من أجل تتبع هذا التوجه الديني،والذي أصبح ينتشر في البلدان الإسلامية وغيرها بشكل سريع،وذلك بسبب عدة عوامل,.لم تكن بلدان شمال إفريقيا بعيدة عن أحداث العصر،حيث هي الأخرى عاشت مراحل صعبة من تاريخها المعاصر،تحت وطأة الإستعمار العسكري،والذي تبعه مباشرة إستعمار ثقافي،وذلك في الجزائر كإستعمار،وفي المغرب وتونس كحالتين تحت الحماية

الفرنسية,.في هذا الصدد حاولنا أن نختار حالتين من دول شمال إفريقيا كمثالين نموذجين لما يهمنا في هذا العمل البحثي،وذلك في إختيار الجزائر كبلد يحتوي على ميدان الدراسة،والمغرب الذي هو الآخر يتقاسم مع الجزائر،الكثير من الأحداث المتشابهة،خاصة في المجالين: الثقافي،وكذا فيما يخص السلفيين الإصلاحيين،والذين كانوا في كلا البلدين يحملان نفس الأفكار،والتي جاءت من أجل مواجهة ثقافة التغريب وطمس الهوية المغاربية والإسلامية،إلى جانب محاولة توسيع مجال إنتشار الفكر السلفي في شمال إفريقيا،كدليل على تأثيره في منطقتين مهمتين في بلاد المغرب,.لقد تغلغل الفكر السلفي الإصلاحي التغييري في هذين البلدين،من أجل مشروع يتشابه إلى حد كبير،مع المشاريع الإصلاحية في البلدان المشرقية،وهذا لا يتمثل سوى في أن هذه البلدان، قد نقلت أفكارها الدينية السلفية في زمن الأزمات،إلى شمال إفريقيا،وذلك من أجل إعادة التجربة السابقة لبلدانها،في الجزائر والمغرب،وذلك عن طريق العلماء الذين تكونوا في بلدان المشرق العربي،فحملوا معهم إلى بلدانهم ترسانة من الأفكار التغييرية النابعة من المنهج السلفي،وهو ما تبلور فيما بعد،في مواجهة المشاريع الفرنسية,.لقد تمثلت السلفية الإصلاحية في الجزائر في صورة جمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ عبد الحميد إبن باديس،بينما في بلاد المغرب في مجموعة من العلماء من أبرزهم :الشيخ علال الفاسي،و الشيخ محمد العلوي وغيرهم.

لقد بدأت فرنسا قبل المشاريع الإجرائية التي طبقتها في الجزائر والمغرب من خلال تلك القوانين التي جاءت عبر مراسيم تنفيذية،وهي بهدف تغيير المجتمع المستعمر من الوضع الذي لا يتماثل مع الهوية الإستعمارية،إلى الإمتثال الثقافي الذهني لمجتمعات هذه البلدان، للثقافة الفرنسية،وما سمي بالثقافة المفروضة أو الثقافة المبرمجة،بوضع مشاريع علمية أكاديمية ،ممزوجة بالإيديولوجية الإستعمارية،ومتناسقة مع السياسة الفرنسية،أين كان هناك ظهور قوانين تطبق على الأهالي،وذلك بعد نهاية كل مرحلة من مراحل تطور البحوث الإستعمارية،المتغلغلة في عمق المجتمعات المحلية،وما إصطلح عليه بالإثنولوجيا الإستعمارية,.لقد كان للدراسات الإثنولوجية دور مهم في تسهيل عملية التوغل من جهة،ومن جهة أخرى في عملية وضع قوانين تتلاؤم مع ما كانت تخطط له المخابر

الفرنسية والحكومة المستعمرة في باريس,.وهذا ما كان مطلوب منا في هذا العمل،وهو التطرق إلى بعض الدراسات الإثنولوجية في المنطقة المغاربية،والتي كانت في خدمة الوضعية الإستعمارية،حيث تمحورت في محاولة دراسة العنصر البربري من خلال اللغة والتقاليد ،وذلك كان بغية تقسيم المجتمع إلى: بربر أصحاب الأرض،وعرب غزاة جاءوا من بلدان شرقية،إلى جانب محاولة إحياء الإرث الروماني المسيحي في المنطقة،والتمسك به كإرث يحق لفرنسا أن تحييه في هذه البلدان،تعتقد نفسها بأنها هي الوريث الشرعي له,.بعد هذه الدراسات ستعقبها قوانين فرنسية،تختار أهم مجالات تحاول ضرب المجتمعات المغاربية بها،وهي:اللغة،الدين،الأرض،النسب.،والتي تعتبر مجالات تشكل الهوية المغاربية ،والتي تجمع بين البربر والعرب منذ زمن الفتوحات الإسلامية.

2-الإثنولوجيا الإستعمارية في الجزائر و المغرب:

قبل البدء في عرض أهم ما جاء في الدراسات التي كانت الجزائر والمغرب،كحقل لها من طرف الباحثين الفرنسيين على إختلاف رتبهم ووظائفهم،كان علينا التطرق إلى علم الإثنولوجيا،كممر نحوى ما نصبوا إليه في هذه المنحى،كون أن العمل الإثنولوجي يربطه بظهور السلفية الإصلاحية،تلك القوانين السياسية الإدارية،والتي تم تفعيلها إجرائيا عمليا داخل المجتمع المحلي,.فستكون هناك ثلاثية مترابطة في هذا العمل وهي:الإثنولوجيا الإستعمارية،السياسة الفرنسية لطمس الهوية المحلية،السلفية الإصلاحية.

أ-الإثنولوجيا:

إن علم الإثنولوجيا من العلوم الكلاسيكية التي إهتمت بدراسة الشعوب والإثنيات،حيث كان اللإثنولوجي قديما يبقى في مكتبه من أجل تحليل وتصنيف النتائج التي يأتيه بها الإثنوغرافي من الميدان,.فكان هذا الأخير يتوجه نحوى الميدان،حاملا معه ما كان يسمى ورقة طريق،أي:كان عليه أن يلاحظ الممارسات التي تم تدوينها في هذه الورقة،حتى وإن كان يلاحظ أشياءأخرى غير موجودة في مخطط البحث والملاحظة,.إنها الإثنولوجيا التصنيفية التطورية،والتي كانت تجمع ممارسات تلك الشعوب البدائية،بغية إدراجها في المستوى التطوري، وما يسمى: مراحل التطور الإنساني،وأن الذين يتربعون

على كرسي الحضارة الإنسانية،هم المجتمعات الأوربية فقط،وهي مركز العالم في كل المجالات،وفقا للإيديولوجية التي يسوقون لها,.ففي المنطقة المغاربية،كان نصيب هذه الشعوب،من التصنيفات المضللة للحقيقة ظاهرا في دراسات كثيرة،أين مثلا نجد أنهم لم يكتبوا عن المرأة المسلمة بشكل موضوعي،حيث إعتبرت أنها مظلومة تحت رحمة هؤلاء المسلمين،الذين يحكمون عليها بدينهم.

ب-الأنثروبولوجيا المعاصرة:

ظهرت القفزة النوعية للأنثروبولوجية التي تهتم بدراسة كل ما ينتجه،أو يتمثله الإنسان، مع المدرسة البريطانية،وكذا الأمريكية،حيث الإهتمام بثقافة المجتمعات البدائية،إنتقلت من وضعية تطبيق قوانين العلوم الرياضية والطبيعية،إلى الإهتمام بثقافته وخصوصياته،بوضعية نوعية جديدة،دون تشييء الظواهر،بل هناك معاني ودلالات ترمز لها تلك الممارسات الملاحظة في الميدان،وجب فهمها، إنطلاقا مما يصدر عن المبحوث,.وهنا يمكننا أن نقول بأنه:إنتقال من هيمنة القانون المادي في الحكم على الممارسات الإنسانية وإخضاعها لنفس القوانين التي تتماشى معها الطبيعة،إلى النوعية والتي تمثل تلك الخصوصيات التي تبرز ذلك التنوع بين الجماعات والأفراد،وأن الإنسان متغير بطبعه،ولا يمكننا أن نضبطه ضمن نسق واحد،بل هناك تغيرات تطرأ على ممارساته في كل حين،ما وجب علينا مقاربتها في كل لحظة،عكس الظواهر الطبيعية الخاضعة لقانون الحتمية,.مع مالينوفسكي برونيس لاو،في النصف الأول من القرن العشرين،ستظهر ما يسمى :الملاحظة بالمشاركة،حيث وجب على الباحث من أجل أن يجمع القدر الكافي من المعلومات من ميدان دراسته،أن يعايش المجتمع المدروس لمدة طويلة،وذلك بهدف التغلغل جيدا في مختلف الممارسات التي يقومون بها من جهة،ومن جهة أخرى، القيام بمشاركتهم مختلف نشاطات الحياة اليومية، وطرح تساؤلات حول المعاني التي يقدمونها من وراء هذه الأفعال، بغية تدوينها للفهم والتأويل، بعد نهاية العمل من جهة أخرى,.بعيدا عن الأحكام المسبقة والتصنيفات المضللة للحقيقة،والتي غزت أدبيات اللإثنولوجيا الكلاسيكية,.عمل مالينوفسكي بتقنية الملاحظة بالمشاركة،حيث تعتبر دراساته في قبائل المحيط الهادي،في جزر التروبرياند،من أشهر الدراسات التي فسر فيها

عدة مؤشرات داخل المجتمع البدائي،أين فسر نظام علاقة القرابة و طقوس صناعة الزورق والذي يخضع لنظام ثقافي خاص بهم,.إنها إحدى الأعمال التي سيكون لها تأثير في الإنتقال إلى الأنثروبولوجيا ما بعد الإستعمار، أو ما بعد النصف الأول من القرن العشرين,.ستعيش الجزائر صنفين من الباحثين,.هناك صنف جاء من أجل خدمة بلاده،بينما الصنف الثاني من أمثال بيار بورديو، سيكونون في حالة الدفاع عن هوية المجتمع الجزائري وأحقيته في نيل الإستقلال.

ج-الإثنولوجيا الإستعمارية:

إنغمس الباحثين الأنثروبولوجيين في الإيديولوجيا الإستعمارية لبلدانهم الأصلية،حيث إبتعدوا عن الحياة العلمية،وأصبحوا يتبنون الروح الإستعمارية،والإستعلائية للمركزية الأوربية،وذلك من خلال القيام بدراسات إستكشافية على المستعمرات، من أجل تسهيل عملية السيطرة عليها من طرف البلد المستعمر,.هي خدمة لبلدانهم، بحجة نقل الحضارة لأولئك البدائيين البرابرة،مستبطنين الأهداف الإنتهازية والتى تتمثل في الإستفادة الجغرافية من هذه البلدان،وما تملكه من تنوع في شتى المجالات,.بعثات نحوى دول جنوب البحر الأبيض المتوسط، للقيام بأعمال وصفية مهمة،أين ستساهم حسبهم هذه الدراسات في إدخال العلوم والصناعة إلى البلدان الإفريقية[35]من أجل تغييرذهنيات شعوب هذه القارة،إنها الخلفية التطورية في هذا المنحى،ظاهرة للمعاينة,.لقد إندس الكثير من الإثنولوجيين داخل المجتمعات المحلية،دخلوا في قانون اللعبة الإستعمارية،حيث راهنوا على تطبيق مشروعهم الحضاري، الملغم من الداخل بأفكار خبيثة،وذلك بهدفهم المنشود،وهو تجسيد هذه المشاريع على شكل ثقافة تتغلغل في ذهنيات شعوب هذه البلدان،تصبح كممارسة يومية لهم،وذلك من أجل السيطرة عليهم ثقافيا وطمس هويتهم الأصلية.

35- جيرار لكلرك،الأنثروبولوجيا والإستعمار،ترجمة:د.جورج كتورة،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،الطبعة الثانية،1990.ص22.

بعد هذه الدراسات التي توغلت في المجتمعات الإفريقية،وعلى سبيل المثال:الجزائر والمغرب الأقصى،ستكون هناك السياسة الإستعمارية التي سوف تعمل على تغيير ثقافي ممنهج من خلال القوانين المتعددة المجالات،بهدف مسح شامل للهوية المحلية،وتوطين الهوية الإستعمارية محلها,.إنها الصورة البانورامية التي تشكلت في الأخيرمن خلال تلك الواجهة التي تجمع الباحث الإثنولوجي مع السياسي المقرر،أي لا نستطيع أن نتكلم في هذا العمل عن المواجهة التي جمعت بين كل من :السلفيين الإصلاحيين في المنطقة المغاربية،والسياسة الإستعمارية بكل ما تحمله من مشاريع ثقافية،دون البدء بالأعمال اللإستشراقية الإثنولوجية،والتي كانت سببا أكثر من مهم،في تسريع عملية الهيمنة والتوسع داخل هذه البلدان(الجزائرو المغرب) من جهة ،وفي الجهة الأخرى:حملت تلك الأعمال التي هي تحت ميزان الإستنطاق،نفس المجالات التي تم وضع قوانين ومراسيم فرنسية لها،ثم تم تطبيقها على مجتمع الأهالي,.ولكن مع النصف الثاني من القرن العشرين، سيكون هناك بروز ما يسمى أصوات تخرج من نفس البلد المستعمر،أين نادت بأن هناك أعمال إثنولوجية بعيدة عن الروح العلمية،وهي متورطة في النزعة الكولونيالية،من هذه الشخصيات،نجد السوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو،والذي دافع عن المجتمعات المستعمرة وعن المضطهدين والبؤساء إلى آخر حياته.

د-الإثنولوجيا الإستعمارية في الجزائر:

قبل دخول فرنسا إلى الجزائر،كانت هناك الدولة العثمانية باسطة نفوذها على المنطقة،وكانت في صراع مع الدول الأوربية حول البحر الأبيض المتوسط،وكذا الصراع حول المغرب الأوسط مع المخزن في المغرب الأقصى,.حيث كان في تلك الفترة في الجزائر، القوة البحرية التي أرخ لها المؤرخين،بأنها كانت تفرض إتاوات وضرائب على أكبر الدول في شمال البحر الأبيض المتوسط،لكن هذا لن يشفع لها في الضفة الأخرى،حيث الإفرنج يخططون,.كان هناك تخطيط ممنهج في الإطاحة بالدولة العثمانية في الشمال الإفريقي،بغية إسترجاع الإرث الروماني المسيحي المزعوم من طرف فرنسا,.من هنا سيكون هناك توغل سري في الجزائر،وذلك من أجل جلب كل ما سيهيء لهم عملية الولوج العسكري الميداني،والذي إنتهى بدخول عسكري في 05 جويلية

1830,.الإهتمام بشمال إفريقيا هو تفكير قديم وليس بالجديد،فهو مشروع يراد من خلاله ان تكون هذه المنطقة تابعة سياسيا وجغرافيا إلى القارة العجوز،بدلا من الدول الإسلامية في المشرق العربي،والتأكيد على أن الدين هو الهدف الأول في هذا المشروع،كونه هو أساس الإرتباط الهوياتي مع بلاد المشرق العربي،وكذا اللغة العربية التي تمثل تلك الهوية المشتركة بين الناطقين بها،وهنا سنتطرق إلى بعض الدراسات التي إهتمت باللسان البربري والتراث الروماني من أجل البحث عن نقاط تقسيم واضحة،كان هدفها التفريق بين العرب والبربر،وأن الفتوحات الإسلامية،هي في الحقيقة تعتبر غزوا ثقافيا وعسكريا من طرف أولئك العرب الهمجيين القادمين من بلاد الحجاز واليمن، وهذا من منطلق التفكير الفرنسي.

من شروط الأنثروبولوجية أن الدراسات التي يكتسب بها الباحث المعرفة العلمية،لابد لها من ميدان يصقلها،وهي المعرفة المطبقة في الميدان،وفي نفس الوقت المستخرجة منه،وذلك من خلال كيفية التطبيق داخل الميدان،والإتصال مع الظاهرة المراد دراستها,.فعلى الباحث إكتساب وضعية وسلوك ثقافي يساعده على التحكم في الميدان من جهة،ومن جهة أخرى يساعده في الإستماع و الملاحظة إلى كل ما يتم إفرازه من أولئك المبحوثين بطريقة صارمة،حيث يتم من خلال هذه الوضعية إحترام ثقافة المبحوث،وسلوكه، بل و عقيدته،حتى وإن كانت تختلف مع العقيدة التي يكتسبها الباحث نفسه,. بعيدا عن كل ما يضبب المعرفة الحقيقية لما يلاحظه،في وضعية إبستمولوجية مريحة،صافية من الأحكام المسبقة،وهذا من أجل الكتابة الأنثروبولوجية التي سوف تكون في الأخير،متشبعة بالمعرفة المتعمقة للميدان المدروس,.إن هذه الشروط التي أصبحت بمثابة الشرعية المفروضة في هذا الميدان،لم تولد هكذا إلا بعد مخاض عسير،وذلك من خلال المراحل التاريخية التي مرت عليها البحوث العلمية الإثنولوجية،علمية في بعض المرات و فضول إستكشافي في مرات أخرى،هذا المسار الذي تطورت نحوه الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة والحديثة،هو نقطة النهاية الآنية،وهنا سنعود إلى الماضي المعاصر الغير بعيد، وذلك للتذكير بأهم الباحثين الذين لم يستجيبوا لهذه الضوابط المفروضة في البحوث العلمية،أين كانت الجزائر تحت رحمة هذه الدراسات التي صنفت

هؤلاء المحليين الأهالي ،إنطلاقا من ورقة طريق تم إعدادها وبرمجت خطواتها من الضفة الأخرى للمتوسط،وذلك ما تبلور في التخمين والكلام الفلسفي الذي طغى على هذه الدراسات،لا من المعاني التي يقدمها المحليين لممارساتهم الثقافية اليومية.

العودة إلى ماضي الكتابات الإثنولوجية في البلدان المغاربية كالجزائر والمغرب الأقصى،كتابات لطالما كانت محل إتهام من عدد لا بأس به من الباحثين المحليين،وكذا من داخل المجتمعات الغربية نفسها،ستكون فيما بعد برامج وقوانين تطبق بلغة الخشب لا بل بلغة البارود،محاولة المساس بالهوية التي يتمسك بها أهالي هذه البلدان,.إن إنتفاضات الحركات الصوفية عبرالمقاومات الشعبية ومن أبرزها:مقاومة الأمير عبد القادر،الشيخ بوعمامة،لالا فاطمة نسومر...هي في حقيقة الأمر، مقاومة الدفاع عن الهوية الجغرافية للجزائر،ثم ستكون هناك حركة سلفية في مطلع القرن العشرين،بزعامة الشيخ عبد الحميد إبن باديس الصنهاجي،كان هدفها مجابهة الوضع الذي وصل به الأمر،إلى العمل على التغيير الهوياتي للمجتمع المسلم في أغلبيته،وذلك بقوة السلاح وقوة الفكر والثقافة,.حركة دينية إصلاحية ستمضي على خطى السلفيين الإصلاحيين في البلدان المشرقية من قبلها،وستكون المواجهة الثقافية في شكلها الفكري،بعيدة عن السلاح في بعض المرات،إنطلاقا من الربع الأول للقرن العشرين،إنها معركة الهويات:هوية فرنسية تريد أن تسيطر على الفضاء الجغرافي،وعلى الفضاء الثقافي للمجتمع،وأخرى تعمل على إعادة الوضع إلى سابق عهده،وذلك يتمظهر من خلال النشاطات المتعددة التي إعتكفت عليها جمعية العلماء المسلمين،والتي تمثلت في التعليم الديني وغيره.

لقد كانت الجزائر في مطلع القرن العشرين،تشبه إلى حد ما، التسمية التي تم إطلاقها على المدينة في الولايات المتحدة الأمريكية،وذلك من طرف مدرسة شيكاغو،والتي إعتبرت المدينة بمثابة: "مخبر"،تقام فيه كل البحوث الإجتماعية، وتستخرج منه كل المعارف العلمية السوسيولوجية,.ففي هذه الحالة وفي نفس القرن، ستكون الجزائر بمثابة: "مخبر إثنولوجي فرنسي",.حيث كانت هناك رحلات إستكشافية لجغرافيين قبل الدخول الفرنسي إلى الجزائر،وذلك من أجل الدراسة الطوبوغرافية للمنطقة،حيث جاء باحثون

بمهام سرية،من أجل رسم الجغرافية الجزائرية،إبان التواجد العثماني في الجزائر،وذلك كتمهيد أولي للدخول الفرنسي إلى الشمال الإفريقي،ومنذ لحظة الدخول إلى الجزائر عبر ساحل سيدي فرج بالعاصمة،ستكون اللإثنولوجيا كحليف إستراتيجي للمهمات العسكرية في الجزائر،وهو ما يعتبر كبداية للإحتلال والسيطرة على الفضاء,.ستلطخ صمعتها عندما تنغمس في متاهات السياسة الكولونيالية،وتبتعد عن الروح العلمية والأخلاقية،في إحترام ثقافة الآخرين،وحمل النية المبيتة في السيطرة والهيمنة على المجتمع الجزائري وعلى مقدراته الجغرافية,.منذ 1830،سنة الهجوم على الجزائر،إنها النقطة التي بدأت فيها ،عملية الحرب على الهوية الجزائرية،من أجل الطمس والتغيير،والمساس بالخصوصيات الأنثروبولوجية للأهالي,.منذ هذه اللحظة، ستنطلق المغامرات الإثنولوجية المتلونة بالإيديولوجية العسكرية الإستعمارية في بدايتها،متغلغلة داخل أعماق المجتمع الجزائري،بكتابات إنتقدها الكثيرين أنها كانت في غالبها،خارج أطر البحث الأكاديمي الموضوعي,.لقد كانت هناك خلفية نقل الحضارة الأوربية من شمال الكرة الأرضية إلى جنوبها،هي أبرز أفكار تم ترويجها من طرف المحتل و باحثيه الإثنولوجيين،هي معركة هوياتية ستدوم مدتها 130 سنة من التصادمات المعقدة بين طرفي الصراع.

مرت مراحل التغلغل داخل المجتمع الجزائري،بغية التحكم فيه عن طريق المساعدات التي قدمتها الدراسات اللإثنولوجية بعدة مستويات, حيث بدأ دخول فرنسا إلى الجزائر مع البدء بالمرحلة العسكرية للدراسات الإثنولوجية،[36]"حيث أن الإكتشاف العلمي للجزائر قبل الإحتلال،بدأ من طرف العسكريين ،حيث يتقدمون إلى الميدان بإستعمال القوة ،وكانت الإكتشافات الأولى مخصصة للجزائر و المدن المفتوحة"،والتي تم السيطرة عليها من طرف القوات العسكرية الفرنسية،حيث يعتبر كبار الضباط الفرنسيين من الأوائل الذين ساهموا في ضبط المسيرة الإثنوغرافية الإستراتيجية للسلطة الفرنسية،حيث تعتبر بمثابة مرحلة تهيئة الطريق، نحوى مراحل بحثية أخرى،ستكون أكثر تعمقا في دراسة المجتمع الجزائري،خاصة على المستوى الذهني الثقافي،إنها المرحلة التي سيتم فيها من طرف

[36]-philips lucas,jean-claude vatin,l'algerie des anthropologues,edition librairie françois maspero,paris,1975.p13.

كبار الضباط, بسرقة كل الوثائق التي خلفتها الدولة العثمانية،والتوغل داخل المدن والقرى الجزائرية،وذلك بغية معرفة المواقع الدفاعية للعنصر المحلي،حيث كانت مرحلة العمل على إسقاط الأماكن الدفاعية الإستراتيجية للشعب الجزائري،بهدف إضعاف المقاومة والهيمنة على المناطق الداخلية.

بعد المرحلة العسكرية في الجزائر،من خلال الدراسات الإستكشافية التي كان يسيرها كبار العسكريين،ستدخل الإثنولوجيا الفرنسية مرحلة الإداريين،أي: الإثنولوجي الإداري،وسيكون التركيز على محاور مهمة في التركيبة الهوياتية لمجتمع الأهالي،مثل الأرض والمرأة والنسب والقبيلة,.ففي مطلع القرن العشرين, لم يكن تأسيس متحف الإنسان سنة 1937 إعتباطيا،من طرف عالم الأعراق بول ريفييه،لأنه بعد الحرب العالمية الثانية،سيكون هناك تنظيم للأعمال الإثنولوجية في الجزائر،والتي توجه مباشرة إلى مخابر هذا المتحف،فلم تكن سرقة جماجم المقاومين الجزائريين من أجل تزيين الفضاء الداخلي للمتحف،إنما كانت هناك أعمال تنتظر جماجم هؤلاء الشهداء،حيث يتم تطبيق قوانين الإثنولوجيا التطبيقية الفيزيولوجية عليها،لتصنيفها ضمن علم الأعراق والقياسات،حيث كانت في تلك الفترة،الإثنولوجيا الفيزيقية لازالت تجد لها مكانة مريحة داخل الأكاديميات والمعاهد الفرنسية لعلم الإنسان،مقارنة مع المدارس البريطانية والأمريكية،والتي عرفت قفزة نوعية نحوى الأنثروبولوجيا الثقافية والإجتماعية ،وذلك مع أمثال: إدوارد تايلور و مالينوفسكي وراد كليف براون.

إن مرحلة الإدرايين والجامعيين الإثنولوجيين،(الإداريين سيهتمون بالجانب الإداري من خلال الإحصاء وتعداد السكان والدواوير, بينما الجامعيين هم من سيتوغلون في فهم المجتمع الجزائري في عمقه الثقافي),حيث ستعرف هذه المرحلة تلك الإهتمامات التي ستتمحور حول فهم :التنظيمات الإجتماعية،الأعراف،القبيلة،الدين..إلخ.حيث عملت فرنسا على محاولة تفكيك الشفرات الداخلية لهذه المفاهيم التي تشكل بنية المجتمع الجزائري،والتي ستتبلور فيما بعد على شكل قوانين تطبق على الأهالي,.سيقوم فيها الإثنولوجيين الجامعيين بممارسة الإثنولوجيا الثقافية والإجتماعية، من خلال التأكيد على

الروابط الثقافية التي تنظم القبيلة من الداخل،أي فهم القوانين العرفية والدينية التي تعتبر الهيكل الأساسي في قوة المجتمع,.إن دراسة اللغة والدين كانا عاملين أساسيين في هذه المرحلة،واللذان يمثلان أهم ما يميز خصوصيات المجتمع الجزائري،هي إهتمامات لأهداف إستراتيجية بغية معرفة قوة التنظيم الداخلي للقبيلة,.فلقد مضى **أندري باسيه** على خطى والده **رينيه باسيه** المتخصص في الأدب, أين إهتم هذا الأخير باللهجات واللغات في شمال إفريقيا،البربرية والعربية،من خلال تحديد المناطق الجغرافية التي ينتشر فيها اللسان البربري،أين رأى أنه بالرغم من أن منطقة الغرب الجزائري مثل:تيارت،تلمسان كان فيها اللسان البربري موجودا منذ القدم،إلا أنها مناطق عرفت إختفاء هذا الأخير،ومع إبنه أندريه باسيه سيستمر العمل على الإهتمام بمجال اللسانيات في شمال إفريقيا،حيث ستكون هناك خلفية واضحة في التعليق على تطور عدد الناطقين بكلا اللسانين،في إشارة إلى تدهور اللغة البربرية المحلية، حيث يرى أنه [37]"إذا كان يجب أن تختفي البربرية تماما قبل العربية،وحيث إختفت بالفعل،فهذا ليس بسبب التطور اللغوي الداخلي،بل من خلال تزايد الأشخاص الناطقين بالعربية على السكان الناطقين باللغة البربرية"،وهنا تلويح مهم في أطروحته اللغوية،حيث أن إنتشار اللغة العربية ليس لأنها لغة قد تطورت من الداخل،بل يرى أن هناك تعريب واضح للعنصر المحلي على حساب لسانه الأصيل والتقليدي،أي هناك بربر تعرب لسانهم, وهذا هو سبب ميل الكفة لصالح العربية،إنها أحد أهم الأفكار التي يجب أن يتم زرعها في كيان العنصر البربري وهي اللغة،أين يتم إيقاظ الشعور في ذواتهم بأن هناك هوية يجب أن يتم النبش عنها لأغراض إستعمارية طبعا،لا لأغراض أنثروبولوجية محضة,.إنها دراسات إحتوت بداخلها على الكثير من المواقف السلبية،بالرغم من المعارف التي جلبتها معها،لكن وصمة العار لا تزال تلاحقها،لأنها كانت في خدمة المحتل الذي إستعملها في صالح الهيمنة على الأهالي،حيث سينادي الكثير من الأنثروبولوجيين بعد الإستقلال بضرورة إعادة قراءة هذه الأعمال بكل ما تملكه من حلاوة المعارف و مرارة الحكم على الأهالي.

[37]-André basset,article de dialectologie berbere,préface de e.benveniste,librairie c.klincksieck,1959,numéris et diffusé par ayamun de littérature berbére,2005.ayamun.com.p81.

يعد **إيميل ماسكراي** من الإثنولوجيين الذين إهتموا بالبربر والعرب بغية معرفة التنظيم الداخلي لهم،حيث إهتم بدراسة تشكيل المدن في الجزائر من خلال دراسات إجتماعية ،إن التأكيد في كل لحظة من طرف هؤلاء الباحثين على الإهتمام بالعنصر البربري ليس أمرا خاليا من الأهداف،فإذا كانت كتاباتهم تحتوي على فكرة" الغزو العربي"،بدلا من "الفتوحات الإسلامية"،دون إحترام التاريخ،فهذا يندرج ضمن اللاإعتراف بأحقية العرب في شمال إفريقيا,.لقد سار على نهج من بدءوا لحظة الدخول إلى شمال إفريقيا،من التبشيريين وكبار العسكريين،لقد كان صريحا في أطروحته الهوياتية،والتي تخص البربر وإستعمال كلمة السكان الأصليين في إشارة واضحة على تهميش الطرف الآخر من المجتمع،ويرى أنه[38]"في هذه السنوات من النهضة الثقافية البربرية والوعي بالهوية،سيكون من المثير بمعرفة ما يفكر فيه المعنيين بشأنها،ومن حسن الحظ أنهم لم يعودوا بحاجة إلى قادة فكر من بلدان أخرى"،أي أولئك القادمين من بلدان أخرى مثل العرب المسلمين،لم يعد لهم دور في تمثيل السكان الأصليين من خلال دمجهم في الدين الإسلامي واللغة العربية،إنها الدراسات الإثنولوجية التي مزجت بين العلم والإيديولوجيا،حيث وجب على المنقبين في الإستفادة من هذه الدراسات، العمل على فرز ما تضمنته صفحاتها،وهي من ضمن البحوث الأخرى التي إتهمت بالخروج عن الروح العلمية كما جاء على لسان عالم الإجتماعي **بياربورديو** في إنتقاد الكثير منها,.فليست كلها مقبولة وليست كلها مرفوضة،بل عملية النقد والغربلة هي التي تحتاجها الدراسات الإثنولوجية في جزائر الإستعمار الفرنسي.

إن هذه المرحلة تعتبر نوعية جدا في عملية التحكم مستقبلا في هذا المجتمع الغريب إثنولوجيا من وجهة نظرمهيمنة(فرنسا المدرسة الإثنولوجية)،حيث سيكون هناك جامعيين أكاديميين يسهرون على التوغل بشكل دقيق في عمق المجتمع الجزائري،محاولين العمل على الوصول إلى فهم أعمق له من المراحل السابقة،إنهاالمرحلة التي ستحتوي على

[38]-Camp Gabriel,E.msquery,formation des cités chez les population sédentaires de l'algerie,kabyle de djurdjura,chaouia de l'Aouras,béni mezab.in:Revue de l'occident musulman et de la méditerranée,n°36,1983pp206-208.p208.article en ligne : https://www.persee.fr/doc/femme_0035-1474_1983_num_36-1-2011.

عنصرين من الباحثين،فهناك عنصر سار في نفس نهج السابقين من الإثنولوجيين في التمسك بالإيديولوجيا الإستعمارية،وصنف آخرسبح ضد التيار اللإستعماري,أين دافع عن أحقية الجزائريين في نيل الإستقلال،ومن بينهم السوسيولوجي الفرنسي **بيار بورديو**.

تعتبر **جيرمان تيليون** هي الأخرى لم تكن بعيدة عن الفكر اللإستعماري،والبقاء الفرنسي في الجزائر،كانت قد أشرفت على **الدكتور أحمد بوكوس** من المغرب الأقصى، والذي كان من الناشطين البارزين في الحركة الأمازيغية,.تفكير كان فيه سمة التطور واضحة في بعض دراساتها،ففي **كتابها الحريم وأبناء العم**،أو ما **سمته بجمهورية أبناء العم**،كانت تذكر تلك الأفكار التي تلوح في مضامينها الأهداف التطورية و التصنيفية لمجتمع الأهالي،إن إهتمامها بشمال إفريقيا هو محاولة إيجاد تلك الروابط التاريخية بين أوربا وشمال إفريقيا،كتأكيد على ذلك الرباط الثقافي الذي يجمع ضفتي البحر الأبيض المتوسط، وكذا النسق التطوري،إن بنية المتوحشين وبنية المتحضرين هي بنيات لشعوب تتموقع في وسطهما بنية جمهورية أبناء العم,أين يسود بين عناصرها التضامن كواجب مفروض,وذلك لإنحدارهم من نفس النسب الأبوي[39]وهو ما يميز مجتمعات شمال إفريقيا حسب **جيرمان تيليون**،أي هناك مجتمع يوجد في الجزائر،ترى أنه لا ينتمي لا إلى البنية الأولى ولا إلى البنية الثالثة،بل في وسط هذه البنيات،وهو ما يبرز تلك الخلفية التطورية،من خلال الخط الذي رسمته النظريات الأوربية لتطور المجتمعات،وذلك في السير على نهج الفكر الكولونيالي الذي جاء حسب زعمه, بأنه سينقل الحضارة الأوربية لأولئك البرابرة ،والتمدن الذي لا يوجد عندهم,.تؤمن **جيرمان تيليون** أن هناك علاقة تاريخية تقتسمها دول جنوب أوربا مع شمال إفريقيا،وهنا إشارة واضحة تشبه تلك الأطروحة التي روج لها الفرنسيين عن طريق التبشيريين،وذلك من خلال النبش عن الإرث الروماني المسيحي،والذي إعتبر بأنه موجود قبل الغزو العربي الإسلامي،وهو ما وجب على فرنسا إحياء تراث أجدادها في شمال إفريقيا كما كانت تزعم،وذلك من أجل

[39]-جيرمين تيليون،الحريم وأبناء العم،تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط،ترجمة:عز الدين الخطابي وإدريس كثير،دار الساقي،الطبعة الأولى 2000.ص19.

دعم وتبرير الشرعية الكولونيالية في شمال إفريقيا،والترويج لها على أنه إسترجاع ميراث،لا غزو أوطان.

بعد إنتشار حركات التحرر في دول الجنوب،والتي كانت تعيش تحت هيمنة الإستعمار التقليدي،كانت حركة التحرر داخل الجزائر هي الأخرى ذاع صيتها في أنحاء العالم ،وكما قلنا سابقا أن الإثنولوجيا كانت في خدمة المشروع الإستيطاني،سيظهر في مرحلة متأخرة من تاريخ هذا الغزو، سوسيولوجي فرنسي، المدعو**"بيار بورديو"**،والذي سيدافع من خلال كتاباته عن أحقية الشعب الجزائري في نيل الحرية و الإستقلال،لقد جاء **بورديو** من فرنسا إلى الجزائر من أجل تأدية الخدمة العسكرية،وكان ذلك في منطقة القبائل،فبعد إكتشافه لهذا المجتمع،سيصبح مهتما بدراسة المجتمع والتنظيم الداخلي للعنصر القبائلي في بداية الأمر،من خلال اللغة والأعراف و تقاليد الزواج وبناء المسكن وكل الرموز الثقافية التي تهيكل المجتمع البربري,.وكان **كتابه سوسيولوجيا المجتمع الجزائري**، من أهم ما بدأ به مسيرته حول الجزائر،إعتبر أن التضامن الداخلي للمجتمع البربري،هوما يشكل قوته و بقاءه،بل و إقتصاده الداخلي،من خلال الإعتماد على نفسه,.حيث أن هذا الأخير، يملك تلك الروابط الإجتماعية المتينة في تلاحمه ضد الآخر,.كان يظن في البداية عندما كان مستقرا في منطقة القبائل، أن المجتمع القبائلي هو الذي يمكن إسقاطه على كل القبائل الجزائرية،لكنه بعد خروجه من المنطقة،بدأ يكتشف التنوع اللغوي والديني في المجتمع،ما جعله يتطرق في **كتابه سوسيولوجيا المجتمع الجزائري** في طبعاته التالية، إلى المجتمع المزابي،الشاوي،العربي،..إلخ.أي وجد تلك الفسيفساء اللغوية والدينية التي تشكل هوية هؤلاء الأهالي في عمومهم،لقد شاهد الواقع المرير الذي تعرض له الجزائريين زمن الإحتلال الفرنسي،أين دون معانات الفلاح الجزائري،و عمله كخماس في أرضه،وذلك في **كتابه "الإجتثاث"**,إن **بورديو** سيكون من الجامعيين الذين سيذيع صيتهم في الدفاع عن الشعب الجزائري،ويصنف سوسيولوجي القرن العشرين من حيث علو كعبه،وأعماله القريبة من العلمية أكثر من التحيز لصالح بلده،لقد إنتقد **بورديو** أعمالا إثنولوجية كثيرة ،والتي دونت ما قبل الإستقلال،أين يرى أن الباحث عليه أن يرى بمنظار أكاديمي،لا إيديولوجي موجه،فبعد معرفته لمنطقة القبائل،قام

بمقارنة ما لاحظه،مع دراسات ما سبقه من باحثين،حيث يرى إلى جانب عدد آخر من الباحثين الجزائريين أنه،[40]"على سبيل المثال فيما يتعلق بمنطقة القبائل،فإنه الأمر ملفت للغاية،حتى إلى تاريخ حديث ولأسباب معقدة،كانت دراسات حول القبائل خارج التفكير العلمي،لأنها كانت من إنجاز عسكريين ومدنيين إداريين"،فهي أعمال خضعت للتسيير السياسي العسكري،كان هدفها تحقيق المشروع الإستيطاني في الجزائر،وهي الأعمال التي ستكلل من خلال هذه المراحل الإستشراقية،بمجموعة من القوانين التي ستعمل على الذهاب نحوى العمل التنفيذي للمشروع الفرنسي,.لقد تم تصنيف **بورديو** كليبيرالي محب للحرية،وهو واضح في نضاله،حتى في فرنسا ووقوفه مع الطبقات البروليتارية التي تقع تحت خط البؤس،وذلك ضد السلطات الفرنسية من خلال النضال معهم في الميدان,.إن [41]"تحليلات **بيار بورديو** للجزائريين تقع تحت شعار مفهومين:الإغتراب نتاج الوضع الإستعماري،الإقتلاع الناجم عن التحديث ومن ثم الحرب،فهو ليس تقدميا أو مناصرا للعالم الثالث،لكن يمكن تصنيفه ضمن الليبيراليين آنذاك"،وهو ما تكلل في كتاباته حول مناصرة القضايا العادلة في العوالم المضطهدة.

و-الإثنولوجيا الإستعمارية في المغرب الأقصى:

لم يكن المجتمع المغربي في عهد الحماية الفرنسية أو قبلها،بعيدا عن الأطاريح الإثنولوجية،والأهداف السياسية الفرنسية،فحتى مع الحالة المغربية المتزامنة مع إحتلال الجزائر، سنشاهد بعض الدراسات الإثنولوجية التي كانت تسير في نفس المنحى الذي تسير عليه تلك الدراسات في الجزائر،حيث تعتبر على سبيل المثال:مسألة السكان الأصليين لشمال إفريقيا ،هي لغز هذه الإهتمامات ،فالبربر دائما سيكونون محل إهتمام من طرفها،كما في الجزائر،ففي المغرب الأقصى هناك دراسات على المناطق الناطقة باللسان

[40]-du bon usage de l'ethnologie,pierre bourdieu,mouloud mammeri,yacine tassadit,dans acte de la recherche en sciences sociales2003/5(n°150),p9à18,edition le seuil.p10.

[41]-De pierre bourdieu à bourdieu,pierre Grémion,dans etudes 2005/1(tome 402)p39à53,edition:s.e.r.p40.

البربري،والتي تعتبر في المنظار الإثنولوجي آنذاك،أنها المكون الأساسي للمنطقة المغاربية،بينما الفسيفساء الأخرى من عرب وغيرهم،ماهم إلا غزاة دخلاء على المنطقة،دخلوا في عصور مختلفة إلى شمال إفريقيا عن طريق الغزوات ،أين يرد على لسان الكثيرمن الإثنولوجيين،وكتاباتهم مفهوم الغزو العربي،في إشارة إلى هذا المنحى,فمن المستشرقين الفرنسيين الذين إهتموا بالدراسات حول البربر في شمال إفريقيا،هو الفرنسي **روبيرت مونتاين**،وذلك في المغرب الأقصى،أين كان يتقلد منصب مدير الدراسات العليا المغربية،وجاء في دراسة من طرفه بهدف الحصول على شهادة الدكتوراه حول علاقة البربر والمخزن،والتي تطرق فيها إلى المناطق الأمازيغية في المغرب الأقصى،ويعتبرها محافظة على عاداتها بالرغم من الروافد الثقافية التي جاءت من بعيد،أين يقول:[42]"سعت القبائل البربرية في مناطقها الجبلية البعيدة عن المخزن للحفاظ على اللغة،التقاليد،والعادات القديمة"وهذا الطرح الذي لاحظه من خلال دراسته،حول البربر والمخزن،هوتلميح واضح المضامين على تلك الأطروحة التجزيئية و التقسيمية،وذلك من أجل رصد مجتمعين مختلفين في اللغة والدين،أين يكون هناك واحد أصيل محلي،والآخر دخيل محتل،فهي دراسة تشريحية تصب في نفس منحى الدراسات التي أعقبتها في شمال إفريقيا،فالتطرق إلى مسألة التقاليد والأعراف البربرية،هي إشارة واضحة على أن البربر الذين يعتنقون اللسان العربي,والدين الإسلامي،هم في حقيقة الأمر لم يحافظوا مثل إخوانهم على هويتهم الأصيلة،والعمل الذي جاءت من أجله فرنسا،هو من أجل أن تذكرهم بماضيهم القديم،والذي يعود لما قبل الغزو العربي الإسلامي.

إن المستشرق الفرنسي **إدموند دوتي**،الذي يعتبر من المؤسسين للدراسات الإثنولوجية في المجال الديني في البلدان المغاربية،أين كانت المغرب من بين الميادين الدراسية التي قام فيها بعمله الإثنوغرافي,.لاحظ ظاهرة زيارة قبور الأولياء وعلق عليها بأنها تعبر عن عبادة القبور،وذلك من خلال التقديس المفرط لقبور الصالحين في المغرب

[42]-les béerbers et le mekhzen dans le sud du maroc(essai sur la transformation politique des bérbers sédentaires (groupe chleuh),these principale présenté de la faculté des lettres de l'université de paris pour le doctorates lettres par Robert montagne,paris,librairie félix alcan,1930.p22-23.

الأقصى،والذي لاحظه من خلال عمله الميداني,.يعتبر من الإثنوغرافيين الذين جاءوا بملاحظات عميقة من الميدان،خاصة في الجانب الديني,.كان يركز في مسألة الدين البربري وعلاقة البربربقبور الأولياء الصالحين،وهذه نقطة الإهتمام بالعنصر البربري،هي من النقاط التي يتقاسمها مع أبناء بلده الباحثين في شمال إفريقيا،والمهتمين بالعنصر المحلي الأصيل بإعتبارهم أصحاب الأرض،وذلك لحاجة في مشاريع فرنسا كانت تريدها,.حاول فهم علاقة الإنسان البربري بالولي الصالح،وكيف يصبح للولي قوة دينية روحية،وكذا سياسية في تنظيم المجتمع،إن النظرة التطورية في هذه الملاحظة كانت واضحة جلية،حيث يعتبر التدين في المجتمع البربري له علاقة تاريخية مع عبادات كانت موجودة ما قبل دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا،والبربر هم ضمن مراحل تطورية عبر الزمن في الجانب الديني,.إن الدراسة التتبعية للتدين عند سكان شمال إفريقيا،توحي على أن هذا المجتمع يريد أن يتطور وذلك من خلال تنقله بين مختلف الديانات السابقة،من اليهودية إلى المسيحية،فإلى الإسلام.،هومجتمع حيوي،حيث يقول:[43]"إذا أردنا التوصل إلى إستنتاجات منطقية،فسيكون من المفيد لفهم هذا،الرجوع إلى ما قبل التاريخ،وذلك لتتبع الدين البربري من خلال تفاصيل الطقوس الحالية،ومعنى العبادة القديمة وتحولاتها"،وهذا لفهم تطوراته الحالية من جهة،ولكن من جهة أخرى، فإن هذا الطرح يحاول فصل طقوس العبادة عند البربر، عن الإسلام بطريقة غير مباشرة،أين يريد إيصال تلك الصورة،على أن البربر من خلال تدينهم،فإنهم مرتبطين ثقافيا دينيا بطقوس وعبادات ما قبل دخول الإسلام،وهذا ما يجعلهم متميزين عن العرب المسلمين في هذا الجانب,.إيديولوجية تطورية ممزوجة بالتفريق بين عناصرومكونات الهوية المغاربية،وذلك من خلال ما تحمله من أعراق تتعايش منذ قرون تحت مظلة الدين الإسلامي،فجلب الحضارة وتمدين هؤلاء البرابرة، هي قمة التحضر والتطور لهؤلاء الأهالي المغضوب عليهم من طرف فرنسا,.فمثلما جاءت فرنسا حسب زعمها أن تنقل الحضارة إلى الجزائر،ففي المغرب

[43]-Edmonde Doutté,notes sur l'islam maghribin,les marabouts,extrait de la revue de l'histoire des religiones tomes XL et XLI,paris,editeur ernest leroux,1900.p115-116.

كذلك.إنه[44]"بشكل عام فإن الإتنوغرافيا الإستعمارية إهتمت بمحاولة فرض الحضارة الفرنسية بدل الإهتمام بالمجتمع المحلي،فبالنسبة للبعض السكان الأصليون هم عنيفون بطبعهم،ويجب فرض السلام عليهم بالقوة،ويرى الآخرون أنهم أطفال عليهم تعلم فوائد الحضارة الفرنسية"،والتي جاءت من أجل إخراج هذا المجتمع من الظلمات التي يوجد داخلها،إلى نور الحضارة المزعومة،من البربرية إلى التحضر و السلام،لكنها لم تعطي أي قدر لخصوصيات هؤلاء السكان،أين إعتبرت بأن ثقافتهم و تدينهم ولغاتهم،إنما هي مجرد مرحلة من مراحل التطور،وأنها ثقافة بدائية وجب تغييرها بالثقافة الفرنسية,.لقد كانت المدرسة الفرنسية في تلك المرحلة الإستعمارية مازالت عقلية البدائي والمتوحش سارية المفعول في ذهنيات الكثير من الإثنولوجيين،وهذا ما تزامن مع إسقاط تلك الخلفية على المجتمعات المغاربية،كون أن الإستعمار كان يرى طفولته و ماضيه البعيد, في ممارسات أولئك السكان الأصليين.

بعد مرور أعمال كثيرة في المغرب الأقصى والتي لا يحصى عددها من طرف الباحثين الإثنولوجيين،والذي سار أغلبيتهم مع الخلفية الإستعمارية جنبا إلى جنب،ستعرف الأنثروبولوجية قفزة نوعية،خاصة مع المدرسة الأمريكية والبريطانية،وفيما بعد الفرنسية,.ستشهد المغرب ما بعد الحماية الفرنسية،تحولا ملاحظا في الممارسة الأنثروبولوجية،حيث يمكنها أن تكون كرد متميز على من سبقوها في نفس الميدان المدروس،وكذا المواضيع المدروسة,.خاصة مع **إرنست غيلنر وكليفورد غيرتز**،ومع هذا الأخير عرفت الأنثروبولوجية التأويلية بروزا مهما لها في الأنثروبولوجية الحديثة،حيث جاءت كرد نقدي على كل النظريات التي كانت تبحث عن مضامينها في المجتمعات الغربية،وأن تأويل الأفعال و معاني الرموز التي تصدر من ثقافة المبحوثين،هي تتماشى على ضوء تصورات هذا الأخير،بل وثقافته التي جبل عليها وورثها عن أسلافه،ولا يوجد

[44]-lahouari addi,deux anthropologues au maghreb,Ernest Gellner et Clifford Geertz,editions des archives contemporains,2013.p15.

ثقافة واحدة يمكن أن يخضع لها الجميع،[45]"لأن المجتمعات مختلفة جدا والوظائف الأساسية تختلف داخلها ،فلا يمكن ضبطها بقوانين عامة" ،بل هناك خصوصيات تمتثل لها كل جماعة عرقية،وبالتالي وجب علينا أن نفهمها إنطلاقا من هذه المميزات،وأن نضع لها قوانين خاصة بها،تختلف عن ما تروج له نظريات الخط الثقافي الأحادي المزعوم,.في الطرف الثاني نجد الأنثروبولوجي البريطاني الجنسية،**أرنست غيلنر**،وكيف تناول دراسة الإسلام من خلال كتابه **مجتمع مسلم**،حيث تطرق بإثنوغرافية بعيدة عن الخلفيات الإستعمارية،وإهمال خصوصيات الآخرين،إننا نكتشف داخل هذه الملاحظات،وصف إثنوغرافي للإسلام،وذلك من خلال التطرق إلى الحركات الإسلامية،على سبيل المثال،وكيف يبرز الشيعي والصوفي أدوارهم الوظيفية داخل إنتماءاتهم،لقد ظهر في أطروحته حول واقع المجتمعات المدروسة،وكتابات الفرنسيين حولهم،فإذا به يقر بتلك الهوة الواسعة بين العمل البحثي و وواقع هذه المجتمعات،إنها أعمال موجهة لخدمة السلطات الفرنسية لا إلى الروح العلمية الأكاديمية،وهو ينتقدها بشدة في هذا الكتاب،ويقول في نقده للمستشرق **روبرت مونتاين** بأنه كان يمينيا ليبيراليا,حيث لم يكن له أي إعتراض على التواجد الإستعماري في إفريقيا,بالرغم من معرفته العميقة والحساسة للمجتمعات الأصلية في إفريقيا[46]وهذا يدل على أنه كان يميل إلى الرؤية الكولونيالية في الهيمنة على شمال إفريقيا،فهو من ضمن المستشرقين الذين كانت أعمالهم بمثابة تلك الثمرات التي إستخدمت في توجيه فرنسا للأهالي, عن طريق سنها لقوانين ومراسيم تم تطبيقها على المستوى الإجتماعي, من أجل إستكمال الشطر الأخير من المشروع الكلي،والذي إحتوى على جانبين مهمين لا يمكن الفصل بينهما،وهما: البحث الإثنولوجي لمعرفة الثقافة المحلية،والجانب السياسي من خلال الإعتماد على تلك الدراسات التي لا زالت تنتظر الإستنطاق, من طرف الأنثروبولوجيين المحليين في المنطقة المغاربية،كونها إحتوت على الكثير من المغالطات التي وجب توضيحها،بالرغم من الفوائد التي تحتوي عليه,من خلال جمعها للمعارف الميدانية المتزامنة مع ذلك السياق.

[45]-une épistémologie à hauteur d'homme:l'anthropologie interprétative de Clifford Geertz et son apport potentiel à la recherche francophone en management,Bernard Leca,Loic plé,dans management et avenir 2013/2(N°60)p35-52,editions:management prospective.p37.

3-القوانين الإستعمارية في مواجهة الهوية المغاربية:

لقد كانت المشاريع الفرنسية من خلال القوانين التي أصدرتها من باريس،وذلك في حق المنطقتين الجزائرية والمغربية،تمشي في نفس النسق الذي مشت فيه الدراسات الإثنولوجية،بل كانت هذه الأخيرة بمثابة الخيط الذهبي،والذي وجه بشكل سهل، الإدارة الفرنسية في كيفية التعرف على قوة هؤلاء المحليين،أين جابهت هذه المعارف المأخوذة من الميدان ،والتي تعبر على هويتهم،من خلال ترسانة من القوانين التي رأت أنها توافق إلى حد كبير، الأهداف المنشودة من طرفها،وهنا ستكون الجزائر والمغرب الأقصى،بمثابة أهم حقلين في المنطقة، تم فيهما العمل الإجرائي للسياسة الفرنسية.

ففي الجزئر أولا:،بعد القضاء على مقاومة **الأمير عبد القادر** والمقاومات التي تلتها،بدأت سياسة الإدارة الفرنسية في التغيير،حيث منذ سنة 1860 ستكون هناك عملية إنطلاق تفعيل القوانين المفروضة على المحليين،والتي ستحارب الهوية الجزائرية بشكل واضح،والذي لا يحتاج إلى تأويل,.إن قانون حمل الجنسية الفرنسية،وتغيير الجنسية الجزائرية للأهالي مع بعض الإمتيازات التي تقدمها السلطات،هي حرب هوياتية كما أسلفنا سابقا،أين تكون الهوية الفرنسية في مواجهة الهوية المغاربية والجزائرية،حيث يذكر الأرشيف الفرنسي عدد الجزائريين الذين تم تجنيسهم بعد مرحلة من صدور قانون التجنيس،حيث أن:[47]"النتيجة:في خمسين سنة **(1865إلى 1915)**،**2396** مسلما في الجزائر متجنسون بالفرنسية,.غالبيتهم من الجنود أو الموظفين المدنيين و كذلك تحول المسلمين إلى الكاثوليكية"،وهي ما تؤشر ببداية إيجابية للمشروع الفرنسي في الجزائر،فعملية تغيير الأهالي من هويتهم الأصلية إلى هويتهم الجديدة،هي بمثابة اللإستقرار و التوطن الذي تبحث عنه فرنسا منذ ما قبل الإحتلال,.إن قانون الملكية الفردية للأرض هو من أبرز القوانين التي ستحقق لفرنسا نهب أراضي العروش،فكل شيء بدأ مع

46- إرنست غيلنر،مجتمع مسلم،ترجمة:أبوبكر أحمد باقادر،مراجعة:الدكتور رضوان السيد،دار المدار الإسلامي،الطبعة الأولى 2005.ص336.

47-le statut des musulmans en algerie coloniale,une nationalité français dénaturée,patrick weil,dans histoire de la justice 2005/1(N°16),p93-109, edition association français pour l'histoire de la justice.p104.

قانون وارني الصادر في **26 جويلية 1873**,وذلك فيما يتعلق بالملكية الفردية والجماعية للأرض ،إنه القانون الملغم بترسانة من البنود الخبيثة،وإخضاع علاقة الجزائري بأرضه إلى التسيير القانوني الذي تسير عليه فرنسا،إن الأرض تمثل إحدى مكونات الهوية المحلية، لم تسلم هي الأخرى من التشريعات الفرنسية الصادرة من باريس،فقوانين نهب ومصادرة أراضي العرش والقبيلة،كانت أهدافها هي تفكيك القبيلة الواحدة،بل وتفكيك الأسرة الواحدة من خلال خلق مسألة الفردانية ومصادرة الأراضي الجزائرية، ومنحها للأقدام السود القادمين من أوربا، وذلك بإدخال قوانين فرنسية تحث على الملكية الفردية للأرض،وأنها ستحل محل الملكية الجماعية التقليدية والتي لا تتماشى مع الحضارة الأوربية،وهذا يندرج ضمن إدخال الحضارة للجزائريين،وأن الفردانية والحرية في الملكية هي من نتائج ما وصلت له الحضارة الأوربية،وأما الملكية القبلية هي من ماضي الشعوب النامية،إن تقسيم الملكية المشتركة بين العرش الواحد، هو من أجل عزل الجماعة الواحدة عن بعضهم البعض،ثم سيكون بعد ذلك مشروع دعم وإعانات تقدم لهؤلاء الملاك الجدد لأراضيهم،بوسائل و تقنيات فلاحية متطورة قادمة من أوربا،أين ستكون هناك حياة فلاحية جديدة يواجهها الفلاح الجزائري،والذي لم يتعود على مثل هذه الحالات،غير أن كل هذه الممارسات التي وظفتها فرنسا في تسيير قانون الأرض وتطبيقه على الأهالي،هو في الأخير ما سيتجلى في عملية سلب الأراضي ونهبها من أصحابها،بحجة عدم مقدرتهم على دفع الرواتب المترتبة عن المعدات التي منحتها لهم فرنسا، وكذا بيع الجزائري لملكيته الفردية إلى المعمرين, لأنه لم يعد يستطيع التجاوب مع الوضع الفرداني الجديد،ما سيجعل الجزائري كما جاء في **كتاب الإجتثاث** للسوسيولوجي الفرنسي **بيار بورديو**،أن يعمل في أرضه كخماس عند المعمرين الفرنسيين,.إنه الإقتلاع الهوياتي الممنهج من طرف المستعمر الفرنسي،هذه الهوية التي سيظل الجزائري متشبثا بها،بالرغم من عمله كخماس عند فرنسا،إلا أنه لا يريد مفارقة أرضه,.إن فرنسا كانت ترى أن الملكية الجماعية للأرض، هي من أسباب المشاكل التي تعيقها في ضبط السكان الأصليين،والعمل على تطبيق هذا القانون الجديد،بعد الإستفادة من الدراسات الإثنوغرافية،سيشهد الجزائريين عهدا جديدا من التحولات الهوياتية، والتي ضربت قوة الجماعة وخدمة الأرض بصورة

جماعية متلاحمة في الصميم،حيث أن الجماعة و القبيلة المتضامنة في شمال إفريقيا، لها تاريخ طويل من حيث الوجود،وذلك كما جاء في **مقدمة إبن خلدون** في حديثه عن تضامن القبائل في شمال إفريقيا،والذي يعود إلى القرن الرابع عشر ميلادي**(إبن خلدون ق 14م)**،أي ما يدل على أن هذه الخصوصيات، هي متجذرة في المنطقة المغاربية،وذلك في علاقة القبيلة مع الأرض.

في **23 مارس 1882**،صدور قانون حمل لقب لكل عائلة،إنه القانون الذي يحمل خلفيات إيديولوجية إتجاه المجتمع المحلي،فهو حسب زعم فرنسا أنه جاء كقانون تكميلي لقانون الأرض،حيث تشابه الأسماء في عملية الإحصاء والتوثيق التي عرفها قانون الأرض الجديد،عرف بعض المشاكل في تدقيق أسماء العوائل،حيث أن الجزائريين كانوا ماقبل فرنسا يلقبون بالإسم الثلاثي، أي :الابن و الأب و الجد،وأن هناك عدة عوائل تتشابه في نفس الأسماء الثلاثية،وهو ما سيجعل فرنسا تعمل على خلق تشريع قانوني جديد فيما يخص مسألة الألقاب الجزائرية،وذلك لتسهيل عملية ضبط العائلات المسجلة،إنها الضربة الموجعة للعائلة الواحدة، والتي أصبحت تملك عدة ألقاب وهي من جد واحد تنحدر،فالبرغم من أنه قانون كانت تلوح به فرنسا بأنه سيسهل عملية التعرف على الأهالي،إلا أنه سيعطي عدة مؤشرات أخرى،والتي قد لا تخدم مصلحة القبيلة والعرش ذو الجد المشترك،حيث سيتخلل هذا بعد قرون، عملية التفرقة وما سمته فرنسا نفسها بسياسة فرق تسد، وهذا ما يتراءى لنا في العواقب التي ترتبت عن قانوني الأرض و التلقيب،وكل هذه الحرب على الهوية الجزائرية, لن تتوقف عند هذا التشريع الإداري،بل ستكون هناك ميادين أخرى لا تقل أهمية عن هذين السابقين،وهذا بحجة إدخال المدنية والتحضر للمجتمع البربري،لكن هو في حقيقة الأمر ،الطمس الهوياتي للعنصر الأصلي.

لم تشبع سياسة فرنسا من الملكية التي حصلت عليها في القرن التاسع عشر ميلادي،وذلك من خلال سلب ومصادرة أراضي الجزائريين بالقوانين الملغمة من جهة،ومن جهة أخرى بالقوة و التسلط,.إن بداية القرن **20م**،ستعرف السياسة الفرنسية فيها تحولات نوعية في مواجهة الهوية المحلية ،أين تتجلى أهدافها في محاولة القضاء

عليها، وإنشاء جيلا محليا يتبنى الثقافة الفرنسية الجديدة,.إن ما يميزأي مجتمع مهما كان، لغته والتي تعتبر لسانه الذي يتواصل به مع غيره في هذا الجانب،وأما في الجانب الآخر، فاللغة هي ثقافة هذا الأخير, والتي بواسطتها يستطيع أن يتميز عن غيره من المجتمعات،أي:ما يشكل خصوصياته اللغوية،ففي الجزائر تعتبر اللغة العربية بمثابة اللسان الأكثر تداولا داخل المجتمع،بالرغم من وجود اللغة الأمازيغية إلى جانبها، واللتين تتعايشين مع بعضهما البعض منذ زمن الفتوحات الإسلامية،وهذا التميز يعود إلى أن كونها هي لغة القرءان والدين الإسلامي،وهي التي كانت توحد الشعب الجزائري تحت مظلة الدين ،ما سيجعل من فرنسا توجه بوصلتها التشريعية الإجرائية،وذلك نحوى محاربة اللسان العربي،والذي رأت فيه العائق الكبير أمام التغيير الممنهج للمحليين،وهنا نجد أن الدراسات الإثنولوجية التي إهتمت باللسان البربري،وكانت تقول عنه بأنه اللسان الأصلي للسكان الأصليين،هي تكملة لهذا العمل،حيث في الطرف المقابل،سيكون بعد إحياء المجد الثقافي البربري في شمال إفريقيا، هناك طمس نهائي للهوية العربية الإسلامية،وذلك من زاوية القضاء على اللغة العربية, .لقد عملت فرنسا على غلق جميع المدارس التي تعلم اللغة العربية،بل كذلك تمت تصفية الكثير من المعلمين الذين كانوا يناضلون من أجل الحفاظ على اللسان العربي،والعمل على هدم كل فضاء كان يتم تعلم اللغة العربية فيه,.لقد جاءت فرنسا بقانون يحارب الهوية اللغوية للشعب الجزائري,.إن قانون **8مارس 1938م** هو إستراتيجية كولونيالية لإزاحة اللغة العربية من الواجهة اللغوية الإجتماعية في الجزائر، وجاء كتكملة للقرار الفرنسي الذي صدر في **24 ديسمبر 1904**،والذي كان من بنوده هو المنع التام لتأسيس أي مدرسة إلا بشروط فرنسية ،حيث أنه لا يتم تداول أي شيء يخص تاريخ الجزائر أو الدين الإسلامي فيها, .إن قانون **8 مارس 1938**، ينص على منع الجزائريين من إستعمال اللسان العربي الفصيح،حيث يرى أن هذا الأخير، هو لسان أجنبي على المجتمع، وأن اللغة الرسمية للجزائريين هي اللغة الفرنسية،لقد كانت الدارجة الجزائرية هي النصيب الأخير الذي تم الإبقاء على تداوله في الوسط اللإجتماعي،حيث هذا التطبيق العملي لهذه السياسة اللغوية، هو من أجل التدرج نحوى الطمس النهائي للغة العربية مستقبلا،و تم فرض التعليم الجغرافي و التاريخي، فيما

يخص تاريخ المجتمع الفرنسي على الجزائريين في المدارس،وهذا في إشارة واضحة على التأكيد الميداني على سياسة إلحاق الجزائر بفرنسا،وذلك في إشارة على أنها قطعة لا تتجزأ من الجمهورية الفرنسية،لقد مضت السياسة التشريعية للمحتل في محاربة هوية الأهالي، في نفس المسار الذي مضت فيه الدراسات الإثنولوجية،حيث عملت على محاربة اللغة العربية و إحياء اللغة الأمازيغية، في وضعية كان من ورائها خلق التفرقة بين العرقيتين العربية والبربرية.،والهدف من وراء هذا، هومحاولة تفكيك المجتمع الجزائري من الداخل,.إن لغة التطور والمدنية المعاصرة هي الفرنسية،هي لغة الحضارة الأوربية والصنائع و الرقي،هي اللغة التي ستفرضها فرنسا على مقاطعتها الجديدة،وقد نجحت فرنسا في تقزيم اللغة العربية،حيث بدأ الكثير من الجزائريين يتوافقون مع الوضع الحداثي الجديد،حيث أصبحت أغلبية المجالات المهمة في بناء المجتمع، تسيطر عليها اللغة الفرنسية،وهذا ما سيدفع بالكثير من الأهالي،نحوى الزج بأبنائهم في المدارس الفرنسية،وتعلم الثقافة الفرنسية الجديدة،وهذا ما سيعلن أولى المؤشرات التي تعمل على الطمس المباشر للهوية الإسلامية،وذلك في محاربة الدين الإسلامي إلى جانب اللغة العربية.

يعتبر الدين الإسلامي في المجتمع الجزائري من أهم الجزئيات التي تشكل ذلك الرباط ،والذي يجمع تلك العرقيات التي تطغى على المجتمع المغاربي، أين تمثل هذه الأخيرة،ذلك النموذج العرقي الغالب على المنطقة،حيث يشكل البربر والعرب الهويتين اللتين تبرزان دائما في كتابات المؤرخين، على شاكلة إبن خلدون و الإدريسي و أبي راس الناصري المعسكري وغيرهم.إن المجتمع الجزائري كان ولا يزال فيه التدين الشعبي الطرقي،يفرض منطقه داخل المنظومة الهوياتية للتدين المحلي،فهو التدين التقليدي الذي عرفه الجزائريين،وذلك يعود إلى زمن الولي **الصالح سيدي بومدين** دفين تلمسان أو ما قبله,.إن هذا التدين الذي جعل الشيوخ الصوفيين من أمثال**: الشيخ محي الدين الجزائري و إبنه الأمير عبد القادر**، و كذا **الشيخ بوعمامة و لالا فاطمة نسومر، و أولاد سيدي الشيخ والشهيد سي لزرق بلحاج(قائد ثورة فليتة غليزان1864)**، وكثير منهم يثورون ضد فرنسا،وذلك من خلال تعبئة مريدي الزوايا في المقاومات التي تصدت لفرنسا في

النصف الأول من فترة الإحتلال،لن يهدأ بال للكولونيالية الفرنسية حتى تتغلغل داخل هذا الرباط، و تعمل على المساس بأسرار تلك الوحدة التي كانت تجمعهم من خلال هذا الأخير,. إن الدين هو العصب المتين الذي يتحكم في تسيير شعور هؤلاء المسلمين، وهو الذي يجمعهم على كلمة واحدة ،والذي رأت فيه فرنسا أنه قد يضر بمصالحها في المنطقة،أين يعيق هذا الأخير، تقدمها نحوى الإستيطان الثقافي الهوياتي،بعد الإستيطان المادي العسكري,.إن الوقوف الميداني بالفكر و قوة البارود على محاربة الزوايا والتعليم القرءاني،و الذي كان متوارثا ماقبل الإستعمار،حيث كان عدد المتعلمين في الجزائر كبيرا جدا مقارنة بالأميين،هو العمل الذي رأت فيه فرنسا بأنه سيؤدي في الأخير،نحوى إزالة ذلك الخطر الذي ظل يعيقها في تطبيق مشاريعها،وذلك في تلقينهم الحضارة الفرنسية التي لا يريدون تقبلها، وهو ما تراه فرنسا على أن السبب من وراء ذلك، هو إحتفاظهم بهويتهم اللغوية و الدينية ،وكذا طرق التدريس التقليدية التي تنافي بشكل كلي، الطريقة الفرنسية الحديثة،لا من حيث الجانب الشكلي ،ولا من حيث المضمون,.إن التضييق على الحريات العقائدية من طرف المستعمر الفرنسي، هو بهدف القضاء على الممارسات الدينية التقليدية،أين تم إبعاد الدين من التشريعات السياسية ،حيث أصبح الجزائريين تحت قوة السلاح والفكر، مجبرين على الخضوع للسياسة الفرنسية لا للتشريع الديني الإسلامي، وذلك من خلال تقزيم دور رجال الدين في تسيير شؤون قبائلهم،أين أصبحت الإدارة الفرنسية هي التي تعمل على فك النزاعات بين الجزائريين،وتجلى ذلك في تموقع القاضي الفرنسي محل شيخ القبيلة والدوار،وذلك بإشرافه على التسيير القضائي للعنصر المحلي,.لقد عملت فرنسا على المجابهة الدقيقة لمكونات الهوية العربية الإسلامية،أين وصل الأمر إلى ظهور حركة دينية سلفية،في الثلث الأول من القرن العشرين،وذلك بزعامة الشيخ عبد الحميد إبن باديس الصنهاجي،منددة بالحرب المعلنة ضد الإسلام والعربية،حيث جاءت كردة فعل على الواقع الإجتماعي والديني الذي فرضته المشاريع الفرنسية في الجزائر., ليس في الجزائر فقط،بل المنطقة المغاربية كانت تحت البوصلة التغييرية الممنهجة من طرف الإمبريالية الفرنسية،وذلك ما عملت عليه فرنسا في بلاد المغرب الأقصى كذلك ،بالرغم من أنه كان تحت الحماية لا تحت الإستعمار.

المغرب الأقصى ثانيا: هو الآخر لم يسلم من المشاريع الفرنسية المبرمجة لتغيير الهوية المحلية،فبعد التوغل الفرنسي في الجزائروذلك من خلال المساعدات التي قدمها الإثنولوجيين كما أسلفنا سابقا،ففي المغرب الأقصى كذلك لن يكون الوضع مختلفا عن الجزائر،فكما كانت الدراسات الإثنولوجية تهتم بالسكان الأصليين و محاولة إحياء التراث البربري و الروماني المسيحي في المنطقة المغاربية،فسيكون هناك تشريع سياسي من أجل الأهداف الإستعمارية،فمشروع الهوية الإستعمارية الجديدة والتي تريد أن تحل محل الهوية الإسلامية الأصيلة ،هو ما تم العمل على تحقيقه داخل المغرب الأقصى،فبعد توقيع معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب **سنة1912**،ستدخل هذه الأخيرة تحت العملية السياسية التي خطط لها المحتل،وهي تفكيك وحدة الشعب المغربي من عرب وبربر،وذلك من خلال المراسيم والظهائر التي فرضتها فرنسا على المجتمع,. كان الدين الإسلامي هو أبرز ما تم ملاحظته على أنه يشكل القوة التي تحمي المجتمع من الداخل,ولقد تفطن الإستعمار من خلال الدراسات الإستعمارية بأن سبب الإحتقار والمقاومة هو التعصب للدين الإسلامي ولتعاليمه السمحة والديمقراطية[48]وهو الأمر الذي سيعمل عليه من خلال تفكيك وضرب البنية الإسلامية التي توحدهم بل وتفريقهم من خلال التفرقة العرقية واللغوية،وهي نفس الملاحظة التي لاحظها الفرنسيين في الجزائر،من خلال علاقة الفرد مع الدين،فهو القوة التي يتعصب لها الإنسان المغاربي في نظر فرنسا،أين كان عليها أن تعمل على بدء المواجهة الصارمة لهذه القوة الروحية الغريبة,.لقد مضت تشريعات فرنسا في المغرب الأقصى على نفس الخطى في الجزائر،أين كانت محاولة الفصل بين العرب والبربر حاضرة في القوانين،وذلك من أجل خلق مجتمعين مختلفين، وعلى فرنسا أن تدافع عن حقوق من له الشرعية الكاملة في السيطرة على الفضاء الجغرافي و الثقافي،وذلك بالعودة إلى التاريخ القديم،تاريخ ما قبل الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا,.إن الهوية المشتركة بين العرقيتين هي ما تصعب تقدم فرنسا إلى الأمام في أهدافها,.لقد خلقت فرنسا هلعا كبيرا

48--عبد الحميد المرنيسي،الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية علال الفاسي إلى أيام الإستقلال،مطبعة الرسالة،الرباط(المغرب)،1978.ص43.

في المجتمع المغربي بإصدراها لما يسمى الظهير البربري عن طريق الجنرال ليوتي,.**إن الظهير البربري الصادرفي 16 ماي 1930م**،قد نص على أن البربر لم يعودوا تابعين لحكم العرب و الإسلام والمخزن، وأن فرنسا هي التي ستسهر على تسيير الشؤون العامة لهم، وأن الأحكام التي كانت تصدر من الدين الإسلامي إتجاه العنصر البربري, لم تعد لها فائدة في ذلك،حيث أن البربر لهم أعرافهم وتقاليدهم التي يتمسكون بها, ووجب إحيائها من جديد،وهو العمل على الفصل بين العرقيتين،أين سيتم إبعاد فئة كبيرة من المغاربة من سلطة الأحكام الإسلامية,حتى تلك المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق والميراث[49]،وهذا الظهير البربري من شأنه القضاء على الهوية المحلية،خاصة فيما يتعلق بالهوية الإسلامية عند أولئك البرابرة المسلمين من وجهة نظر الكولونياليين،والتي دائما ما كانت بمثابة الجدار المتين،و الذي يجمع تلك العرقيات التي تعيش في المنطقة المغاربية،خاصة من عرب وبربر،وكما في الجزائر ففي المغرب كذلك ،فإن هذه الوقائع التي باتت تهدد كيان المجتمع المغربي، ستؤدي لاحقا إلى صراع الهويات،والذي تمثل في المواجهة المباشرة بين الهوية الإستعمارية والهوية الدينية الإصلاحية،وهو ما سار به هؤلاء العلماء على نفس خطى الإصلاحيين في الجزائر،فهي كرد واضح وصريح على ما يقوم به التشريع الفرنسي, من المساس بأهم مكونات المجتمع المغربي وهو الدين الإسلامي،والذي يجمع المغاربة منذ زمن الفتوحات الإسلامية، ومنذ زمن دولة الأدارسة العلويين،وذلك مع إدريس إبن عبد الله الكامل دفين المغرب الأقصى،إذ يعتبر المؤسس الأول للدولة الإدريسية في المغرب الأقصى قبل **12 قرن**،فكل هذا الإرث الذي يتشبث به البربر والعرب منذ تلك الفترة،أرادت فرنسا بسياستها أن تطمسه بمشاريعها الخبيثة،لكن الحركة الوطنية والتي عرفت عدة فئات إجتماعية إنضموا جميعا تحت جناحها،ستقوم بالنضال ضد الأهداف الملغمة للكيان الإستعماري،ومن ضمنهم فئة شيوخ السلفية الإصلاحية,.لم تبقى فرنسا في العمل على الفصل بين البربر و العرب،وذلك من خلال فصل جبال الأطلس والذي يقطنه العنصر البربري عن الشمال والذي يوجد به القصر الملكي،وذلك من خلال إبعاد البربر عن خضوعهم للقضاء الإسلامي و الدين بشكل عام،وإعادتهم إلى

49-أبوبكر القادري،مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1830 إلى 1940 ذكريات ومواقف وأحداث،الجزء الأول،الطبعة الأولى 1992،مطبعة النجاح،الدار البيضاء.ص48.

إرثهم الذي يعود إلى ما قبل الإسلام, في ترويج على أن هذا العمل هو لصالح البربر و أصولهم القديمة،بل في نفس الوقت, مضت نحوى أهداف أخرى تتماشى مع نفس الأطروحة التي تطبقها في نفس الوقت بالجزائر،فسيكون إحياء اللسان البربري والثقافة الأمازيغية بشكل رسمي و أكاديمي،أين يتم فتح مؤسسات رسمية تشرف عليها فرنسا,فتأسيس المدرسة المختصة في تعليم اللسان البربري **سنة 1923م**,منع فيها تعليم اللغة العربية,الهدف هو إبعاد البربر عن الإسلام والجنسية العربية وقطع علاقتهم مع كل ماهو عربي و إسلامي[50],كهدف جوهري ومهم في تفكيك وحدة الشعب المغربي ثقافيا وإجتماعيا،وهذا ما يتمثل في جعل اللغة العربية والإسلام بمثابة المشكلة الثقافية التي لا تتوافق مع الكيان الإستعماري ومشروعه التغييري من منظورهم الكولونيالي،ودائما ما كانت فرنسا عن طريق مستشرقيها وكذا صناع القرار, تروج بأن شمال إفريقيا هي ملكية رومانية مسيحية،وأن هؤلاء العرب ماهم إلا غزاة جاءوا ليستحوذوا على خيرات المنطقة,.إن القرن **20م** والذي عرفت فيه الجزائر و المغرب تشريعات كان هدفها الطمس الكامل للهوية الإسلامية بالدرجة الأولى،لن يمر مرور الكرام،حيث سيشهد هذا القرن ظهور المصلحين الدينيين الذين أخذوا الدروس الإصلاحية من التجربة السلفية في بلاد المشرق العربي،أين تعلموا كل الأفكار و الإيديولوجيات التي ظهرت على يدي المؤسسين السابقين للتيار السلفي الإصلاحي,.سيشهد هذا القرن ظهور هؤلاء المتدينين على مسرح الصراع الثقافي والإجتماعي ،وذلك في مواجهة فكرية مباشرة ضد الثقافة الفرنسية،و التي لاحظوا أنها تريد أن تسلبهم هويتهم العقائدية الدينية،وكذا لغتهم العربية, بعدما أخذت منهم حرية التصرف في القول و الفعل و السكن والعمل,.إن الهوية الفرنسية التي أرادت أن تفرضها بقوة الفكر والسلاح, ليست لها الشرعية في ذلك،حيث أن الأعمال التي قام بها الباحثين الإثنولوجيين المنغمسين في السياسة الكولونيالية، كان كلاهما يدوسان على خصوصيات المجتمع المحلي،والذي كان يتمسك دائما بتلك الهوية التي تصارع من أجل البقاء،ومن بينها الهوية الإسلامية في المنطقة المغاربية عن طريق السلفيين، والذين هم موضوع دراستنا هذه،حيث نتتبع هذه الحركات الدينية في التاريخ، وذلك لأنها في كل

50-محمود الشرقاوي،المغرب الأقصى مراكش،مكتبة الأنجلوالمصرية-القاهرة،دار القاهرة للطباعة.ص41.

مرت, كانت تظهر حركة سلفية من جديد متأثرة بسابقيها،ويكون هدفها الدائم هو إحياء الهوية الإسلامية الصحيحة حسب زعمها من جانب،ومن جانب آخر هو محاربة الغزو الثقافي والتيارات الدينية,التي تنعتها بالضالة عن الطريق الصحيح.

4-السلفية الإصلاحية في مجابهة المشاريع الكولونيالية:

سنتطرق في هذا العنوان وذلك بالسير على نفس خطى العناوين السابقة في هذا الفصل ،وذلك من خلال هذا الجزء الأخير،أين سنقوم بالعودة من جديد إلى السلفيين الإصلاحيين في التاريخ،ولكن هذه المرة ستكون المنطقة المغاربية هي المستهدفة من خلال ولوج هذا الأخير إليها, في زمن التواجد الإستعماري، وذلك في الربع الأول من القرن الماضي،أين ستكون الجزائر والمغرب حقلا خصبا لهذا التيار الديني،و الذي وجد لنفسه فضاءا جغرافيا وثقافيا جديدا في شمال إفريقيا، بعدما أثبت وجوده في المنطقة الخليجية, وفي بلاد الحجاز قبل القرن **20**م.

أ-السلفية الإصلاحية في الجزائر:

لقد عرفت الجزائر الظاهرة السلفية مثل باقي المجتمعات العربية،حيث تأثرت بهذا التيار الإسلامي في مرحلة زمنية غير بعيدة،وتزامن المد السلفي في الجزائر مع التواجد الفرنسي في المنطقة،هو ليس وليد صدفة أو شيئا آخر،إنما الإستعمار الفرنسي يعتبر من أبرز الأسباب التي أدت إلى تسرب هذا الأخير إلى الجزائر,.يعتبر بزوغ التيار السلفي في الجزائر كردة فعل على الوضع الذي آلت إليه الحياة الدينية و الإجتماعية في الجزائر،فعندما أحكمت فرنسا قبضتها على أهم المكونات التي تشكل الكيان الديني الإسلامي في الجزائر،فهذا كان بمثابة الخيط الأحمر الذي أعلن بواسطته السلفيين في الجزائر, بداية الدفاع عن مقومات هذا الوطن,.لقد ظهرت السلفية في الجزائر مع **الشيخ عبد الحميد إبن باديس الصنهاجي(1889م-1940م)**وذلك بتأسيس **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(5 ماي 1931م)،وذلك إلى جانب الشيخ البشير الإبراهيمي(1889م-1965م)**والذي تزعم رئاسة الجمعية بعد وفاة مؤسسها الأول,.هي جمعية جاءت من أجل الإصلاح الإجتماعي العقائدي للمجتمع الجزائري،و الذي رأت فيه

أنه يعيش في ظلمات التجهيل المفروض والمبرمج من جهة،ومن جهة أخرى هذا المجتمع قد تم الزج به في ثقافة ليست له ولا لأسلافه من قبله,.هي جمعية هدفها هو إصلاح البنية الثقافية والدينية التي تم المساس بقواعدها الأساسية،خاصة عندما إتهمت بعض الطرق الصوفية والزوايا, بأنها سقطت في حبل السياسة الفرنسية،أين أصبح بعض شيوخ الزوايا يعملون تحت قوانين و أوامر فرنسا،وذلك بهدف البقاء في مناصبهم على رأس تسيير الشؤون الداخلية للزوايا،.أين كان في نظر المصلحين السلفيين أن بعض الصوفيين كانوا سببا مباشرا, في ضياع المجتمع الجزائري و إبتعاده عن دينه الصحيح،وذلك من خلال الممارسات الطقوسية من زيارة الأضرحة وبناء القبب ودعاء الموتى، وهو ما شجعته فرنسا،حيث أن بعض الصوفيين في نظر المصلحين, كانوا قدريين و أنهم قالوا أن فرنسا قدرها الله علينا، و أن القدر الإلهي هو الذي سيفصل في الأمر, في تلميح منهم على تعطيلهم للجهاد،ماجعل المجتمع في نظرهم يسير نحوى الضلال و الجهل و الإنحراف عن عقيدة أهل السنة والجماعة،وهو ما سيؤدي في نظر علماء الجمعية, أن مشروعهم هو ذو حدين لا ثالث لهما،حيث يكون هناك عمل ذهني ثقافي من خلال ترسيخ اللغة العربية و التدين الإسلامي الصحيح،وذلك من خلال محاربة التصوف، و الحد الثاني هو إعلان المواجهة الموازية لمشروع فرنسا, في محاولتها للقضاء على الوجود العربي و الإسلامي في المنطقة,.هي سلفية وهابية متأثرة بالإصلاح العقدي الذي يتماشى مع نهج الوهابيين في الحجاز،وذلك من خلال تصحيح عقيدة الفرد في الإيمان بالله وتوحيده،وهي سلفية إصلاحية متأثرة بمنهجية زعماء النهضة العربية التي جاءت مع الشيخ جمال الدين الأفغاني و محمد عبده،وذلك من أجل مجابهة الغزو الثقافي الغربي،أين ستكون هناك عملية القيام بفتح مدارس لتعليم الشباب السلفي, المنهج السني و اللغة العربية، وسائر الميادين الفقهية التي تشكل ميدان التيار السلفي السني.

إن **مشروعية الدفاع عن خصوصية الأفراد هو حق عير قابل للنقاش**،فإذا ما أراد الباحث أن يعمل على مقاربة أي ثقافة،فعليه أن يمتثل لما يتضمنه العمل الإبستمولوجي، وأن يحذر من السقوط في فخ الأحكام المسبقة ،ومن واجبه أن يستفهم الأفعال والرموز التي تصدر من الميدان المدروس،وذلك بالرجوع إلى صاحب الفعل لا إلى النظريات

المجردة،فهي تعتبر السمة التصوراتية الموجودة في مخيال هؤلاء الملاحظين،وذلك إنطلاقا من ثقافتهم الموروثة عن أسلافهم,.ففي الحالة السلفية ستكون الرؤية الأنثروبولوجية حاضرة،حيث أن هؤلاء السلفيين كان عليهم الظهور في هذه الفترة تحديدا، وذلك لإحساسهم بأن الخصوصية الأنثروبولوجية المتمثلة في الدين واللغة ،هي في طريق الإختفاء التدريجي من طرف الثقافة الجديدة,و التي تريد أن تحل مكانها,.هو تعبير يرمز من خلاله هؤلاء السلفيين على مشروعية الدفاع عن ما يتمسكون به منذ زمن أسلافهم,.فهو مشروع نجد فيه تلك القداسة التي أعطيت له من طرف واضعيه،ويتجلى ذلك في كتاباتاهم التي لم تتوقف عن صياغة تلك البلاغة اللغوية،وذلك في تمجيد هذا المشروع و العمل على تحقيقه,.لقد كانت الجمعية ترى في اللغة الفرنسية بأنها لغة المحتل, ولامكان لها في الجزائر،وأن اللغة العربية التي تحاربها فرنسا،هي اللغة التي تمثل هوية الأمة الجزائرية،وأن الدين الإسلامي هو العصب المتين الذي تتوحد تحت ضلاله جموع العرب والبربر،والتي تريد فرنسا أن تفصل بينهما من خلال إحياء مسألة اللغة و الثقافة البربرية.

في الميدان المدروس، يرى السلفيين أن الشيخ عبد الحميد إبن باديس، جاء من أجل رد المسار الحقيقي للمجتمع الجزائري،عن طريق حمل شعار" الإسلام الصحيح لا الإسلام الضال" ،حيث يقول الشاب **(المبحوث رقم 01)**"هو عالم من علماء السنة،وتم تزكيته من طرف العلماء في عصره"،حيث أصبح الشيخ إبن باديس في الجزائر بمثابة رائد الإصلاح الديني،ويعتبر كرمز مقدس أثنى عليه شيوخ السلفية في الجزائر، ومنهم الشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس، والذي قال عنه بأنه من علماء أهل السنة والجماعة،حيث كان منهجه على منهج أهل السنة يسير,.لقد لاحظنا في الميدان المدروس الثناء عليه،أين تم الإقرار من طرفهم على أن المجتمع الجزائري هو بحاجة إلى إصلاح من ذلك النوع،وهذا لما يجدونه من تغيرات مست العقيدة السنية عند التيارات المخالفة لهم،وكذا الشباب الذين لا يمارسون الشعائر الدينية،حيث أنهم في خطر كبير من خلال الإبتعاد عن الدين،وذلك من جراء ما تفرزه المدينة المعاصرة من ثقافات جديدة،هي في نظرهم ضد الإسلام,.على خطى الوهابيين في الحجاز،قامت جمعية العلماء المسلمين

بالعمل على تربية المجتمع الجزائري من القاعدة، في إشارة منهم على أن تغيير الذهنيات، هو الذي سوف يعمل على تغيير الواقع الإستعماري،فعقب إستقرار الشيخ إبن باديس في مدينة قسنطينة,عكف على إلقاء الدروس في الجامع الكبير,بهدف إعادة الأمة إلى هدي الكتاب والسنة[51]وهو المشروع الذي يهدف إلى تغيير العقيدة والممارسة الدينية عند السكان الأصليين من الإنحراف إلى السير على سكة السلف الصالح عند زعماء الإصلاح الديني في الجزائر،أين سيكون المضي على خطى الحنابلة و الوهابيين في التصحيح العقدي والتربوي،هي من بين الأهداف الأساسية في اللإصلاح الباديسي،فالتربية و التصفية التي تتوارثها التيارات السلفية، هي من تعمل على بناء مجتمع متكامل و متضامن في المسقبل البعيد،وذلك من منظور السلفيين أنفسهم،فلقد لاحظنا سابقا أن الحركات السلفية على تنوعها, كانت إنطلاقاتها الأولى،هي التصحيح العقائدي للمجتمع،وهو ما يفسر على أنهم كانوا ينطلقون من الجانب الروحي،ثم بعد ذلك يذهبون إلى جوانب مادية أخرى، مثل: علاقة المسلم مع غيره من الناس،وذلك بعد ضبطهم العلاقة الأولى للمسلم, وهي العقيدة التوحيدية لله،وهذا ما جاء في عمل جمعية العلماء المسلمين, والذي تخرج على يديها الكثير من الشهداء الذين تزعموا فيما بعد، مناصب قيادية في النواحي العسكرية،والتي كانت تجاهد ضد فرنسا,.لقد ثارت الجمعية ضد تدخل فرنسا في الشؤون الدينية،خاصة عندما إستعملت بعض الزوايا بمثابة غطاءا تتستر من ورائه،وتبدي للجزائريين بأنها تحترم دينهم التقليدي،فسياسة فرنسا في الرقابة على المسجد وتعيين الأئمة على المساجد ،حيث يكون هذا العمل من طرفها وتحت سلطتها ،هو العمل على وضع إسلام لا يزعجها ويتماشى على حسب أهوائها،إسلام بارد يتعايش مع الهيمنة الكولونيالية،ويقبل الشروط دون تفاوض و لا نقاش،والتهمة توجه إلى بعض المتصوفة بالدرجة الأولى،حيث أن[52]"عبادة القديسين كان متجذرا في الجزائر،بالنسبة للجمعية كان ذلك مخالفا للعقيدة

51-الإمام عبد الحميد إبن باديس،لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده،الدكتور:مسعود فلوسي،دارقرطبة ،الطبعة الأولى 2006.ص17.

52-L'islam authentique appartient à dieu "L'islam algérienà césar "La mobilisation de L'association des oulémas d'algérie pour laséparation du culte musulmane et de l'etat (1931-1956),Raberh Achi,dans genèses2007/4(N°69),pages49à69 ,editions belin.p53.

Article disponible en ligne à l'adresse:

الإسلامية, وعرقل إدعائها الحصري بتمثيل الإسلام"،ولقد كانت فرنسا ترى أن الممثل الشرعي للدين الإسلامي في الجزائر،هي بعض الزوايا التي قبلت الخضوع للعمل معها،بينما الجمعية إعتبرتها فرنسا بأنها متمردة على السلطة الدينية الشرعية للجزائريين،وهذا ماجعل الجمعية تؤكد في مدارسها على محاربة الزوايا التي إنضوت تحت العمل مع الإحتلال،وإعتبرتها بمثابة الخصم المماثل للجزائريين مع فرنسا،فمحاربة الشرك و الضلال هو مشروع لا يقل أهمية،وذلك عن مشروع مجابهة الإستعمار العسكري والثقافي من منظور المشروع الباديسي,.لقد تمظهر في مشروعهم أنهم يملكون التفويض الشرعي في تمثيل التدين الذي وجب على الجزائريين أن يعتنقوه كممارسة يومية،لا كإيمان به فقط،وهنا تظهر تلك المركزية والنرجسية عند الإصلاحيين،وذلك في محاولة إزاحة التدين الشعبي الطرقي من الوجود في المجتمع،ولم تحترم خصوصيات الآخرين في هذا الجانب،علما أن المقاومات الشعبية التي إندلعت في الجزائر متزامنة مع الدخول الفرنسي إليها،كانت الحركات الصوفية هي السباقة في المواجهة العسكرية،وذلك إنطلاقا من مقاومة الأمير عبد القادرالحسني نسبا، الصوفي القادري مذهبا، وذلك سنة **1830**،فإذا كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنتقد التصوف ،فهي كانت تعني بعض الزوايا التي كانت في الطريق الغير صحيح،وذلك بالعمل تحت فرنسا،لأن التاريخ لا يمكن أن يتم نسيانه بشكل سريع،خاصة إذا كان قريب العهد،فالصوفيين منذ بداية الربع الثاني للقرن التاسع عشرميلادي, والمتزامن مع الدخول الفرنسي للجزائر، لم يتوقفوا طيلة هذا القرن في إشعال المقاومات في كامل ربوع الوطن .

إن الإستشراق الغربي للمجتمعات الإسلامية كان له دور كبير في تشويه الكثير من الحقائق التي تتضمنها هذه الأخيرة،ولقد برز الكثير من المفكرين الناقدين لهذه الدراسات،خاصة فيما يخص تلك الدراسات التي إعتنت بمحاولة وضع مقاربة للدين الإسلامي،فالمعطيات الإثنوغرافية من خلال ما جلبه الرحالة الغربيين لبلدانهم،لها دور مهم في تسريع عملية الحكم على أولئك الذين يعيشون في جنوب العالم،خاصة من خلال

---

https://w.w.w.cairn.info/revue-geneses-2007-4-page-49.htm.

تلك الورقة الموجهة والتي تسمى ورقة طريق،و التي كان على الإثنوغرافي أن ينضبط وفقا لما جاء فيها، وذلك بملاحظة ما هو مطلوب منه أن يجلبه من الميدان المدروس،حيث هناك باحث إثنولوجي يقبع في مكتبه،ينتظر تلك المعارف التي يجلبها من أجل أن يحكم على أفعال الآخرين بالفلسفة والتخمين،لا بالموضوعية والعلمية،ونجد من المفكرين الذين إنتقدوا النظرة الغربية للإسلام دون صحة الحقائق،المفكر محمد أركون يرى بأن الغرب له معرفة خاطئة ومتخيلة عن الإسلام,وليس له معارف علمية دقيقة عنه,ولازالت تلك السمة متواصلة إلى زمننا هذا,تغذيها الأطر و الأفكار السلبية والإرتيابية[53], من خلال إستعمال الخلفية المركزية والنظرة الإستعلائية والتقويمية والفوقية,و التي تحط من شأن و محاسن الأمم الأخرى، والتي تريد أن ترى في ثقافة الآخرين ما تفكر فيه هي نفسها،لا كما يعبر عنه أصحاب هذه الأخيرة,.لم تكن الجزائر كما أسلفنا سابقا بعيدة عن هذه الأطاريح الغربية المتخيلة عن الدين الإسلامي،فبالرغم من السياسات التي جاءت من خلال تلك الترسانة من القوانين،و التي عملت على تحطيم النسيج القبلي من خلال إنتزاع الأرض من أصحابها،وضرب النسب العائلي الذي يعبر عن قوة تماسك العرش في الصميم، إلا أن هذا لم يجعل فرنسا تقتنع بهذه القوانين والممارسات، بل ولم تشبع غرائزها هذه الأخيرة مما تريد،حيث ذهبت أبعد من ذلك، أين أصبح الدين الإسلامي والذي يعتبر أهم مرجعية يتحد على أسسها الجزائريين ،بمثابة الهدف الجوهري في التغيير الجذري للمجتمع الجزائري،ولهذا عملت على محاربة الفضاء الديني والمرجعية الإسلامية للأهالي،أين كان هذا بمثابة الخطر الهوياتي الذي زحزح العلماء الدينيين من أماكنهم،أين وجدوا مجتمعا يسبح في مياه الإندماج ،وهو ما عبروا عليه بمسألة طمس الهوية الإسلامية للجزائريين,.لم تقتصر مشاريع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على الخطاب أو إمامة المسلمين داخل الفضاء المسجدي،بل إتسعت رقعة النشاطات داخل المدن الجزائرية،فأصبح الصراع على تملك الفضاء المديني بين السلفية من جهة، و النشاطات الإستعمارية و الصوفيين من جهة أخرى،وذلك بغية الهيمنة

53-عبد الغني عماد،في جينيالوجيا الآخر المسلم وتمثلاته في الإستشراق والأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا،مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة الأولى 2020،بيروت.ص61.

المادية والرمزية الفكرية عليه،فإذا كان المعمر الفرنسي جاء ليستقر داخل المدينة الجزائرية, جالبا معه إرثه الثقافي وخصوصياته،وذلك لتوطينها في المجتمع المحلي،فسيكون الطرح الإصلاحي مواكبا لتطورات الأوضاع المعاصرة،ومواجهة هذه التحديات بطرق ووسائل عصرية،وعدم الإكتفاء بالفضاء المسجدي كمكان معزول عن غالبية أفراد المجتمع،فبالرغم من القوانين التي ساهمت في مصادرة الكثيرمن الأراضي لصالح المعمرين, و سيطرتهم على المدينة من جانب،[54]"لكن إنتشار أماكن نشاط الحركة الإسلامية في الثلاثينيات ،يثبت إمكانية التحايل على هذه الهيمنة الفضائية" من جانب آخر،أين يكون هذين الطرفين في صراع مباشر داخل الفضاء الحضري في تلك الحقبة الزمنية،وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن مسألة تملك الفضاء عن طريق النشاطات الدينية من طرف الجمعية ومصلحيها،أو سياسة تملك الفضاء من طرف الفرنسيين بثقافتهم الخاصة،على تلك الصورة الأنثروبولوجية التي تتمظهر في صورة تلك الهويات المتصارعة مع بعضهاالبعض،والهدف من وراء ذلك هو أن كل واحدة منهما،تريد أن تفرض منطقها المادي والرمزي داخل المدينة والمجتمع ككل،ولم تبقى الجمعية في المدينة تنشط من خلال علمائها،بل توغلت في القرى و الأرياف المعزولة،وذلك لمواجهة ثانية مرتقبة ضد الصوفيين،و الذين كان الفضاء الريفي هو المكان الذي يستقرون فيه بشكل كبير,.لم يكتفي زعماء الإصلاح السلفي الديني في الجزائر بحصر نشاطاتهم على المستوى المحلي،بل إمتدت هذه الأفكار خارج الجزائر،حيث تلقى المهاجرين الجزائريين العاملين بمختلف المصانع الفرنسية دعوة الإصلاح الباديسي،وهذا ما سيكون له عواقب غير مطمئنة على الإستعمار الفرنسي ،خاصة إذا إنتشر الوعي بين المهاجرين وإمتد ذلك إلى المواطن الفرنسي،أين سيكون الإحتكاك المباشربين الطرفين،هو معرفة الإسلام كممارسة،وذلك من طرف الجزائريين

[54]-Les Lieux de sociabilité islahistes et leur usages:La ville d'alger(1931-1940),Afaf zekkour,dans le mouvement social 2011/3(N°236),pages 23à34,editions la découvert.p23-24.

Article disponible en ligne a l'asdresse:

https://w.w.w.cairn.info/revue-le-mouvement-social-2011-3-page-23.htm.

المهاجرين في فرنسا،لا كما روجت له الإمبريالية الفرنسية, من أخبار مزيفة عن الإسلام ،وذلك لمواطنيها آنذاك.

ذاع صيت جمعية العلماء المسلمين في الجزائر وخارجها, حتى أصبح الكثير من المفكرين يمدحون النهج الإصلاحي لها,.من أبرز الذين أثنوا عليها هو **المفكر الجزائري مالك بن نبي(1905م-1973م)**،المتشبع بالقيم الإسلامية والمدافع عن حضارة إسلامية،تأثر بالفكر الباديسي أين أثنى عليه في كتابه شروط النهضة ،وإعتبر عمل أولئك المصلحين الذين جاءوا من أجل إعادة المجتمع الجزائري إلى عقيدته الدينية الأصح، بمثابة الطريقة المتميزة في التغيير والبناء،بل كذلك هي طريقة تغيير المجتمع من الركود والخمول الذي طغى عليه منذ فترة طويلة،فلقدإعتبر مالك بن نبي سلفيا في بعض المرات, كونه كان يشرف على دروس علمية ممزوجة بالدين الإسلامي داخل الحرم الجامعي،وهذا من جانب،غير أنه في الجانب الآخر سينتقد جمعية العلماء المسلمين, حيث لن يتقبل مشاركة الجمعية في العمل السياسي وهذا إعتبره خطأ جسيم، أين أصبحت تتفاوض مع فرنسا من أجل مصالح الجزائر،وذلك لأنه يرى أن هذا العمل هو تضييع للوقت، لأن التغيير الحقيقي يوجد في قلب الأمة الجزائرية, ولا ننتظر من فرنسا أن تمنحنا ما نريد،فهي جاءت لتخدم مصالحها لا مصالح الجزائريين,.إن أكبر عمل قدمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الإصلاح التربوي والديني، هي أنها أثرت بعد الإستقلال على المجتمع الجزائري،أين أصبح التفكير في تبني التيارات السلفية في أوساط الشعب الجزائري واضحا،حيث بدأت منذ سبعينيات القرن الماضي, تظهر بوادر ظهور الحركات السلفية في الجزائر،ومن أبرزهم :الجماعة السلفية للدعوة والقتال، حزب "حماس" حركة مجتمع إسلامي والتي أصبحت فيما بعد" حمس"حركة مجتمع مسلم،ثم حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ بقيادة عباسي المدني وعلي بلحاج، والذي جاء هو الآخر على خطى الفكر الإصلاحي الباديسي من خلال فكرة التغيير، لكن بمنظور سلفي إخواني، أين كان يدافع عن دولة إسلامية تخضع لحاكم مسلم, وتسير تحت منهاج الكتاب والسنة،وذلك بشعار"لاميثاق لا دستور قال ربي قال الرسول صلى الله عليه وسلم"،ثم تيارالسلفية التقليدية والتي أصبحت تعرف بالسلفية العلمية ،وهو تيار قادم من السعودية،حيث

سيعرف هذا النوع من التدين السلفي, إنتشارا واسعا داخل الجزائر،أين يكون الشباب السلفي الذين أجرينا معهم المقابلات الميدانية, هم من معتنقي هذا التيار السلفي الهادئ،والذي أصبح يصطلح عليه ب"السلفية الباردة"،وذلك كونه يعيش تحت جناح السلطان, لا ينتقده ولا يبدي موقفا في السياسة،بل يكتفي بالميدان الديني فقط.

ب-السلفية الإصلاحية في المغرب الأقصى:

إن الحركة السلفية في بلاد المغرب من ناحية العقائد هي ليست بالجديدة في المجتمع المغربي، بل شهدت شمال إفريقيا ذلك الصراع التاريخي،والذي دار بين من يسمون أهل السنة والجماعة، ومن يسمون بالصوفية و كذا الشيعة الفاطميين في زمن الدولة الفاطمية،غيرأن سلفية القرون المتأخرة خاصة مع حلول القرن **18 م**،وذلك من خلال بزوغ الإصلاحات الوهابية في بلاد نجد،تعتبر بمثابة الفترة الأكثر تأثيرا على سلفيات اليوم، والتي بواسطتها إستلهم الكثير من مؤسسي مختلف التيارات السلفية في البلدان الإسلامية، التجربة الوهابية,.بعد دخول المغرب الأقصى تحت الحماية الفرنسية **سنة 1912م**،ستكون هناك سياسات فرنسية موجهة نحوى المجتع المغربي كما في الجزائر مثلما مر معنا سابقا,.إن المساس بالوحدة الهوياتية للشعب المغربي, سيكون له وقع كبير في نفوس المغاربة،وذلك من خلال فرق تسد, والتي أصبحت كشعار وسلاح في يد فرنسا تستعمله ضد مستعمراتها.

لقد تمادت فرنسا في أهدافها عندما **أصدرت الظهير البربري يوم 16 ماي 1930م**،والذي ينص محتواه على الفصل بين البربر و العرب في جميع المجالات، خاصة الجانب الديني واللغوي والقضائي,.إن هذا الظهير ،هو الذي سيكون من بين أهم الأسباب التي جعلت الحركة السلفية في المغرب تخرج للعلن،وذلك بإعلانها المواجهة الفكرية والنضالية ضد هذا القانون,.لقد شاع في كتابات المؤرخين المغاربة بعد ذلك القرار التعسفي، ردة فعل من طرف الشعب المغربي ومن علمائه ومثقفيه ،وذلك بما سمي بدعاء اللطيف،أين إمتلأت المساجد ودور العبادة بالشعب في مختلف المدن المغربية ،وبدأت الجموع تردد إسم الله اللطيف،وذلك بدعاء الله أن لا يتم الفصل بين الشعب

المغربي من عرب وبربر,.حيث ستنطلق في هذه الفترة "الحركة الوطنية المغربية"،والتي ستكون مطالبها سياسية بالدرجة الأولى،وسيكون السلفيين الإصلاحيين من أمثال: الشيخ أبي شعيب الدكالي وعلال الفاسي و مولاي مصطفى بلعربي العلوي والذي كان عالم عقيدة وغيرهم ، من المنضوين تحت جناح هذه الحركة في الدفاع عن المطالب المغربية,.لقد عرفت السلفية الإصلاحية تجديدا على خطى السلفيين النهضويين في المشرق العربي على يدي الشيخ الدكالي والعلوي، وذلك من خلال نشاطاتهم في الإصلاح داخل المغرب,.لم ترفض السلفية الإصلاحية في المغرب بعض ما جاءت به التحولات الثقافية و السياسية في العالم ،حيث المشاركة السياسية على مستوى الأحزاب بالطريقة المعاصرة, إندمج فيها هؤلاء الفاعلين العلماء،معتمدين عليها كسلاح مهم في مواجهة الأحداث التي تعصف بمجتمعهم،فبالرغم من كل وسائل التضييق على النشاطات السلفية في المغرب ،إلا أن هذا لم يمنع مجموعة من الإصلاحيين الذين كان هدفهم الدفاع عن الهوية المغربية الإسلامية،ومن أبرزهم الشيخ السلفي مولاي مصطفى بلعربي العلوي، والذي ربط بين التصحيح العقدي للمجتمع, والعمل السياسي على مقارعة سياسة المحتل,.وظهر تأثر السلفيين في المغرب بحركة النهضة التي جاء بها جمال الدين الأفغاني واضحا،أين لم يكن عملهم التغييري منصبا فقط على التربية والتصفية الدينية للمغاربة، بل كذلك كان العمل في الدفاع عن مصير ومستقبل المجتمع المغربي،من خلال تلك المناصب السياسية التي تقلدوها،والمواقف التي أبدوها مثل باقي المصلحين الوطنيين في المغرب,فمن خلال الشيخ الدكالي وجهوده الإصلاحيةوالدفاعية عن المجتمع المغربي,فهناك رؤية ترى بأنه عندما تعرض العالم الإسلامي للإستعمار,كانت السلفية بمثابة حصن النجاة,أين تحولت من مذهب فقهي إلى حركات سياسية نضالية[55],جابهت العدوان الغربي ثقافيا و عسكريا،أين كان هؤلاء الشيوخ السلفيين في المغرب يرفضون الجمود الفكري والتقوقع على الذات،بل كان لمواكبة ألتطورات الحاصلة في كيفية معالجة قضايا الأمة بوسائل جديدة ،أمرا لا يمكن رفضه عند الإصلاحيين المعاصرين،حيث يتجاوزون الطرق التقليدية في التغيير،والتي لم تعد تواكب السياقات الثقافية المعاصرة،فلقد

55-الدكتور محمد رياض،شيخ الإسلام أبوشعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية مع ذكر ثلة من تلامذته وآثاره،مطبعة النجاح،الدار البيضاء،الطبعة الأولى 2005.ص420.

كانت أهداف السلفية النهضوية من خلال ما جاءت به،هو السهر على الجمع بين التقليد والحداثة،بين أساس الهوية الإسلامية المرتكزة على التدين الصحيح، و التجديد وإستعمال العقل والعلوم الحديثة في سبيل تحريك الأمة من مكانها[56]"وستكون السلفية خلال سنوات الحماية ،الرابط الذي سيجمع رجال الدين من الدورات التقليدية والشباب الوطني الذي تحول من الجامعات الأوربية"،أين ستكون هذه الشريحة التي تكونت خارج الوطن بمثابة تلك الفئة المثقفة التي ستجلب معها أفكارا ومناهج متطورة في بناء المجتمعات الحديثة،وهنا تتمظهر جليا عملية الجمع بين التقليد والحداثة في قالب جديد،وهو يشكل تلك الصورة التي تحافظ على هوية الأمة من جهة،ومن جهة أخرى النهوض بها من الركود و التخلف.

سيشهد التيار السلفي في المغرب الأقصى زمن الحماية إستحواذ شيوخه على فضاء جديد،يتماشى مع ما تشهده الحياة الحضرية الجديدة، أين أصبحت المدينة تمتلك الأفضلية في جميع الميادين مقارنة مع الريف، والذي هو الآخر أصبح يتستمد بقاءه مما تزخر به هذه الأخيرة،فالوضع الجديد للصوفيين في الريف المغربي، بدأت الرهانات في تلك الفترة من الحماية تسير ضدهم،أين أصبح للسلفيين من خلال السيطرة على المدينة، كلمة يمكنهم إيصالها إلى محاولة تغيير الوضع لصالحهم، وحسب ما جاء من طرف السوسيولوجي الجزائري عدي الهواري في كتابه":أنثروبولوجيين إثنين في المغرب أرنيست غيلنر وكليفورد غيرتز"،أين يقول[57]"مع غيلنر ،تتفاعل شمال إفريقيا مع الهيمنة الإستعمارية التي عدلت الهياكل الإجتماعية لصالح المدينة وعلى حساب القبيلة وهذا الخلل في التوازن،سيفيد العلماء الذين سيكون مفهومهم الديني أقرب إلى الحداثة من القبائل التي يسيطر عليها الأولياء"،أين سيستفيد هؤلاء المصلحين السلفيين من هذه التحولات الإجتماعية الجديدة، والتي أفرزتها الثورة الحداثية المعاصرة داخل المدن،وهنا سنشهد

[56]-L'evolution du champ religieux marocain au défi de la mondialisation,Mohamed Tozy,dans revue internationale de politique comparée 2009/1(vol16)page :63-81,edition de boeck superieur.p75.

[57]-Lhouari Addi,deux anthropologies au maghreb,Ernest Gellner et Clifford Geertz,editions des archives contemporaines,2013.p23.

إحتمالية بوادر الإنتقال من سيطرة التدين الصوفي، والذي كان المجال الريفي مسرحا له،إلى بزوغ الإسلام السلفي داخل الفضاء الحضري، وذلك عندما أصبحت ظاهرة النزوح نحوى المدينة بارزة بشكل كبير ،الأمر الذي جعل الجانب السلفي يستفيد من الوضع الجديد،أين يمكنهم إستقطاب الكثير من الوافدين الجدد إلى تيارهم الديني،وهنا نشير إلى أن الوضع مشابه تماما لما إستقيناه من الميدان المدروس،أين كان الشباب الذين أجرينا معهم المقابلات، يؤكدون على أنهم ينحدرون من أصول ريفية،حيث يعتبر التدين الصوفي بمثابة المرجعية الأساسية لتدين آبائهم،ولكنه بعد ولادتهم في المدينة،فعقيدتهم الدينية تغيرت،أين أصبحوا اليوم يعتنقون التيار السلفي،وذلك بسبب الشيوخ السلفيين الذي ينشطون في مختلف الأماكن داخل المدينة,.ونعود إلى السلفية الإصلاحية في المغرب فنقول،أن السلفيين الإصلاحيين عندماإندمجوا في الحياة السياسية داخل المدن المغربية،كانت هذه الطريقة بمثابة إحدى أهم الخطط التي مكنت من توطين الفكر السلفي المعاصر في الفضاء الحضري،وذلك في ذهنيات أفراد المجتمع المغربي،ومنذ تلك الحقبة ومابعد الحماية،ستنتشر في بلاد شمال إفريقيا بشكل عام, الحركات السلفية على تعدد أشكالها وأهدافها،أين سيكون الصوفيين و الشيعة من أبرز التيارات الدينية,و التي ستتصارع معها داخل الفضاءات الحضرية وفي هوامشها.

5-الخاتمة:

جاء في هذا الفصل محاولة التنسيق التاريخي بين ثلاثة مراحل مهمة تزامن وجودها في نفس القرن،فإذا قمنا بالجمع بين كل من الإثنولوجيا الإستعمارية،القوانين والتشريعات الفرنسية، وكذا ظهور السلفية الإصلاحية في المنطقة **المغاربية(الجزائر-المغرب الأقصى)**،فهذا إنما كان من أجل وضع ذلك الترابط المهم في هذا المسعى،أين كان الهدف الأساسي من هذا العمل ،هو إيصال تلك الفكرة التي مفادها أن السلفيين في الجزائر والمغرب الأقصى, ظهروا كنتيجة حتمية للواقع المفروض من طرف الإحتلال,.تعتبر الدراسات الإثنولوجية في أغلبها بأنها دراسات موجهة،وذلك نحوى فهم المجتمعات

المغاربية،والتي تقبع تحت سلطة بلد أولئك الإثنولوجيين،فلقد إستفهمنا من خلال هذه الأخيرة،أنها كانت بمثابة العامل المهم في تسهيل عملية السيطرة الواسعة على مجتمعات البلدان المضطهدة،أين تم في بداية الأمر, توظيف عسكريين ضباط،أين قاموا بممارسة العمل البحثي بإستعمال قوة السلاح،ثم بعد ذلك تم توظيف إداريين في هذه اللعبة الممزوجة بين العلم و الهيمنة، أين كان الهدف من ذلك هو البحث عن نقاط قوة المجتمعات المحلية،وذلك من خلال التنقيب عن أهم العوامل التي تحافظ على نظامها الداخلي ,.لقد إنغمس الكثير من الإثنولوجيين داخل الإيديولوجيا الإستعمارية ،أين كان الإستعمار يجد في أعمالهم ذلك السلاح الفكري المساعد على توطين ثقافته بنوعيها في المنطقة,.لقد زعم المحتل الفرنسي أن قدومه إلى شمال إفريقيا كان بنية حسنة،أين جلب معه الحضارة الأوربية من أجل تمدين هؤلاء الذين ينعتهم بالبرابرة،فهو في قاموس أولئك الباحثين المنغمسين في هذا المسعى، بمثابة ذلك العمل النبيل كما جاء في كتاباتهم،أين ستساهم فرنسا في تمدينهم وإدخال العلوم والمعارف التي يفتقدونها،وأن الإستعمار جاء بأهداف حضارية ليس إلا,.غير أن الواقع الذي فرضه الغالب على مغلوبه هو عكس ما جاءت به أفكاره التي روج لها ،أين كانت عملية الإستفادة المطلقة من ثروات هذه البلدان، و العمل على عزل الأهالي في الجزائر خاصة إلى مناطق نائية، كان هو العمل الذي دأبت فرنسا على تنفيذه ميدانيا،وذلك بحجة أن هؤلاء المغفلين لا يعرفون مصالحهم،ووجب تربيتهم بهذه الطريقة ،حتى يعودوا إلى رشدهم ،فيتقبلون ما تمليه عليهم فرنسا،إن هؤلاء الأهالي في نظر الخطاب الكولونيالي ذو النظرة التطورية، أنهم أطفال صغار، وأن فرنسا ترى ماضيها البعيد في صورتهم،أين وجب تلقينهم مراحل النمو والتحول من طور البربرية إلى طور الحضارة و التحضر,.لقد إعتبرت الجزائر في القرن العشرين، بمثابة مخبر إثنولوجي بكل ما للمعنى من كلمة ،أين عرفت المدرسة الفرنسية نفسها بشكل كبير في المجتمع الجزائري،لا من حيث قرب المسافة مقارنة مع بلدان إفريقيا البعيدة،ولا من حيث المدة الزمنية الطويلة،والتي تعتبر مناسبة للدراسات الإثنولوجية التي من شروطها أن تكون الفترة الزمنية طويلة،حتى يتسنى للباحث معايشة الميدان المدروس بكل تفاصيله الصغيرة,.بعد الدراسات الإثنولوجية التي جلبت كل شيء لأسيادها،ستنتقل

فرنسا في نفس الفترة للمرور إلى المستوى الثاني من المشروع العام الذي جاءت به للمنطقة،أين ستكون تلك القوانين والتشريعات التي تم فرضها بالقوة على الأهالي،بمثابة الشطر المهم في التفعيل الميداني لعملية الهيمنة، والتغيير الممنهج للذهنيات و الهويات المحلية,.إن الهوية التي تتمظهر بعض أجزائها في كل من :الأرض،النسب القبلي،أين يعتبر هذين العاملين بمثابة إحدى المكونات الأساسية للهوية القبلية في المنطقة المغاربية بشكل عام،سيكون هذين الجزأين أول من سيتعرض للمصادرة والتغيير من طرف الإدارة الفرنسية،أين أصبح الفلاح الجزائري كما مر معنا من قبل،يعمل في أرضه كخماس لا كسيد عليها،وهذا يفهم على أنه بمثابة تلك العملية الممنهجة من طرف فرنسا،وهدفها هو الفصل بين الفلاح وأرضه، والعمل على إعادة بناء وتشكيل هوية جديدة لهذا الأخير،أين بدأت عملية التشكل في تلك الوسائل والطرق التي فرضتها القوانين الإستعمارية،وذلك في كيفية ضبط عملية إستخدام الأرض بطرق ووسائل حديثة ،وهو بحجة أن هذا التغيير الجديد، إنما يتماشى مع الحضارة الجديدة،أين لم تعد للطرق التقليدية في إستخدام الأرض وفلاحتها أي معنى,.لقد زرعت فرنسا فكرة الفردانية التي جاءت نتيجة الثورة الصناعية والحضرية، وذلك من خلال ظهور الأفكار الديمقراطية وحرية التصرف عند الأفراد،أين كانت هذه المستجدات، بمثابة أفكار تم دمجها في عمق القبيلة الواحدة،فأصبح الصراع حول تقسيم الحقوق والملكيات بين نفس العائلة، من أهم الممارسات التي بدأت تعصف بإستقرار التضامن التقليدي كما جاء عند السوسيولوجي إيميل دوركايم,.أما فيما يخص مسألة فرض حمل لقب لكل عائلة جزائرية،فلقد روجت فرنسا بأن القانون هو مجرد عملية إحصائية من أجل ضبط الأهالي بشكل دقيق،وذلك دون الوقوع في مسألة تشابه الأسماء الثلاثية المتوارثة في المجتمع القبلي ،غير أن الفهم الأنثروبولوجي لما وراء هذا العمل،هو بهدف التفرقة بين العائلة الواحدة،والقضاء المادي على قوة ووحدة العائلة المترابطة،وذلك بحمل نفس العائلة المنحدرة من جد واحد إلى عدة ألقاب،إنها الضربة التي ستنعكس روحيا على تفتيت تلك الهوية الرمزية،و التي تتمثل في ذلك الإحساس المشترك بين نفس العائلة المنحدرة من جد واحد،والفصل بينهم في تلك الفترة،سيعطي ثماره في العقود اللاحقة،أين ستنحدر عوائل تنتمي لنفس الجد،لكنها تحمل ألقابا مختلفة،وهذا ما سيجعل تلك الحدود

المادية التي وضعتها هذه الألقاب، هي حدود ستقضي كذلك على المعاني المشتركة التي كانت عند أسلافهم من قبلهم،أين تنعكس على خلق تلك الحدود الرمزية كذلك,.إن عملية التجنيس من خلال تغيير الجزائري لجنسيته الجزائرية إلى جنسية فرنسية،كانت حاضرة في التشريع الفرنسي ،و الذي أورد عدة إمتيازات لمن يستجيب لهذا القانون الجديد,.لقد عرفت الفترة **(1865-1915)** أعدادا كبيرة من الذين تخلوا عن هويتهم الجزائرية كجنسية،أين إستجابوا للحياة الحضرية التي قدمتها لهم فرنسا،وذلك بصفتها الحياة التي تتماشى مع الحضارة الأوربية، و ماوصلت له فرنسا من قمة التمدن والتطور،فهذا إن دل كمدلول أنثروبولوجي على شيء،فإنما يرمز على أن الرؤية التي خطط لها الإحتلال منذ البداية،وهي التوطين المادي والروحي لهويته الخاصة،هي عملية تمضي في مسارها التي تريده فرنسا نفسها،حيث أن الخلفية من وراء تجنيس الجزائريين هو في حقيقة الأمر،العمل على إلباسهم الهوية الجديدة التي يريدها الإحتلال الفرنسي،ونزعه للهوية الأصيلة التي لا ترغب أن تتعايش معه.

إن **الدراسات الإثنولوجية** في المنطقة المغاربية أثبتت بأن الدين، يلعب دورا بارزا في تلك اللحمة التي توحد القبائل المغاربية،وذلك بين عرب جاءوا كغزاة، وبربر يعتبرون أصحاب الأرض من منظور المهيمن الفرنسي.،خاصة من خلال تلك الطرق الصوفية والزوايا، أين يلعب التدين الشعبي الطرقي دورا مهما في توحيد القبائل و الأعراش حول الولي الصالح من جهة،ومن جهة أخرى ،يوحدهم من خلال قراءة القرءان في المدارس التقليدية وتنظيم الطقوس الدينية،أين تتمظهر صورتهم في هذه الوضعية، كجماعة هوياتية تقتسم نفس الإحساس، ونفس الخصوصية الدينية منذ قرون سالفة,.لقد وجهت فرنسا من خلال باحثيها الإثنولوجيين، بوصلتها الإيديولوجية نحوى الفضاء الديني في **المنطقة المغاربية(الجزائر-المغرب الأقصى)**،أين أصبحت تعتني بفهم مسألة التدين وعلاقة الأهالي بالدين،وذلك من خلال تشريح تلك القوة التي جعلت **الأمير عبد القادر** و من جاء بعده من المتصوفة، يصرون على الصمود ومقاومة فرنسا بإشعال تلك المقاومات الشعبية،و التي كانت دائما الزوايا الصوفية تقف من ورائها،وذلك كتعبئة روحية من خلال رمزية البركة والدعاء، ومادية من خلال تزويدها بالمريدين الطلبة,.إنه التوغل داخل مخيال هؤلاء

الأهالي المتدينين،في الدواوير والأرياف، أين ستكون فرنسا المسير الجديد للفضاء الديني،حيث ستتشرف بشكل رسمي على التنظيم الإداري والقضائي و الديني لكل القضايا المتعلقة بسكان الأرياف,.ستعمل فرنسا على محاربة الدين و اللغة العربية كونهما يشكلان وحدة المنطقة ككل،أين سيكون التمسك بالعنصر البربري كثقافة أصيلة و كأصحاب الأرض،أحد أهم الأسلحة الأنثروبولوجية،و التي تفطن لها المستعمر الفرنسي بعد الدراسات الإستعمارية،وذلك من أجل إضعاف وتشتيت وحدة المجتمع المغاربي,.إن إحياء الإرث البربري في الجزائر والمغرب الأقصى ،هو عمل نبيل تقدمه فرنسا للعرقية البربرية حسب زعمها،أين روجت لهم على أن العرب سلبوا منكم الأرض واللغة والتقاليد،وأن فرنسا جاءت لإعادة إحياء المجد البربري في المنطقة،وذلك بالعودة لما كان موجودا قبل الغزو العربي،أين ستكون كذلك الخلفية من وراء ذلك، هو العمل على إحياء الإرث الروماني المسيحي في شمال إفريقيا، وذلك كما جاء في كتابات عرابيها،أين تعتبر فرنسا نفسها الوريث الشرعي لهذا الأخير،وأن أعراف وتقاليد البربر والمسيحية هما أصل المنطقة منذ قرون، حيث كان تعايشهما جنبا إلى جنب خلال التواجد الروماني في شمال إفريقيا،وفي الأخير على العرب أن يفهموا تلك الرسالة الواضحة من طرف فرنسا،والتي مفادها بأن شمال إفريقيا جغرافيا وهوياتيا، تقتسم ذلك الإرث المشترك مع دول وحواضر البحر الأبيض المتوسط ،وذلك بين شمال إفريقيا و دول جنوب أوربا،حيث لا علاقة للبربر مع البلدان العربية الموجودة ما وراء النيل،أين دافعت على هذه الخلفية دراسات إثنولوجية مع نفس الأطروحة السياسية.

منذ الربع الأول للقرن العشرين، ستتشابه الحالتين الجزائرية والمغربية في نفس الفترة الزمنية،وذلك من خلال إنفجار الحركة السلفية الإصلاحية في كلا المنطقتين،وهذا ما أردنا أن نوضحه في هذا الفصل،وذلك بأن الإستعمار الفرنسي، يمثل أحد أبرز الأسباب التي كانت من وراء بزوغ السلفيين في شمال إفريقيا، ولهذا تطرقنا إلى الجزائر و المغرب الأقصى، فوجدنا أن كلا البلدين يمتثلان لنفس السبب الحتمي، وهو ظهور كل من : جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، و ظهور العلماء المصلحين في المغرب الأقصى،والذين إندمجوا تحت جناح الحركة الوطنية المغربية،وذلك مع فئات إجتماعية

ثقافية أخرى،أين كانت القاطرة الأمامية لتسيير المشاريع الفرنسية في المنطقة المغاربية، هي الدراسات الإثنولوجية، وهذا ما أجبرنا على البدء بها في هذا الفصل,.ستكون بعد الممارسات التعسفية من طرف الكولونيالية الفرنسية،وذلك بالدوس على أهم الخصوصيات الثقافية للمنطقة المغاربية،والتي تتمثل في اللغة والدين الإسلامي،بمثابة القطرة التي ستفيض الكأس،وذلك بعد المساس بأهم جزء يشكل الهوية المحلية،والتي تتمسك بالدين الإسلامي في غالبية شعوبها،أين ستكون مع بداية سنوات الربع الثاني من القرن العشرين،بداية تلك القصة الطويلة،والتي تمظهرت في المواجهة المباشرة خاصة في جانبها الفكري، بين الهوية الإستعمارية القادمة من الشمال، و الهوية السلفية التي تحاول الحفاظ على خصوصيات المجتمع المحلي,.إن الشيخ عبد الحميد إبن باديس، و من كانوا معه من العلماء المصلحين،لم تتوقف أفواههم ولا كتاباتهم في المجلات المتنوعة ،وذلك فيما يخص مسألة الدين الإسلامي واللغة العربية،واللذين يعتبران من أهم ما يشكل وحدة الأمة الجزائرية،المتكونة في غالبيتها من العرب والبربر،وهذا بعد السياسة الإستعمارية في العمل على جذب العنصر البربري نحوها، وإيهامه بإستخراج هويته من أنقاذ التاريخ ،والتي تم طمسها من طرف العرب،وفي الجهة المقابلة سيكون نفس السبب في بلاد المغرب الأقصى، وذلك بعد ظهور ما يسمى الظهير البربري،والذي نص على التفرقة الجغرافية والثقافية بين العرب والبربر،وهذا ما جعل السلفيين من أمثال: الشيخ أبي شعيب الدكالي، و الشيخ العلوي، والشيخ علال الفاسي وغيرهم،يثورون ضد هذا القرار العنصري، والذي يعطي إشارات مادية ورمزية واضحة ومباشرة،وذلك في زرع التفرقة والشقاق بين الأمة المغربية الواحدة،وهذا في نظر السلفيين في تلك الحقبة الزمنية في بلاد المغرب الكبير.

إن **السلفية في شمال إفريقيا** تأثرت بشكل كبير بسلفيات بلاد الحجاز،أين قام الإصلاحيين بتكرارتجربة سابقيهم في هذا النهج،فهو ليس تيار آني فقط،أين يعالج مشكلة ما ثم يختفي،بل جاء هذا الأخير ليتوطن عقائديا داخل ذهنيات وممارسات المجتمع المحلي،حيث لن تتوقف مسيرة هذا التيار الديني في مرحلة الإستعمار الفرنسي،بل ستكون هناك قصة جديدة للسلفيين في الجزائر بعد الإستقلال،أين سيعرف المجتمع الجزائري في

النصف الثاني من القرن العشرين، حركات سلفية مابعد البادسيين،أين سيكون للإخوان المسلمين،الجهاديين، و السلفية التقليدية العلمية، فضاء إجتماعي تسرح فيه هي الأخرى داخل المدن الجزائرية,. سنتطرق في الفصل الأخيرإلى السلفيين في الجزائر،وذلك بوضع مقاربة أنثروبولوجية للشباب السلفي القاطن بحي كوشة الجير الهامشي بوهران،محاولين من خلال هذه الأخيرة، التعرف على هويتهم الدينية السلفية،والتي يحاولون فرضها داخل الهوامش الحضرية،في سياق ثقافي جديد،يختلف عن السلفيين الذين عاشوا في سياق ثقافي قد سلف ذكره في الفصلين السابقين،أين كان من واجبهم مواجهة السياسة الإستعمارية آنذاك،وذلك من طرف النهضويين ، الإخوان و البادسيين،وكذا مواجهة العثمانيين والصوفيين من قبلهم،وذلك فيما يخص السلفية الوهابية،أين سيكون السلفيين في الميدان المدروس بعد القرن العشرين، وفي العقود الأولى من القرن الواحد والعشرين، في سياق جديد يتمظهر في تلك المواجهة التي تعتبر من نوع آخر،أين تتمثل في الصراع مع الصوفيين في الفضاء الحضري،وكذا التصادمات مع الحياة الحضرية وممارسة التحضربمنطقهم الديني،وهو من أجل رسم تلك المدينة التي توجد في مخيالهم العقائدي.....

الفصل الرابع

الفصل الرابع:الشباب السلفي في الميدان المدروس،هوية دينية في مواجهة الحياة الحضرية

1-مقدمة:

لقد عرفت السلفية في الجزائر ما بعد الإستقلال إمتدادا واسعا داخل المجتمع المحلي،أين لم تعد السلفية الإصلاحية التي جاءت مع جمعية العلماء المسلمين, هي التي تمثل التدين السلفي الوحيد ،بل مع النصف الثاني من القرن العشرين، ستغزو الفضاء الحضري حركات دينية أخرى،وإن كانت قد تأثرت بالبادسيين, إلا أنها تمثل سلفيات أخرى سواء من ناحية الإسم, أومن ناحية المضمون الفكري،فعلى سبيل المثال: دخول تيار الإخوان المسلمين، والسلفية التقليدية، والتي أصبح يطلق عليها السلفية العلمية،إلى جانب تلك السلفيات الجهادية التي تأثرت بفكر السيد قطب، و كذا حزب الجبهة الإسلامية

للإنقاذ، والذي إستلهم التجربة الثلاثية لكل من: الوهابيين،النهضويين والإخوان المسلمين في محاولة منه , لتأسيس دولة جزائرية إسلامية تحكم بالشريعة الإسلامية ,.كل هذه التيارات توغلت داخل ذهنيات الكثير من الجزائريين،وذلك على حساب التدين الطرقي التقليدي،و المتمثل في التيار الصوفي,.كل تيار من هذه التيارات جاء بحجة التجديد والإصلاح،وهذا ما دأبت عليه مثل هذه الحركات في كل قرن،حيث دائما ما تروج للآخرين بأن نواياها حسنة،وأنها جاءت لتنقذ المسلمين من النار وتدخلهم إلى الجنة,.في هذا الفصل والذي خصصناه للعمل الميداني بشكل دقيق،سيكون التيار السلفي العلمي هو الممثل الوحيد في مضامين خطاب المبحوثين ومرجعيتهم العلمية ،كون أن الشباب المدروس في حي كوشة الجير بوهران،هم من أتباع السلفية العلمية،والتي مقرها ومنطلقها الأول من بلاد السعودية،و على رأس مشيختها الشيخ الألباني محدث العصر بالنسبة لهم.

إن الشباب السلفي الذي تم ترصده في هذا العمل،وذلك طيلة مدة هذا البحث ،هو محاولة وضع مقاربة لتشكل هوية هؤلاء الشباب،وذلك من خلال ما تتمظهر صورته في شكل اللباس ومضمون الخطاب والممارسات اليومية مابين الهامش والمركز الحضري،فقد كان العمل يتضمن وصفا وتحليلا في نفس الوقت ،وهذا من متطلبات العمل الأنثروبولوجي, خاصة في مثل هذه المواضيع,.لقد كانت عملية البدء بوصف الميدان المدروس بتفاصيله المهمة, من المراحل التي بدأنا بها هذا الفصل،ثم بعد ذلك ستأتي تلك العناوين التي سيكون كل منها يحتوي على جزء مهم من تلك الأجزاء التي تشكل الهوية السلفية,و المكتشفة في الهوامش الحضرية،أين سيكون التطرق إلى علاقة السلفيين بالفضاء الحضري, من خلال ما يريده هؤلاءالفاعلين داخل المدينة، هو ما يأتي في الأخير، والذي سيرسم تلك المدينة التي هي في مخيلة الشباب السلفي مايجبرنا على توصيف هويتهم التي يرسمونها في الواقع المعاش من وجهة نظر أنثروبولوجية،أين سيكون الدين و المرجعية التي يرتكزون عليها،هي التي تقرر في الأخير ما نوع الفضاء الذي يريدون، وكيف يمارسون حياتهم الحضرية,وذلك إنطلاقا من الهامش إلى مركز المدينة.

2-الملاحظة الإتنوغرافية للميدان المدروس:

تبدأ حيثيات الإهتمام بهذا الحي الذي تطرقنا إلى موضوع دراستنا داخله, والمتمثل في حي كوشة الهامشي بمدينة وهران، قبل الدخول إلى الجامعة كما أسلفنا في الفصل التمهيدي،فهو الحي الذي ترعرعت داخل أروقته،هو إمتداد للمنطقة الكبرى بلونتور-رأس العين،واللذان يمثلان أحدا أهم الأحياء التاريخية في سيرورة تشكل المدينة الوهرانية قديما،فالحدود الجغرافية هي وهمية بين هذه الأحياء الثلاثة,.هو حي كوشة الجير الهامشي من بين أحياء الهوامش الحضرية الأخرى،والهوامش الحضرية في هذا المعنى هي: كل فضاءات سكنية تقع في هوامش المدينة المركزية، أين تشكل تلك الأحياء التي إمتدت خارج معالم المدينة التقليدية أو الرسمية،فتسمى هامشا سواء كانت أحياءا رسمية أو لا رسمية،ولهذا تسمى الهوامش لوجودها في أطراف المدينة،فلقد توسعت أحياء لا رسمية في العقود الأخيرة داخل مدينة وهران،وذلك نتيجة عدة عوامل وأسباب، من أبرزها الأزمة الأمنية في العقد الأخير من القرن الماضي,.يعتبر حي كوشةالجير من بين نوعية هذه الأحياء التي إمتدت على حساب المدينة الرسمية،أين لا يمكننا أن نضع حدودا بين هذا الحي والأحياء الرسمية المجاورة له،على سبيل المثال حي الطورو و حي الكمين ،أين يكون التمييز ظاهرا فقط من خلال شكل البنايات, وذلك نتيجة التلاصق بينهم,.لقد عرفت مدينة وهران تاريخيا تلك المكانة المتميزة ضمن أهم حواضر ومدن البحر المتوسط،خاصة في الفترة الإستعمارية, أين كان نسبة المعمرين المتواجدين في وهران، يشكل أعلى نسبة مقارنة مع المدن الأخرى،وهذا دليل على تلك المكانة الإستراتيجية التي تستحوذ عليها,.فهي مدينة قديمة من حيث التسمية أو التأسيس، حيث أن [58]"وهران إسم بربري ،لمنطقة أو قرية صغيرة **تأسست سنة 290ه(903م)**،في منطقة كانت تقطنها قبائل بربرية, أزداجة،نفزة،ومزغنى،من طرف محمد بن أبو عون ومحمد بن عبدون, وهم رحالة أندلسيين جاءوا من إسبانيا"،وهذا ما يدل على أقدمية هذه المدينة ومحافظتها على التسمية الكلاسيكية،لتعرف هذه المدينة توغل ثقافات متعددة داخلها ، وشعوب

[58] -René lespes,oran,etude de géographie et d'histoire Urbaines,edition bel horizon,2003.p41-p42.

متنوعة العقائد والأديان،من زمن الرومانيين والبيزنطيين إلى زمن الفتوحات الإسلامية، مرورا على العثمانيين والإسبانيين، إلى غاية دخول الإفرنج الفرنسيين،أين وضع هذا الأخير معالم المدينة الوهرانية المتوافقة مع العصرنة والحداثة الأوروبية آنذاك،وذلك من خلال شكل البنايات والأحياء والمؤسسات التي خلفها المعمرين عقب الإستقلال،فمن هنا ستبدأ هذه المدينة التي أسسها الفرنسيين, تشكل ذلك الفضاء الحضري المعاصر، والذي سيمثل نواة ذلك المركزالحضري،وذلك بالنسبة لتلك الهوامش الحضرية التي توسعت حوله, في الفترة ما بعد الإستقلال،وما الحي المدروس إلا وهو من ضمن هذه الهوامش الحضرية.

إن تلك الجبال المتراسة مع بعضها البعض،تشكل ذلك الحزام المتواصل،تعلو مدينة وهران ،يطلق عليها إسم جبال مرجاجوا أو قبل ذلك كان يسمى جبل وهران،وذلك حسبما جاء قبل الفترة الإسبانية في كتابات النسابة والمؤرخين, من أمثال النسابة إبن حزم الظاهري وغيره,.داخل هذه السلسلة الجبلية تشكلت أحياء وتجمعات سكنية لا رسمية،منها ماهو قديم و منها ماهو جديد،أين يتراءى لك ذلك من خلال الملاحظة الميدانية،فبقايا السكنات القديمة في رأس العين وبلونتور خاصة، تعود لبعض المعمرين الذين كانوا يستقرون فيها خلال الفترة الإستعمارية،وكذا السكنات المبنية بالحجارة قبل الإستقلال، لاحظنا تواجدها في المنطقة ككل، ومنها حي كوشة الجير، والتي تعود إلى أولئك المغاربة الذين كانوا يقطنون في المنطقة،أين تكون تلك السكنات المبنية بالحجارة لازالت تقاوم الظروف من أجل البقاء، و التعبير على تلك الثقافة السكنية القديمة في تلك الفترة الزمنية،أين كانت الحجارة تعتبر المادة الأساسية في بناء الجدران و الأساسات،حيث ذكرتنا هذه الأخيرة بالقصور الصحراوية المتواجدة بالمناطق السهبيةوالصحراوية،أين تعتبر ثقافة البناء بالحجارة, هي ميزة قديمة بقدم التاريخ الذي بنيت في سياقه الثقافي،أين كان لنا تربص ميداني* في طور الماستر،وذلك من أجل إكتشاف ثقافة المسكن الجزائري في الصحراء قديما، وهل ما زال يحافظ على تلك الخصوصيات الكلاسيكية,.ونعود إلى

*تربص ميداني في السنة الدراسية 2016/2015 ماستر تخصص أنثروبولوجية حضرية,قسم علج جامعة وهران 2محمد بن أحمد,رئيس المشروع الأستاذ لقجع عبد القادر,كان التربص في القصور الصحراوية,ولايتي البيض والنعامة,إشكالية الثابت والمتغير في المسكن التقليدي في المنطقة,ملاحظات إثنوغرافية في الميدان,وماهي التحولات التي شهدت المنطقة في ظل العصرنة والحداثة وكيف تغير المسكن من السكن في القصر نحوى نمط سكني جديد عند سكان هذه القصور.

كوشة الجير فنقول بأن البناء في هذا الحي بهذه المادةالحجرية، يعبر أنثروبولوجيا على أن الحي ليس بجديد في نواته الأولى،بل هناك عوائل مغربية وجزائرية سكنت مع بعضها البعض،وذلك منذ زمن ما قبل الإستقلال, وهو ما جاء في دراسة الأستاذ لقجع عبد القادر رحمه الله(أنظر الصفحة رقم20 أين تم ذكر المرجع), حول وجود المسلمين المغاربة والجزائريين,وأنهم يقطنون مع بعضهم البعض في منطقة بلونتور-رأس العين زمن الحقبة الإستعمارية،أين يوجد عائلات مغربية تقطن في حي كوشة الجير إلى غاية هذه الفترة الزمنية،وداخل نفس المسكن التقليدي في تلك الصورة الأنثروبولوجية،والتي تعبر على ذلك التمسك بهويتها الثقافية المادية،أين يتمظهر ذلك في واجهة المسكن و تفاصيله الداخلية,. مع نهاية الثمانينات من القرن الفارط ودخول العقد الأخير منه،عرفت الجزائر ذلك التوتر الأمني و السياسي، ما جعل إنفجار العنف المسلح في المدن و الأرياف أمرا لا هروب منه،أين أجبرت هذه الظروف القاهرة الكثير من العوائل على النزوح نحوى المدن،وذلك هروبا من الإرهاب، أين إعتبر هذا القرار حلا وحيدا لا ثانيا له,.ستكون وهران تلك المدينة التي تسقبل الآلاف من الأسر القادمة من المدن الداخلية والأرياف،جالبة معها ثقافتها وخصوصياتها الدينية التي ستمارسها داخل هوامش المدينة، أين لاحظنا ذلك أثناء عملنا الميداني,.إن حي كوشة الجير يمثل ذلك النموج المثالي لما تم ذكره قبل هذا السطر،أين توسع بشكل لا يمكننا ضبطه بفترات دقيقة،وذلك لسرعة وكثرة البنايات التي غزته في فترة زمنية ليست بالطويلة ،حيث توسع هذا الأخير في العقدين الأخيرين، تاركا البنايات التقليدية المبنية بالحجارة، تشكل تلك النواة التي تتميز بها عن باقي البنايات اللارسمية الجديدة،وهذا يتجلى للناظر من خلال واجهات بنايات هذا الحي،فهو توسع سريع يطلق عليه في الخطاب اليومي عند ساكني مثل هذا الحي, بمقولة:"أبني و أسكن"،أو "أبني وأسكت"،وذلك في دلالة على تلك الممارسة التي تعبر عند هؤلاء الفاعلين اللارسميين, على معنى "لنا الحق في المدينة" ،والتعبير على هذا إنما يبدأ من الهامش ليتوغل فيما بعد إلى مركزها، كما سنستنبط ذلك من خلال خطاب وممارسات السلفيين في الميدان المدروس.

يقع الحي بين جبلين أين يحتوي على طريق رئيسي واحد يمر في الوسط،أين تتواجد السكنات على جانبيه،به أزقة متعرجة وضيقة تتخلل المساكن، وما تعرف" بالخشش أو الخشة"،وذلك في قاموس المصطلحات اليومية للسكان،تتوسط الحي الشركة التي كانت تنتج مادة الجيركما أسلفنا سابقا،وهي أصل تسمية الحي,.إن الملاحظة الإثنوغرافية لبناياته،تعبر أنثروبولوجيا على تلك الصورة المشتركة من خلال التشابه بينها،وهذا ما يميز غالبية الأحياء اللارسمية،وذلك مرجعه إلى تقارب المستويات الإجتماعية و الثقافية بين قاطنيه،أين تلاحظ قلة من الناس من أدخلوا تعديلات متميزة على مساكنهم،أين أصبحوا يتميزون عن غالبية السكان من حيث شكل المسكن،في صورة تعكس ذلك التلاحم بينها، أين يتضح ذلك جليا من خلال تلك التنظيمات اللارسمية, والتي ينظمها قاطني هذا الحي، فتظهر جليا تلك اللحمة والتعاون في التظاهرات المنظمة من طرفهم، أين تلاحظ كل فرد أو عائلة تساهم بقدر معين في إستكمال العمل المطلوب,.داخل أزقة الميدان المدروس, تنظم تلك الطقوس الجنائزية و الأعراس و الإحتفال بالمولد النبوي وقراءة القرءان جماعة, داخل" القيطون أو الخيمة الجنائزية" ،كون أن هؤلاء أغلبهم من الصوفيين،ما ينعكس ذلك من خلال هذه النشاطات التي ينظمونها داخل الحي،والتي تعبرشكلا ومضمونا وخطابا على التمسك بالمرجعية الصوفية للسكان، وإن كان هناك تيار سلفي هو في بزوغ داخل الحي في الفترة الأخيرة،.حيث جاء في إحدى المقابلات التي أجريناها في الحي،أين ذكر لنا أحد الشباب السلفي وهو الشاب **(المبحوث رقم 02)**،حينما تكلم على نوعية التدين الغالب على السكان،فقال"الأكثرية هنا جاءوا من غليزان من الدوار،وحتى أنا أجدادي من الدوار،أجدادنا كلهم كانوا صوفيين لكن كانوا نوايا،لأن فرنسا هي التي أكثرت من بناء القبب وشجعت على البدع و الخرافات،لهذا تجد اليوم مازال هناك الكثير من الصوفيين هنا في الحي"،في إشارة منه على تلك العوائل الكثيرة،والتي لازالت تمارس بعض الطقوس و تحافظ على بعض الأدعية و الخطابات الموروثة عن أجدادهم الصوفيين،أين تجد أن الصوفيين في الحي، يحملون نفس الجملة التي تعبر في مضمونها على أن" هذا دين أجدادنا لا يمكننا التفريط فيه"،ولا يمكن لأي دين جديد أن يزحزحهم من هذه العقائد التقليدية،و المتمثلة في مضمون وشكل التدين

الشعبي الطرقي الصوفي،والذي يعتبر داخل الحي المدروس، بمثابة العدو التاريخي لأولئك السلفيين الشباب،من وجهة نظر السلفيين أنفسهم,.بالرغم من الهجرة نحوى فضاء جغرافي جديد يختلف عن الفضاء التقليدي المتمثل في "الدوار"،أين كانت سمة التضامن والإلتفاف حول شيخ القبيلة، إلا أن هؤلاء القاطنين بهذا الحي من الصوفيين, لا زالت أسماء الأعراش و الإنتماء إلى الجد الذي تنحدر منه مختلف الأسر, محافظة على نفس النسق الذي ورثوه عن أسلافهم،أين تجد أعراش تسمى بإسم الجد,وذلك مثل :أولاد سيدي بخدة،العمامرة"نسبة إلى سيدي عمار ولد سيدي أمحمد بن خدة،أولاد إسماعيل، و أولاد الحاج جلول,الغوانم,..إلخ،أين تكون مصطلحات النسب،القبيلة،الولي الصالح،الصالحين،لا زالت موجودة داخل مضامين خطاب الحياة اليومية عندهم،أين يعبر الشاب **(المبحوث رقم 03)** عن هذه الممارسات والتمثلات الموجودة داخل المخيال الجماعي لهؤلاء المتصوفين قائلا"راهم في المدينة ومازال عايشين حياة تاع الدوار,تسمع سيدي فلان وفلان والشيخ فلان،ونحن من قبيلة فلان"،أي هناك تشبث بالثقافة الأصلية عند هؤلاء الصوفيين، أما السلفيين في هذه الحالة عندما يعبرون عن الواقع الذي يعيشه أغلبية سكان الحي, من خلال هذه الصورة،إنما هو تعبير من ورائه الأسف والتعجب، بل والغضب من هذه الممارسات التي تتنافى مع التيار السني الصحيح من منظورهم,.إن الرابط الإجتماعي لازال يتميز في تلك العلاقات التي تؤلف بين سكان الحي, ويظهر ذلك في الولائم و التظاهرات،[59]"فالرابط الإجتماعي تشكله في صورته الثقافية, تلك الأفكار الموجودة في المخيال الثقافي للمجتمع والآخر،حيث تعمل هذه الأفكار داخل مخيال الجماعة على تنظيم إجتماعي من خلال مختلف الرموز،الطقوس،الشفرات،والإتجاهات"،أين تكون الهوية التي تجمع كل هذه المفاهيم، تعبر عن الجماعة والفرد الذي ينتمي إلى ثقافة خاصة،أين لاحظنا في الميدان المدروس أن هذه المفاهيم، تظهر بوضوح من خلال واقع الحياة اليومية،و الذي يتمثل في ذلك التنظيم اللارسمي للحياة الثقافية والإجتماعية, لقاطني حي كوشة الجير,فحتى السلفيين رغم تميزهم من الجانب العقائدي الديني عن باقي الفئات الإجتماعية

[59]-:Addi Ihouari,les mutations de la société algerienne:famille et lien social dans l'algerie contemporaine,paris,la découverte,1999.p13.

القاطنة بالحي إلا أن التضامن الداخلي فيما بينهم يكون حاضرا بقوة خاصة في المناسبات المهمة كالزواج وغيره.

وأما الوصف الذي نعبر من خلاله عن طبيعة المسكن النموذجي، والذي يعتبر بمثابة النمط السكني الغالب على الحي ككل،فهو يبنى بمواد تكون أقل تكلفة, نظرا للوضع الإقتصادي للساكن،علما أن أغلبيتهم جاءوا فارين من جحيم العشرية السوداء،فهنا سيكون كل من: الوضع المادي والبحث عن الأمن، كمؤشرين أساسيين في بناء المسكن اللارسمي في حي كوشة الجير،أين تكون عملية بناء المسكن, تشارك فيها عدة أجزاء قد تختلف من مجتمع لآخر،ومن سياق ثقافي لآخر،حيث يقول آموس غابوبورت:[60] "عندما نحاول تفسير شكل المنزل بأسباب تتعلق بنظام إجتماعي،فإننا غالبا ما نستعين بأسباب دفاعية و إقتصادية بطريقة مميزة وهي الأسباب الأكثر واقعية"،حيث تعتبر ثقافة اللإستقرار عند الحضارات القديمة, بمثابة المثال الذي يمكننا أن نذكره هنا،أين كان البحث عن الأمن والدفاع عن ساكني القصور, بمثابة المؤشر الأكثر أهمية عندهم،وكذا حماية الإقتصاد المتمثل في تلك الأراضي التي تحيط بالقصر,زيادة على الإمكانيات المتوفرة في بنائه ،وهذا كما لاحظناه في ثقافة القصور الصحراوية قديما،وذلك أثناء تربصنا الميداني كما أسلفنا ذكره في الأسطر الماضية،فإذا ما أسقطنا هذا على المسكن النموذجي في الميدان المدروس،فإننا وجدنا من خلال الخطاب الذي يسرده السكان،أين يكون الجانب الأمني والبحث عن الحماية, بمثابة السبب الجوهري عند الكثير من الساكنين في ربطهم ذلك بالعشرية السوداء،والتي أجبرت الكثير منهم, على الهروب نحوى المدينة والبحث عن الأمن،وأما الجانب الإقتصادي فهناك فكرتين تتعلقان ببناء المسكن في هذا المكان،فالأولى: يكون الوضع الإقتصادي للفرد هو ما ينعكس على جدران مسكنه، أي: يكون متوافقا مع القدرة المادية له،أما الجانب الثاني:فالقرب من الفضاء الحضري والذي يحتوي على عدة مرافق حيوية،فهذه ورقة رابحة أخرى بعد الإستقرار، أين تكون مسألة القرب من المدينة المركزية بكل ما تملكه من مؤسسات متنوعة، يشكل إستفادة مادية جديدة لهذا

[60]-Amos Rapoport,pour une anthropologie de la maison,traduit par Anne M.Meistersheim et Maurin schlumberger,dunod,paris,1972.p.43-44

الأخير،وذلك على سبيل المثال:العمل في سوق المدينة الجديدة بوهران،فإن صاحب المسكن يقوم بالتضحية بكل ما يملكه من أجل حماية عائلته،وذلك من أجل عدم البقاء دون مأوى، كون المسكن هو شرف الرجل عندهم, وذلك لستر الحريم أين يقول الشاب **(المبحوث رقم 08)"**نسكن تحت طولة وحيطان باربان ونستر أهلي ونحمد ربي",كتعبير على المقاومة من أجل الظفر بقطعة أرض يبني عليها مسكنه,وكذا حماية الشرف (العائلة)من المجتمع كما يرى وفقا لمتطلبات دينية وإجتماعية يجب الخضوع لحتمياتها.يبنى المسكن من خلال القاعدة أو أساسه بالحجارة المأخوذة من المنطقة الجبلية على قطعة أرض دون عقد ملكية،مجانا في بعض الأحيان،وفي أحيان أخرى يتم شرائها بمبلغ معين على بعض السماسرة في الحي،والذين يستحوذون على قطع أرضية يعملون على تجزئتها وبيعها على شكل قطع أرضية جاهزة للبناء،حيث تلاحظ تلك الصورة التي تتشكل من مجموعة من الأفراد،وهم داخل تنظيم حضري هامشي لا رسمي في مجموعات من الأفراد،أين يكون كل فرد يمارس دوره داخل هذا التنظيم،فلا مقاول بمؤسساته الرسمية يكون مشرفا على المشروع بأمواله،ولا الإداراة التقنية و التقريرية قد وقفت بقوانينها ومعاينتها لهذه الممارسات التي تحدث خارج هوامش المجتمع الرسمي,أين يمر بناء المسكن بمراحل متعددة إلى غاية أن يتم السكن به من طرف العائلة المعنية به,أين يعبر لنا هذا على وجود تلك الإستراتيجية والتنظيم الذي يمتثل له هؤلاء الفاعلين في الفضاء الحضري اللارسمي,والذي يوحي بأن تهميشهم لن يكون عائقا في التفكير والتنظيم والبحث عن حلولا لوضعياتهم رغم تعقد الوضع الذي يعيشونه.إن الملاحظة التي تستوقفك من خلال النظر إلى الحي من أعلى قمة جبلية فوقه،هي في مشاهدتك لتلك الصفائح الحديدية التي تغطي نسبة كبيرة من السكنات،وهذا في إشارة إلى ذلك التقارب الإجتماعي بين مختلف السكان،والذي يتمثل في تقاربهم من خلال المستوى المعيشي,.يتم بناء الجدران إما بالقرميد الأحمرلمن يستطيع إلى ذلك سبيلا،وأما الذي ليس له القدرة على شرائه فيكتفي بمادة الباربان،والتي تكون تكلفتها أقل من القرميد،وأما باقي المواد التي يستكملون بها بناء هذا المسكن النموذجي, من أبواب ونوافذ وكذا الزليج المستعمل أو ما يسمى "لاباطاي"،فهي مواد يتم شرائها من سوق شطايبو بوهران،والذي يتم فيه بيع المواد

القديمة والمستعملة,.أثناء معاينتنا المباشرة لأحد الأشخاص وهو يبني في مسكنه، إلتمسنا تلك الثقافة الموجودة في مخيال السكان، والتي تعبر عن خصوصياتهم متمظهرة في بناء المسكن،أين تم منع هذا الأخير من وضع نافذة مقابل مدخل المسكن المجاور له،وهي بدوافع الحرمة, وأن فتح نافذة مقابل باب المنزل هو بمثابة "كشف الحياء عن صاحب الباب"،هو نظام متفق عليه عند هؤلاء اللارسميين ،وأن التعدي على هذا النظام, هو بمثابة إهانة لصاحب المسكن الأول،والذي يعتبر صاحب الحق في هذا الصراع،وذلك لأنه هو الذي بنى مسكنه قبل هذا الأخير،وبالتالي قانون البناء هو في صالح الشخص الأول,.هو تنظيم ثقافي بنوعيه يتماشى مع تلك التفاصيل الدقيقة في بناء المسكن من أساسه إلى سطحه،وأي إنحراف عن هذا التنظيم الداخلي،هو بمثابة إختلال في قواعد التفاوض بين السكان،حيث سيؤدي إلى صراع لا مفر منه ،أين سيكون هناك لجنة أخرى من داخل الحي،ستعمل على إعادة ضبط هذا النسق اللارسمي إلى سيرته الأولى،وهذا ما جعلنا نقر من خلال بحثنا في موضوع السلفية في هذا الحي،أن هناك صراع التنظيمات الدينية والغير دينية قد لاحظناها وعايشناها، وهي ذات طابع لارسمي،أين يكون هدف كل تنظيم هو فرض منطقه داخل الحي،حيث تعتبر السلفية من خلال أولئك الشباب القاطن في الحي المدروس،أحد أهم هذه التنظيمات الحضرية بصبغتها وتفكيرها الديني،والتي تعتبر حديثة العهد في الحي،أين تريد أن تعمل كل شيء من أجل أن تسيطر على ذهنيات السكان،وكذا على الفضاء بشكل عام,حيث جاء على لسان **(عمي ع.ب.ع)** أحد أقدم سكان الحي يقول"هذوا صحاب اللحية بكري ما كانوش هنا,بعد التسعينات بانوا"في إشارة منه على الظهور المتزايد للسلفيين في الحي,وأنهم ليسوا من قدماء الحي من الجانب الديني العقائدي,وليس من جانب أقدمية السكن,غير أن الحي كان به في سنوات العشرية السوداء جماعات دينية أخرى منها: " الجماعة السلفية للدعوة والقتال,الجبهة الإسلامية للإنقاذ كانت بكثرة خاصة من المتعاطفين معها,وغيرهما",وهم يختلفون عن توجه السلفية العلمية التقليدية.

3-وصف الشباب السلفي في الحي المدروس:

في إحدى الدراسات السوسيولوجية التي قام بها الأستاذ عبد القادر لقجع تحت عنوان"المدينة بوثقة لثقافة جديدة"،حيث جاء فيها حول مسألة تملك المسكن من طرف الساكنة،وأن لهؤلاء الفاعلين من خلال إدخال التعديلات على سكناتهم الجديدة،إنما هذه الممارسات [61]"هي عبارة عن إستخدامهم للعقلانية بغرض إيجاد وضعية مريحة للسكن"،أين تكون الخصوصية التي تعبر عن هويتهم, حاضرة بشكل لافت للإنتباه, داخل الفضاء الخاص,.من هذا المنطلق توغلنا نحوى الميدان المدروس الذي يعتبر أحد الهوامش الحضرية بوهران،نحوى أولئك الشباب الذين إتخذوا لهم من التيار السلفي, عقيدة ومذهبا وهوية،يتربصون بها ويدافعون عنها ،فإذا كانت المدينة بوثقة للكثير من الثقافات والممارسات، فلا حرج في أن هؤلاء السلفيين هم جزء لا يمكن حرمانه من هذه التسمية،أين يكون الدور الذي يؤديه هؤلاء الشباب، هو تعبير على تلك الثقافة الدينية,و التي أصبحت تسبح على مسرح الهوامش الحضرية وفي مركز المدينة،وذلك مثل باقي الثقافات الأخرى,.إن البحث عن وضعية يرتاح لها الساكن في مسكنه الجديد، هو منطق يمكننا أن نسقطه على أولئك السلفيين في مختلف الميادين التي يتوغلون داخلها،حيث يعملون بكل إستراتيجية جماعية محكمة بينهم،وذلك من أجل رمزية البحث عن ذلك التلاحم الذي سيجمع بين حياتهم الدينية كعقيدة وعبادة لله،مع حياتهم الإجتماعية من خلال نسيج الحياة اليومية والعلاقة مع الآخرين،فالمسكن والمسجد أحدا أهم الفضائين,و اللذين يبحث السلفيين في الميدان المدروس, على إيجاد راحتهم النفسية والعقائدية داخلهما كما سنلاحظ ذلك لاحقا.

داخل مسجد النور يبدأ كل شيء،سينطلق التاريخ من هنا،تاريخ هؤلاء الشباب السلفي الذين تلقوا تأثرهم بهذا التيار منذ أن كانوا أطفالا صغارا،وذلك عبر بعض الشيوخ السلفيين من خارج الحي الهامشي،حيث يقول الشاب**(المبحوث رقم 06)"**فوجدت أن السلفية في العقيدة هم تيار صالح لكي أعتنقه،مقارنة مع الصوفية الذين كنت معهم والله يحفظ الشيوخ الذين وضحوا لنا الدين الصحيح"،أين يعتبر عندهم بأن الصوفيين يعظمون

[61]-:La ville creuset d'une culture nouvelle(villes,cultures et société en algerie)*,Abdelkader lakjaa,insaniyat n°5,mai-aout 1998.p50

غير الله, وهم بذلك خارج دائرة أهل السنة،فمن هذا الخطاب الذي بثه هذا السلفي, والذي يوحي إلى حد ما داخل مضامين كلماته، إلى ذلك التميز الواضح،والذي يحاول من خلاله هؤلاء السلفيين, أن يثبتوه ممارسة وخطابا،وكل من لا يلتزم بمثل هذا النسق من الخطاب،فهو خارج المنهج،وإن العقيدة من خلال ما تم إستنباطه من كلامهم، هي القلب النابض في الحفاظ على باقي الأجزاء المكونة لهذا التيار,بل هي النواة المؤسسة له,.داخل الحي قمنا بملاحظة إتنوغرافية من أجل القيام بوصف هؤلاء المدروسين،حيث وجدنا أن هؤلاء, هم عبارة عن شباب يتراوح سنهم ما **بين (20سنة-40سنة)**،كما تم ذكره في الفصل الأول،دخلوا هذا التيار عن قناعة وهذا ما إستقيناه من أفواههم خلال المقابلات الميدانية التي أجريناها معهم،أين أردنا وصفهم من ناحية الشكل والمضمون الفكري ،أين تطرقنا إلى الجانب العقائدي وكذا في علاقتهم مع التيارات الدينية الأخرى في الحي, وعلى سبيل المثال الصوفيين,.إن أول ما يتم الإجابة عليه من طرف هؤلاء السلفيين, هو مسألة العقيدة التوحيدية،وهي جوهر الهوية السلفية عندهم،فإذا كان قد مر علينا في الفصول السابقة, أن السلفية ليست تيارا واحدا ،بل هي عدة تيارات ،فكان لزاما علينا طرح هذا التساؤل عليهم فيما يخص توجههم،فإذا بنا نجد أنهم داخل مضمون خطاباتهم, بأنهم يتشبثون بالإرث الوهابي في الحجاز،ويتخذون من محمد إبن عبد الوهاب وإصلاحاته ضد المتصوفة كما يزعمون، كمعيار حقيقي لبناء المجتمع الإسلامي،ويثنون على شيوخ السلفية المتأخرين في بلاد الحرمين, أمثال:الشيخ عبد العزيز إبن باز،العثيمين والألباني, وهؤلاء هم شيوخ السلفية العلمية،فهم بهذا الشكل ينتمون إلى هذا التوجه الديني,و الذي يلقب كذلك بالسلفية التقليدية،أين يرون بأنها تقليدية علمية, حيث أصبحوا يطلبون العلوم الشرعية بشكل أساسي, وهي من ضروريات هذا العصر,.لا يمارسون السياسة, ويكتفون بالدفاع عن الأطروحة الحجازية المعاصرة،وذلك في أن التغيير يتم بناؤه من قواعد الأمة عن طريق تربية المجتمع وتنقيته من البدع و الأفكار الخاطئة عقيدة و ممارسة,على خطى النظرية التي يؤكد عليها شيوخ المرجعية السلفية في السعودية المعاصرة,.يتميز الشاب السلفي من حيث الهوية الشكلية, والذي يمثل ذلك المثال النموذجي لهؤلاء المدروسين في هذا الحي،وذلك من خلال اللباس الذي يتميز به عن باقي

أفراد الحي،أين لاحظنا ذلك الهندام الذي يتمثل في القميص, وهو عبارة عن عباءة تكون في غالب الأحيان باللون الأبيض،وسروال أبيض رقيق الشكل, يصطلح عليه عندهم بنصف الساق،أي لا يكون تحت كعب القدم بل فوقه بقليل،وهذا يعتبر من السنة التي تنهي عن الإسبال في اللباس، وهو عدم تغطية القدمين في الأسفل،أما على الرأس فتلاحظ تلك القبعة الصغيرة البيضاء، والتي تسمى التقية،وهي الأخرى توضع بشكل صحيح, أين على السلفي أن يغطي جبهته من الأمام، وأن لا يضعها للخلف ويترك الجهة الأمامية للرأس عارية،وذلك مخالفة لليهود الذين يضعون تلك القبعة الصغيرة في وسط الرأس،أين تكون الجبهة عارية تماما، وأن لا تكون صغير الحجم مثل قبعة اليهود،وذلك تجنبا للشبهة،إنها رمزية التمسك بالسنة النبوية التي يعتقدونها من ناحية الشكل،أين تجدهم يحاولون قدر المستطاع, أن يمتثلوا شكلا لكل ما تمليه عليهم مرجعيتهم ،وذلك من خلال أولئك الشيوخ الذين يرسمون لهم ذلك الشكل الذي يجب أن يكونوا عليه، والمتمثل في الهندام السني السلفي،أين يعتقدون بأن السلف الصالح وعلى رأسهم صاحب الرسالة السماوية, محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم, كان يسير على هذا النهج،غير أننا وجدنا ما يخالف ذلك في التاريخ كل المخالفة،حيث كانت العرب قديما تلتحف ذلك الرداء الأبيض،و الذي يشبه الرداء الأبيض الذي يلبسه الحجاج في هذا العصر،وكما ورد في عدة أحاديث نبوية, ذكر الرداء اليمني الذي كان يلبسه النبي صلى الله عليه وسلم,وكذا العمامة على الرأس واللتين لا يرتديهما السلفيين في كوشة الجير,وهذا ما يرمز لذلك التطور في اللباس الديني عند السلفيين,ما يجعل هذه الشريحة لا تعارض الحداثة مالم تخالف العقيدة الدينية كما يزعمون,وعند النظر إلى وجه ذلك الشاب السلفي, تلاحظ تلك اللحية الطويلة،والشوارب التي يتم قصها، وهي عندهم ترمز إلى السنة في التعبير على الزهد والإيمان بالله من ناحية العبادات،ومن ناحية التميز عن باقي أفراد المجتمع, وعلى سبيل المثال:عن المرأة،أين تكون المرأة تختلف في عدة مميزات عن الرجل, ومنها شكل الوجه,.هو لباس يظهر من خلال إحتجاجهم به والدفاع عنه ،بأن المسلم يجب أن يتشبه برسوله أولا ،وبأن يكون مثل أخيه المسلم في شكل اللباس, حتى لا يقع في نفوس البعض حرج من بعضهم البعض،إذا ما تميز بعضهم عن البعض الآخر باللباس،ما سيؤثر على تدينهم, أين تكون

في نظرهم فتنة في الدين قد تحدث،فيقول السلفي **(المبحوث رقم 09)**"المسلم مع المسلم تجمعهم عقيدة واحدة،رسول واحد،ولباس واحد،لأن هذا هو الذي يطمئن له القلب, وترتاح له النفوس،فإذا ما إختلفنا في اللباس،فسيزرع الشيطان بيننا الفرقة في الدين ،وكذلك اللباس السلفي يدل على التواضع لله ومع خلق الله"،وهنا تعبير على تلك الهوية الدينية التي يجب أن تشترك في عقيدة واحدة بينهم،لكن كذلك ستكتمل هذه الأخيرة, من خلال الشكل الهوياتي للهندام السلفي،والذي سيعطي تلك الصورة الأنثروبولوجية للآخرين،وذلك في تعبير من خلالها على أن هؤلاء السلفيين, يشكلون جماعة هوياتية دينية واحدة،حيث أنه لا يمكن لأي هوية أخرى, أن تخترق ذلك الجدار الذي تم بناؤه بهذا الشكل,غير أن القمصان والسراويل التي يلبسونها لاحظنا أنها في بعض الأحيان تكون مصنوعة من الكتان الثمين وتباع بثمن غال,وهو ما يدل على التحول الذي يعيشه السلفي في إقتناء لباسه حتى وإن كان يدعي بأنه في صورة الثبات على خطى السابقين في التيار المنتهج,إلا أن التغيير يوجد داخل هذا الثابت الذي يدافعون عنه,وهي ما يجعل السياق الثقافي الحديث يلعب دورا في هذه الممارسات.وفي تعليقهم عن شباب اليوم وألبستهم, فإنهم يصفون واقع اليوم بأن شباب اليوم هم بعيدون كل البعد عن المسلم الحقيقي, شكلا ومضمونا،فعدم ستر العورة ظاهر عند الكثير منهم،حيث أن سراويل اليوم هي مجسمة،أي ترسم جسم الشاب بشكل ظاهر, أين تعتبر فتنة كبيرة،أين لا حظنا في الحي ذلك الحوار الذي دار بين شاب سلفي, و شاب بلباس ضيق،حيث بدأ هذا السلفي يعطيه مواعظ دينية في شكل اللباس الذي يجب أن يلبسه المسلم، وأن يخالف الكفار في هويتهم الشكلية, وليس العقائدية فقط،وذلك في تعبير من خلال هذا الحوار،على أن السلفيين في المجتمع المدروس, لن يصارعوا الصوفيين فقط،بل هم ملزمين على تقديم توعية دينية لأولئك الذين لا ينتمون لأي تيار ديني واضح,.إن النساء لم ولن يسلموا من النقد السلفي المقدم لهم من طرف السلفيين في الميدان المدروس،أين يقول الشاب **(المبحوث رقم03)**"ديوث من يترك زوجته أو إحدى قريباته من الأسرة تخرج بلباس ضيق،ومن لا يملك اللحية عند العلماء فهو مخنث متشبه بالنساء"،إنه تعبير على ذلك المنطق الذي يحاول أن يحتوي كل شيء،وأن ينفرد بكل شيء،حيث يرى نفسه بأنه يملك تلك المؤشرات الصحيحة،والتي تدله على معالم النجاة

يوم القيامة،وأن الحدود التي يرسمونها سواء: من ناحية الممارسات الدينية، أو من ناحية الشكل الذي يجب أن يظهر به السلفي في الوسط الإجتماعي،هي الحدود الوحيدة التي تملك في تصوراتها لممارسة الإسلام عبادة ومعاملة مع الناس،تلك الحقيقة الغير قابلة للتصرف فيها من طرف التيارات الدينية الأخرى،والخروج عنها هو خروج عن التدين الشرعي الصحيح.

هي هوية سلفية إذا ما كانت متشبثة بالتقاليد المؤسسة لها،فإن التجديد أو الإجتهاد ومواكبة العلماء الذين يجدون فيهم صفة الحاملين لميراث السلف الصالح، هو أمر ظاهر في خطاباتهم اليومية،أين يعتبر الشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس في الجزائر على سبيل المثال،هو حامل لواء الشرعية السلفية السنية،أين له فتاوى يعملون بها،وهي تدخل حسبهم ضمن الإجتهاد المعاصر،و الذي أعطي لهذا الأخير الحق فيه،أين تم تزكيته من طرف علماء الحجاز في هذا العصر،وهنا نلمس تلك الفتحة الصغيرة في الإجتهاد المعاصر،وإن كان قليلا ,غير أنه بدأ يظهر على هؤلاء التقليديين نوع من الإجتهاد والمبادرة في حلحلة المشاكل التي تواجهها الأمة الإسلامية،وتجدر الإشارة بعد الإستماع إلى خطاب هؤلاء الممارسين للنهج السلفي،أن هناك سيرورة متوارثة من جهة،ومن جهة أخرى تتجدد كل قرن حسبهم،فهم بهذا المعنى يرون أن شيوخ اليوم, هم على نهج الإجتهاد الوهابي و التيمي والحنبلي سائرون،فإذا ما مرت قرون على هذا التيار، إلا وجاء عالم مجدد يحيي ذلك الفكر الديني, و يضيف صبغته الفقهية عليه،لكن شريطة أن تكون إضافات متوافقة مع المرجعية التاريخية، وأن لا تخرج على النصوص المقدسة في نهجها و أوامرها،أين يكون السياق الثقافي المعاصر, هو من أجبر فركوس ومن على شاكلته،أن يساهموا بقدر معين في تيارهم التقليدي،أين أصبح يسمى تيارا علميا،[62]"فهؤلاء السلفية لا يعملون من أجل إعادة الإرث القديم للإسلام السني فقط ،ولكن هي خطوات من أجل وضع إنطلاقة من جديد لمجموعتهم أو للمسلمين"،هذه الإنطلاقة الجديدة لن تكون حاملة لنفس الممارسات التي مرت عليها الإنتفاضات السلفية التقليدية في أشياء كثيرة،بل هناك تحولات ثقافية و إجتماعية ملموسة، أين سيكون مواكبتها بمجهر التصحيح و الإجتهاد

[62]-:Jacque berque,l'islam au défi,editions gallimard,1980.p49.

أمرا لا يمكن تجاوزه،.فمن خلال الحلقات التي حضرناها داخل مختلف المساجد في الحي وخارجه،وأنت تسمع لهؤلاء الشيوخ السلفيين،إنك تلمس ذلك الخطاب الذي يسير نحوى الإنفتاح على التجديد و الإجتهاد،وكذا العمل بفقه اليوم, نظرا لعدم توفر إجابات دقيقة في فقه الأمس،أين يتم الإعتماد خلال الكثير من الحلقات خاصة في الجانب الإجتماعي، على الشيوخ المعاصرين كمراجع في الدروس الدينية،وذلك سواء من بلاد السعودية **أمثال :إبن باز و الألباني و العثيمين**،أو من داخل الجزائر أمثال:**الشيخ فركوس،جمعة،سنيقرة** وغيرهم،وهذا في إشارة تدل على أن هؤلاء العلماء المعاصرين لهم، أصبحوا بمرتبة المجددين و الفقهاء الذين سيستكملون ذلك المسار,و الذي رسمه سابقيهم في هذا التيار،فهذا إن دل أو عبر على شيء،فإنما يؤشر على ذلك الإنتقال النوعي البسيط،وذلك من مرحلة التمسك الكامل بالإرث الكمي للفقه المتوراث،نحوى المبادرة النوعية من طرف علماء اليوم في السلفية العلمية ،والهدف هو إيجاد فتاوى يقدومونها للمسلمين ،وذلك فيما يتوافق مع ما تعيشه المجتمعات الراهنة, من توترات معقدة و مرتبطة بالسياق المعاش، أين يقول السلفي **(المبحوث رقم 19)**"إن العقيدة هي أهم وأصل الإسلام،ولا يوجد فيها أي إجتهاد،أما مسألة التفقه فيما يعيشه المسلم من حوادث، فهو أمر ملزم النظر فيه من طرف العلماء اليوم،إذا لم يكن هناك جواب في القرءان والسنة،وعند الصحابة أي الإجماع،فهناك علماء تم تزكيتهم اليوم،هم من يتحملون مسؤولية الفتوى"،وهذا مفهومه أن هؤلاء العلميين يريدون إيصال أصواتهم إلى التيارات الدينية الأخرى،بأنهم محافظون على الأصول الأولى للإسلام السني من ناحية،ومن ناحية أخرى لم يعودوا مكتفين بالجمود والتقليد كما ينعتهم الكثير من المسلمين من خارج تيارهم،بل يحاولون إثبات وجودهم من خلال التفقه في الدين, وطلب العلوم الشرعية،وذلك لمواجهة مخالفيهم في سياق تاريخي جديد،وبعلماء سلفيين جدد،يسيرون ضمن نسق سلفهم الصالح من جانب،ومن جانب آخر يعالجون النوازل و المشاكل الحادثة في عصرنا الراهن،وذلك بإجتهاد يكون من طرف علماء, تم ترشيحهم لحمل تلك المسؤولية التاريخية المتوارثة والمتجددة.فعلى سبيل المثال: الإحتفالات المعاصرة بالأعياد الوطنية هي ظاهرة جديدة,لم تكن موجودة قديما،غير أننا نلاحظ إجتهاد السلفية العلمية في عدم جواز هذه الظاهرة, بدوافع أن الإسلام فيه عيدين

فقط,عيد الفطر وعيد الأضحى,وهو ما جاء على لسان من سألناهم من السلفيين, كربط بين ما جاء في فتاوى شيوخهم وكذا خطابهم.

لا يخضع السلفي في الميدان المدروس إلى مؤسسات تفرض عليه تدينه الذي يمارسه،والذي يعتقد فيه كل ما كان يبحث عنه،وعن هويته التي أصبحت بمثابة خصوصية ثقافية بالنسبة له،فمن خلال تلك الحرية التي لاحظناها أثناء المعاينة الميدانية،وذلك إنطلاقا من خلال ملاحظة هؤلاء الفاعلين،و الذين يمارسون تدينهم وفقا لقالب ديني يوجههم،أين لا يمكن لأي شيء غيره, أن يفرض عليهم تلك السلطة التي يفرضها عليهم المنهج الذي يتبعونه،وفي هذا الصدد فقد ذكرنا هؤلاء السلفيين في الخضوع بهذه الطريقة البعيدة, عن تلك القوانين التي تصدر من هيئات رسمية، بأولئك البدائيين الذين تم رصدهم من طرف الإثنولوجيين و الأنثروبولوجيين قديما،وذلك في علاقتهم مع محيطهم الثقافي الخاص،حيث يرى الباحث الأنثروبولوجي برونيس لاو مالينوفسكي في دراسته"ثلاثة تجارب حول الحياة الإجتماعية للبدائيين"،والتي جاء في فحواها:[63] ".....أنه لتطبيق القانون يتطلب من المجتمعات وضع مؤسسات تتضمن كل ما يتطلب من هذا الأخير،غير أن المجتمعات البدائية لم ولن تكون بحاجة لهذه المرافق، كون أن أعرافها وقوانينها تمارس بطريقة عفوية ومنظمة"،وهذا طبعا موجود في كيانهم ومتوارث عن أسلافهم، ما يجعلهم يمارسونه بشكل تلقائي و يومي،أين لاحظنا نفس الملاحظة, و إن إختلفت كلا الحالتين،إلا أن السلفي في كوشة الجير يمارس تلك العلاقة مع تياره الديني بشكل عفوي،تحت سلطة نظام داخلي متفق عليه بين الجماعة السلفية نفسها،أين تكون باقي المؤسسات والفئات الإجتماعية الأخرى، بعيدة عن تلك الصورة الأنثروبولوجية التي تعبر عن ذلك النظام الخاص بهم،والذي أصبح مع مرور العقدين الأخيرين، بمثابة أعراف وتقاليد ينصاع لها هؤلاء الفاعلين اللارسميين في الميدان المدروس,.إن الملاحظ للمسكن الذي يعمل الشاب السلفي على بنائه،سيجد إلى جانب معتقداته, تلك الطاعة الغير مفروضة عليه بشكل رسمي كما أسلفنا ،بل هوإنصياع إلى

[63]-:bronislaw malinowski,trois essays sur la vie sociale des primitifs,editions payot,1er edition française 1933,edition revue pour la petite bibliothéque payot.p15.

معتقد تغلغل داخل كيانه ومخياله،حيث أصبح يتصور بواسطته الأمور التي يجب أن يسير عليها،ثقافيا و إجتماعيا ودينيا.ونحن نتوغل داخل أحد السكنات لشاب سلفي،لا حظنا تطبيق كل ما تمليه تلك الأعراف والقوانين الخاصة بهم،وذلك من خلال خطاب الحياة اليومية لهم،الحياة الإجتماعية والدينية،أين يخضعون إلى أولئك الشيوخ الذين يوجهونهم بنصائحهم و إرشاداتهم،حيث يكون الفضاء الداخلي للمسكن مغطى تماما، أين لا يبقى لفتحة الحوش أي مجال لدخول أشعة الشمس،وعدم فتح نوافذ تطل على الفضاء الخارجي، خاصة في الأماكن المطلة على الطريق الرئيسي للحي،وهذا بدواعي الحرمة وحماية زوجته من النظرات التي قد تأتي من الفضاء الخارجي،وهناك من قام بغلق نوافذ منزله المطلة على الفضاء الخارجي،وذلك عقب إنضمامه إلى الجماعة السلفية في الحي,.قد يصل السلفي إلى الصراع مع عائلته بعد إعتناقه لهذا التيار الديني،فإذا كان يقاسمهم نفس المسكن، فسيكون الصراع حول التغيير والتعديل الداخلي للمسكن، بمثابة جوهر ذلك الخلاف العائلي،فهو يمتثل لشيوخه وتياره الديني متجاوزا الطاعة والخضوع العرفي لوالديه،وهذا تعبير منهم من خلال ذلك الخطاب الذي يوجهونه في هذه الحالة إلى أن:" الدين قبل الوالدين"،"ولا طاعة لغير الله وإن كان الوالدين"،فلقد وصل الأمر إلى أحد السلفيين بالإختلاف مع أسرته، ما جعل طرده من المنزل أمرا لا مفر منه من طرف العائلة،فالوالدين من أسرة تقليدية تتبنى التدين الشعبي الطرقي المتوارث عبر أسلافهم في الريف،بينما الإبن أصبح سلفيا ناكرا ومتمردا على دين الآباء و الأجداد،أين غادر هذا الشاب منزله العائلي،حيث لقي تعاطفا كبيرا من طرف الجماعة السلفية في الحي،أين تم مساعدته على بناء مسكن لارسمي خاص به،وهذه تعتبر بمثابة تلك الإستراتيجية التي ينتهجها هؤلاء السلفيين في حالة هذا الشاب،والتي من ورائها هو محاولة تثبيت هذا الأخير ضمن جماعتهم الهوياتية، والهدف من ذلك هو أن لا يرتد عن تيارهم بسبب تلك المشاكل العائلية،وهنا تظهر جليا كفاءة هؤلاء القاطنين في الأحياء اللارسمية ،وذلك يتمظهر من خلال إستعمال المسكن اللارسمي, كسلاح ضمن عدة أسلحة،بغية جلب المزيد من المتدينين الجدد, نحوى تيارهم الديني،وهذا يذكرنا بأعمال السوسيولوجية "إيزابيل بري

شيخاوي"*حول أحياءالمدن العربية،حيث أن هؤلاء القاطنين في الأحياء اللارسمية، يملكون تلك الكفاءة و الإستراتيجية ضمن نسق الحياة اليومية التي ينتهجونها،و التي تجبرهم على إبتكار حلولا للمشاكل التي تواجههم داخل أزقة هذه الأحياء اللارسمية نفسها،ويقول السلفي **(المبحوث رقم20)** في هذا الصدد معبرا على حرمة المسكن"المنزل هو الشرف تاع العائلة،يجب أن يتم تغطية المنزل،لأن الزوجة شرعا لها الحرية الكاملة في أن تتبرج داخل مسكنها ومع زوجها فقط،لهذا يجب أن يتم غلق كل فتحة تكشف الحرمة"،أين يكون شكل المنازل الموجودة في الميدان المدروس, بمثابة واقع لا يقبله السلفيين،وذلك من خلال تلك المساكن المتراصة مع بعضها البعض،والتي تقع في منحدر شديد وعلى سفوح الجبل،ما يسهل عملية النظر إلى الفضاء الداخلي ، كون أن ثقافة الحوش الواسع والمفتوح، هي ثقافة منتشرة في مثل هذه الأحياء،ما يجعل السلفيين لا يرتاحون لمثل هذه الوضعيات،أين يعملون على التغيير, وهم ملزمين تحت سلطة التيار السلفي المنتهج.

إن الرموز الموجودة في الفضاء الداخلي تعبر عن هوية ساكن المنزل،فالسلفيين في الميدان المدروس, هم شريحة لها ثقافتها الأنثروبولوجية مثل الآخرين،و التي يعبرون بها عن تلك الخصوصيات الدينية الغير قابلة للتصرف،فالرمز هو عبارة عن لغة مثل باقي اللغات الإنسانية,أين يتم التعبير بواسطته عن مختلف الدلالات حيث يحتوي على معاني متعددة[64]،واللغة التي يعكسها هذا الأخير،هي تلك الرسالة التي يريد الإنسان أن يفهمها الآخرين على أن هذه الدلالات،تعبر عن ثقافته التي لا يمكنه التخلي عنها,.فداخل المسكن، سيتغير كل شيء بمجرد الإنضمام إلى الجماعة السلفية،سيمنع وضع التماثيل و تعليق الصور على جدران الغرف،وذلك إمتثالا للحديث النبوي الشريف ،والذي ينص على ذلك في مرجعيتهم،لا شيء يعلق على شكل صورة إنسان ولا حيوان ولا غيرهما،فهو أمر منهي عنه في الإسلام السلفي,.إن الهوية السلفية الجديدة ستفرض هيمنتها على الفضاء

* isabelle berry-chikhaoui,agnès déboulet(dir),les compétences des citadins dans le monde arabe,edition karthala,2003.

[64]-ميشال ميسلان،علم الأديان مساهمة في التأسيس،ترجمة:عز الدين عناية،دار النشر،كلمةوالمركز الثقافي العربي،الطبعة الأولى،2009.ص251.

الداخلي للمنزل،داخل الفضاء الحميمي سيكون البعد الإيديولوجي للمعتقد السلفي مهيمنا على الوضع،فالشاب السلفي هو مطالب بمراقبة المنزل بشكل يومي، سواء الفضاء الداخلي أو الفضاء النصف خارجي،حيث يتم منع الزوجة من الوقوف في مدخل الباب،وذلك بحجة حماية شرف الأسرة ،فهو تعبير على حماية زوجته من الفتنة التي قد تأتي من خارج المنزل،خاصة إذا كانت النسوة اللواتي يقطن بجانب منزله،لا ينتمون إلى المذهب السلفي،حيث هذا يعتبر بمثابة الخطر الذي قد يؤثر على تدين زوجته السلفية،وذلك من خلال مخالطتهن,.هي ممارسات تعبر عن دافع الحماية والإلتزام بالمنهج السني المزعوم من طرفهم،فأي أفكار قد تتغلغل من خارج الحياة الأسرية، قد تؤدي إلى اللإفتراق بين هذا الشاب السلفي وزوجته،وهذا يعتبر المرحلة الأولية في الهيمنة على الفضاء، وذلك من خلال القضاء على كل ما يخالف الهوية الجديدة،بينما العمل الثاني،والذي يعتبر بمثابة إكتمال الشطر الثاني من السيطرة على الفضاء الداخلي من طرفه،أين إقتبسنا ذلك من خلال تلك الملاحظات داخل المنزل،حيث وجدنا مظاهر الهوية السلفية في الغرفات حاضرة بشكل واضح،والتعبير عنها يكون بتلك الرموز والأشياء التي يوظفها صاحب المسكن،أين تجد مجموعة من الكتب الدينية لمختلف علماء السلفية،وكذا تلك الورقات التي تسمى "المطويات "،والتي تحتوي على مواضيع توعوية تعمل على نشر المذهب السلفي،هي رمزيات تجعل هذا السلفي يعمل على ضبط أسرته على المسار الذي تعكسه هذه الأخيرة،وإلى جانب ذلك، فتربية الأطفال بين هذه الرمزيات الدينية،هو مشروع تنشأة أسرية دينية ناجحة حسبهم،فالطفل الذي سينمو في وسط الكتب السلفية والمطويات،هو في نظر هؤلاء السلفيين بمثابة مشروع شاب سلفي، هو في طور النمو الفكري وتلقي تعاليمهم منذ هذه المرحلة،أين سيترسخ في تركيبته النفسية و الفكرية هذا التدين السني،ما يجعل توريث هذا الأخير من الآباء إلى الأبناء ،هو ما تعمل عليه شريحة الشباب السلفيين في المجتمع المحلي،وذلك على حساب التدين الصوفي التقليدي,.سيكون التلفاز الذي جاء مع ما جلبته الحداثة بمثابة وسيلة يستعملها الشباب السلفي في خدمة تيارهم الديني،ففي المنزل يقوم السلفيين بملأ التلفاز بالقنوات الدينية السلفية فقط،إلى جانب القنوات التي تبث القرءان الكريم،وهذا ما يلزم به هؤلاء السلفيين عوائلهم،أين يكون الطفل

متعلقا بهذه القنوات الدينية منذ صغره،أين يتم مسح جميع القنوات الغير دينية،هي مراقبة دقيقة ويومية لكل التفاصيل التي تتوغل داخل منازل هؤلاء السلفيين،وهنا نجد أن هؤلاء السلفيين يستعملون تلك الإستراتيجية ذات الخلفية الدينية, في مواجهة الحداثة والعصرنة،وذلك في كيفية إستعمال تكنولوجيات الإعلام و الإتصال في صالحهم،يقول السلفي(**المبحوث رقم16**)"أنا أعمل كل هذا داخل مسكني،وذلك إلتزاما بالمنهج السني،تربية الأولاد على الدين الصحيح يبدأ بتنظيف المنزل من الشبهات و التخاريف التي خلفها الضالون عن طريق الحق،لا أريد فتنة في منزلي،أنا أستعمل القنوات الدينية لعلماء أهل السنة والجماعة،مثل قناة البصيرة"،إنه العمل الذي لن يتوقف عنه هؤلاء السلفيين، كونه هو جزء لا يتجزأ من المشروع الذي يطمح إليه علماء و تلامذة هذا التيار،وهو تغيير الأمة الإسلامية من التدين الغير صحيح،نحوى التيار السني الذي يضمن لهم الفوز والنجاة في الآخرة،وذلك حسب خطاب هؤلاء الشباب المدروسين في الحي.

يعمل الشاب السلفي على السكن بجانب سلفيين مثله،وهم يطبقون تعاليم التيار الذي يتبعونه من خلال ماتبثه أفواه مراجعهم العلمية،ومجانبة الجار الذي يعتبر ضالا عندهم, هو أمر مهم في معتقدهم،حيث على سبيل المثال:لاحظنا مجموعة من السلفيين أقنعوا أحد السلفيين من مجموعتهم بالإنتقال من المسكن الذي يقطن به، نحوى السكن بجانب هؤلاء السلفيين أنفسهم،وذلك تجنبا لبعض الأفراد الغير سلفيين، حتى لا يدخل معهم في صراع وفتنة حسبهم،وهنا نستنتج من خلال هذه الصورة أنثروبولوجيا،أن هذه الأخيرةهي عبارة عن ممارسات, تعبر على منطق تشكل تلك الجماعة،و التي تحاول أن تلتف حول بنيتها المادية، وذلك من خلال التساكن مع بعضهم البعض في نفس الجوار،والذي سينعكس رمزيا على تلك البنية الثقافية,و التي تحاول هذه الجماعة الهوياتية الثبات على نسيجها الرمزي العقائدي،أين يحاولون صناعة كتلة واحدة تتطابق أجزائها الداخلية مع بعضها البعض،وذلك ما سيزيد من قوة هذه الأخيرة،و التي ستتوغل بإستمرار داخل الحي،مبرزة هويتها الجديدة التي تحاول بواسطتها الإستحواذ, على الفضائين المادي والرمزي للمجتمع المحلي,.يلعب السن الذي يحتوي عليه عناصر البحث دورا مهما في حياة هؤلاء السلفيين،فعناصر البحث هم شباب وهم في سن القوة والحيوية، وحب المغامرة

والإكتشاف،وهي من السمات التي تغلب على مثل هذه الفئات،فالشباب عندما يصلون إلى تلك المرحلة العمرية،تجدهم يحاولون الخروج من تلك القوقعة التي كانت تحاصرهم أثناء فترة الطفولة،أين كان الآباء هم المرشدين الأساسيين لكل تصرفاتهم،وهوبمثابة الأمر الظاهر للعيان, من خلال ممارساتهم وخطاباتهم ومغامراتهم اليومية،وهنا نذكر بأن هؤلاء المبحوثين, هم شباب ينحدرون من عوائل ذات تدين صوفي،وذلك كما أسلفنا سابقا،بينما الآن هم في المدينة بعيدا عن أصول آبائهم الجغرافية،حيث لم يعد للتصوف في ذهنياتهم وجود،بل دافع الشاب هو البحث و الإكتشاف, خاصة عندما لا يكون مقتنعا بشيء معين،ما جعلهم في الأخير يكتشفون تيارا دينيا جديدا, قادما من بلاد الحجاز، أين سيعتنقونه كمذهب ديني جديد،وذلك على حساب تدين الآباء و الأجداد،فهي طموحات شباب إنتهت في آخر المغامرة، عند هؤلاء المبحوثين بالسقوط في شباك التيار السلفي.,هي فئة شبانية تقتسم تلك الهوية المشتركة بين أعضائها،فمن خلال الأسئلة التي تناولناها مع هؤلاء المبحوثين،وجدنا إجابات كثيرة متشابهة جدا بينهم،وذلك بالرغم من إنفرادنا مع كل مبحوث لوحده أثناء إجرائنا للمقابلات معهم في أغلبها، وهنا نريد أن نوضح تلك الصورة التي تدل على التطابق اللافت للإنتباه،وذلك في شكل الهوية المشتركة بين هؤلاء الفاعلين في جميع أجزائها,.إن هذا التشابه مرده إلى التكوين والتلقي الذي يكون مشتركا بين الفئة السلفية ،حيث تكون الحلقة في المسجد وهي عبارة عن تجمع داخل الفضاء المسجدي،وذلك لتلقي الدروس الدينية على يد شيخ سلفي،أين تلعب هذه الأخيرة دورا مهما،وذلك في تكوينهم وحملهم في معتقداتهم وذواتهم أفكارا تجمعهم على شاكلة واحدة،إن الحس المشترك الذي طرحة السوسيولوجي إيميل دوركايم،لا يمكنه أن يكون بعيدا عن الحالة السلفية،فأينما توجهت نحوى أي جزء من أجزاء العناصر المدروسة،إلا وستلمس تلك السمات التي ستتكرر عند كل عنصر من عناصر الجماعة السلفية نفسها.,يقول الشاب**(المبحوث رقم01)**"نحن نذكر بعضنا البعض يوميا بالمنهج "،أين يكون تبادل المعلومات بينهم والتي تخص التيار السلفي، أمرا لا يمكنهم التقاعس عنه،فلن نندهش من هذه الصورة المتطابقة في الأخير،فأثناء إجرائنا للمقابلات معهم،إستنبطنا من خلال ذلك الخطاب الصادر من أفواههم،على أنه يتمظهر في شكل منظم و دقيق، أين لا يمكن

الإنزلاق في الكلام أو الخروج عن المذهب،هي كلمات تم إختيارها بكل دقة،أين تكون المرجعية المعاصرة من خلال أولئك الشيوخ على شاكلة فركوس، حاضرة في محتوى الخطاب السلفي في الحي المدروس،أين يتم الإعتماد على الشيوخ و دروسهم الدينية وفتاويهم، في نسج تلك الكلمات و الأفكار،و التي يشترك فيها هؤلاء الفاعلين اللارسميين،يقول الشاب**(المبحوث رقم05)**"نحن السلفيين لماذا تجدنا متحدين في الأفكار كما ترى،لأننا يوميا نعيش مع بعضنا البعض،في المسجد،في السوق،في الزيارات للشيوخ خاصة عندما نذهب لزيارة الشيخ فركوس،فإننا نذهب جماعة واحدة،حتى في الزواج تجدنا نأخذ من بعضنا البعض"،حيث تعبر هذه الكلمات الملتقطة من فاه هذا السلفي،على أن هؤلاء السلفيين عازمون على المضي نحوى الهدف المراد تحقيقه في الأخير،فالحياة اليومية التي تجمع هؤلاء السلفيين في كل دقيقة وثانية،هي تعبير في الحفاظ على تلك الخصوصيات الثقافية، والمتمثلة في حياتهم الدينية، والتي تسبح في تيار مشترك بين أفرادها، أين يحاول إلتقاط هويات أخرى،فيعمل على ترويضها فكريا وماديا لصالحه،وذلك من خلال التيار السلفي: شكلا (اللباس)ومضمونا(العقيدة).

4-إختيار الزوجة والكتب الدينية،يندرجان ضمن مشروع الهوية السلفية:

إذا كان الزواج هو أن يعيش الرجل مع المرأة تحت سقف مشترك لعقود عديدة،وذلك لـتأسيس أسرة تعيش ضمن ضوابط تربوية، أين يخضع فيها الأبناء لتعاليم الآباء،فالسلفيين في الميدان المدروس, لم يغفلوا عن هذا الجانب المهم في تكوين المجتمع السلفي الذي يريدونه,.إن مسألة الزواج كما ترصدناها من أفواه عناصر مجتمع البحث ،تعتبر مهمة جدا عندهم،بل هي نقطة جوهرية لا تختلف عن نقاط أخرى في الإلتزام بالمنهج،أين يقول الشاب**(المبحوث رقم01)"**بعد الخطأ الذي وقع فيه أحد الإخوة،وذلك عندما تزوج فتاة دون إختيار حيث لم تكن سلفية،فقام بتطليقها وتزوج أخت سلفية"،أي هناك عملية إختيار الفتاة التي يجب أن يكون شرط الإلتزام بالمنهج السلفي عندها،من أهم الشروط التي يفرضها هؤلاء الشباب أثناء الزواج،فلا يمكن للملتزم منهم أن يعيش إلا مع ملتزمة مثله, تحت سقف واحد،وذلك إمتثالا **للنبي صلى الله عليه وسلم**،والذي كان زواجه مدبرا من **الله سبحانه وتعالى**،وهو ما جاءه عن طريق الوحي الذي كان يأتيه عبر سيدنا: **الملك جبريل**

عليه السلام،وهذا ما إستفهمناه من خطاب هؤلاء السلفيين،وهنا تعتبر مسألة الزواج مهمة جدا، مادام أن **النبي صلى الله عليه وسلم** تزوج نسوته بوحي من ربه،.حيث يقول الشاب**(المبحوث رقم06)**"الزواج مع أخت من صديق سلفي، هوالإختيار الأصلح لكي تبنى أسرة سنية غير مبتدعة،ويكون الأولاد على سيرة الآباء"،ومعنى كلمة الأخت هي :فتاة سلفية ملتزمة بالمنهج،وذلك في الخطاب السلفي المتداول بينهم،لأن هذا الإختيار حسبهم قد يسهل على الشاب الملتزم عملية فرض شروطه أثناء علاقة التعايش معها،حيث يكون خروج المرأة من الفضاء الخاص نحوى الفضاء العام ،منضويا تحت شروط يفرضها المعتقد السلفي الواقعي في الحي،والذي يتصورونه على أنه موافق للحياة الأسرية **للنبي صلى الله عليه وسلم**،وذلك في علاقته مع زوجاته كما جاء في خطابهم,.فإذا كانت هذه الزوجة ملتزمة قبل الزواج بالمنهج السلفي،فهذا يعتبر نصف العمل الذي يعتبره السلفيين بأنه قد تم الإنتهاء منه،حيث لن يجدوا أي صعوبة أثناء الحياة الزوجية, في تنفيذ زوجاتهن لشروطهن,.إنه منطق واقعي لأولئك السلفيين في المجتمع المدروس،إنه المجتمع السلفي الذي يحاول تأسيس مجتمع خاص به،أين يكون كل عضو جديد سقط في شباكه،يعتبر بمثابة فاعل جديد في التنظيم العقائدي لهؤلاء الفاعلين اللارسميين,.إن خروج الزوجة السلفية يكون في غالب الأحيان مع زوجها،أما في حالة خروجها لوحدها إلى السوق كما لاحظنا ذلك في الحي المدروس،فإنها تقتني مستلزماتها من تاجر يكون سلفيا بالدرجة الأولى،وهذا بوصية من زوجها,.وهنا تتمظهر تلك العقيدة الدينية المكتسبة في ذهنياتهم، بأنها تحاول أن تتجلى بوضوح على مسرح الحياة الإجتماعية اليومية،.أين يكون تبادل العقيدة الدينية في المسجد مع السلفيين، وفي المنزل مع الزوجة والأبناء،متبوعا بحياة إجتماعية تتوافق مع المرجعية العقدية لهم،وهو محاولة التوفيق بين العبادات لله،والممارسات الإجتماعية مع أفراد المجتمع خارج الدين،فلابد لهم من إستعمال العقلانية في التفاوض مع الواقع الإجتماعي،وأي مساس بتنظيمهم الداخلي،هو مساس بالمنهج ككل،فهي حياة دينية إجتماعية يعملون على تنظيمها بذلك الشكل الغريب،والذي يختلف عن تدين المجتمع المحلي،التدين الذي يتضمن تلك الأجزاء الثلاثة التي ذكرها **الإمام عبد الواحد إبن عاشر** في متنه،والتي تتجلى في:**عقد الإمام الأشعري، و فقه الإمام مالك بن**

أنس،وطريقة التصوف للإمام الجنيد السالك،وهذه الثلاثية هي التي تمثل ذلك التدين على المستويين: **الرسمي(السلطة)و الغير رسمي(المجتمع)**،والذي يمثل تاريخيا نوعية التدين الغالب على المنطقة المغاربية عامة،والجزائر خاصة،فحتى الخطاب الديني على المستوى الرسمي يشيد بهذا الأخير،وهنا ستكون الهوية السلفية الحنبلية الدخيلة، في مواجهة الهوية الصوفية الأشعرية المالكية الأصيلة،وذلك يتجلى بوضوح في الدراسة التي نحن بصدد التوغل في محتواها الميداني،أين كان هناك نقاش بين مبحوث سلفي وشيخ صوفي،فرد كل واحد منهما بنوعية التدين السالف ذكره,وذلك في قضية الزواج وتكوين الأسرة من وجهة نظر دينية شرعية إسلامية.إن إختيار الزوجة في نظرهؤلاء المدروسين،هو بمثابة ممر عبور للدين السلفي من الآباء إلى الأبناء،وهو ثلاثية مهمة في نقل هذا التوجه الديني المتمثل في:**الشاب السلفي +الزوجة السلفية = مشروع أطفال سلفيين هم في بزوغ**،فالأسرة هي النواة الأولى في بناء المجتمع،والمرأة تعتبر بمثابة الفاعل الأكثر أهمية في السيطرة على الفضاء الداخلي،وذلك من خلال تربية الأبناء والتأثير على تنشأتهم، كون أن الرجل يقضي أكثر وقته في الفضاء الخارجي للمنزل،.فإذا كان المشروع العام للمنهج السلفي يتأسس على مسألة تربية المجتمع وتنقيته من التدينات الخاطئة،فإن الزوجة تعتبر فاعلا مهما في التربية التي يرتكز عليها هذا المشروع السلفي التاريخي,.إن المرأة ستكون هي الأخرى فاعلا مهما في نشر التيار السلفي،فإذا كان الرجل يقوم بهذه المهمة على مستوى الفضاء الخارجي،وذلك من خلال تقديم تلك النصائح الدينية لأولئك الغير ممارسين للدين،فإن المرأة هي التي ستنتج نواة المجتمع السلفي،وذلك منذ لحظة خروج الطفل من رحمها،إلى غاية بلوغه مرحلة الشباب,.إن هذه الثقافة التي تورثها الأسرة السلفية في الميدان المدروس لأبنائها،هي موجودة بشكل آخر عند شعوب القبائل الإفريقية،أين يعملون تلك الطقوس التي تسمى طقوس العبور لأبنائهم،والذين ينتقلون عبرها من مرحلة إلى أخرى،فالسلفيين هم مجبرين على إتخاذ مثل هذه الوضعيات مع أبنائهم بطريقتهم الخاصة،والتي تختلف عن أولئك البدائيين في إفريقيا.

تعتبر الكتب الدينية التي يتم إختيارها من طرف الشباب السلفي في الحي المدروس،بمثابة العامل المهم في الإلتزام بالمنهج السلفي،حيث هذه العملية تخضع لتأطير

أولئك الشيوخ الذين يوجهونهم إلى العناوين التي يجب عليهم إقتنائها.,إن التفكير الذي تحاول أي جماعة أن تجعله من بين عقائدها ،هو من أهم الأشياء التي قد تميزها عن جماعة أخرى على المستوى الفكري.، فالسلفيون يسيرون ضمن هذا النسق،و الذي يريدون بواسطته التميز عن باقي الفرق الدينية الأخرى،خاصة أولئك الصوفيين في حي كوشة الجير,.ففي إختيار نوعية المقروئية الدينية عندهم،لاحظنا من خلال خطابهم وكذا داخل المصلى ملاحظة مهمة جدا،وهي مسألة الحث على إختيار الكتب الدينية للشاب السلفي المبتدئ،أين يتم تلقينه المبادئ الأولية لتيارهم،والمتمظهرة في عملية التدقيق والإرشاد في إختيار الكتب التي تكون نابعة من التيار: الحنبلي، التيمي ،الوهابي,.ويكون التحذير والإلحاح الذي يتم توجيهه لهذا الأخير،هو أن يتم تحذيره من قراءة كتب دينية أو فلسفية،والتي تكون مضامينها بعيدة عن الكتب التي تحمل متونها النموذج الحقيقي للمذهب السلفي,.هي كلمات تنبيهية تم إلتقاطهاداخل المصلى،وذلك من خلال الحوار الذي جمع بين شيخ سلفي وشاب مبتدئ في المذهب, أين قال له"لا تقرأ كل الكتب سواء دينية كانت أو غيرها،عليك الإلتزام بالكتب الشرعية لعلماء أهل السنة والجماعة،إن الكتب التي تعتبر خارج المذهب السني،هي كتب فتنة،تفتنك في دينك،خاصةكتب الروافض الشيعة والصوفيين،عليك قراءة كتب إبن تيمية،مسند ألإمام أحمد،كتاب التوحيد لمحمد إبن عبدالوهاب،كتب الشيخ فركوس".،إن هذا الخطاب الذي يتم بواسطته توجيه المريد الجديد في التيار،هو تعبير على ذلك النظام اللارسمي لهؤلاء السلفيين الشيوخ،أين يكون كل جزء من أجزاء هذا البناء،له دور معين في إستكمال المشروع الكلي للمجتمع السلفي الموعود,.هو تعبير أنثروبولوجي على حماية الخصوصية الدينية للسلفيين أنفسهم،وذلك يتمظهر في التخوف من قراءة الكتب التي تحمل أفكارا دينية تختلف عن أفكارهم،والتي ستؤثر على أولئك الأعضاء الجدد،والذين تم إصطيادهم بشكل صعب ،أين تم تحويلهم من الضلال إلى الهداية حسب هؤلاءالشيوخ السلفيين،وبالتالي هم مجبرين على حماية هؤلاء الشباب،وذلك مخافة ضياعهم منهم مرة أخرى،إنها الطقوس السلفية التي يجب أن تمتثل لقانون خاص،فأي شيء غريب يتطفل على هذه الأعراف،يتم مواجهته بشكل مباشر،وهذا ما يتجلى في ردة فعل أولئك السلفيين عندما يتم القيام بأي ممارسة داخل المسجد،أين يتم

تدخل هؤلاء السلفيين بشكل عنيف،وذلك بحجة أن القانون الداخلي للتيار السني،لا يقبل مثل هذه الأشياء،معتبرين ممارسات أولئك الصوفيين في الفضاء المسجدي،بمثابة الأفعال الضالة،والتي لا يوجد لها مكان داخل منهج أهل السنة والجماعة،سواءالمتقدمين منهم،المتأخرين،أوالمعاصرين.

يقول الشاب **(المبحوث رقم20)**"لايمكن أخذ الدين الصحيح إلا من كتب و أفواه علماء أهل السنة والجماعة،وكل من كان سببا في نشر هذا الدين،كان بسببهم،أما الفرق الأخرى هي التي ضلت عن الطريق،وأضلت الناس عن الطريق"،إن هذا التيار الذي مرده من ناحية نشأته الأولى إلى بلاد الحجاز،هو يثبت مرة أخرى من خلال خطاب هؤلاء السلفيين،على أن التدين الحقيقي يصدر من بلاد الحرمين,.إن الفهم والتدين الصحيح للإسلام لا يمكن أن يصدر إلا من المركز،و الذي ينهلون منه الأصول الأولى للعقيدة السلفية,.فأينما وجهت سؤالك في الحي المدروس ناحية أي شاب سلفي،وذلك حول العلماء الذين يعتقدون فيهم بأنهم يحملون مفاتيح النجاة من العذاب،فسيكون الرد المباشر بذكرهم لمجموعة من العلماء،و الذين يمثلون المرجعية السلفية المعاصرة،أين سيكون شيوخ السعودية في صدارة الأسماء الذين سيتم ذكرهم، وذلك على شاكلة :الشيخ الألباني،الشيخ العثيمين،والشيخ إبن باز ،ثم تأتي أسماء محلية أخرى في الدرجة الثانية على شاكلة:الشيخ فركوس وغيره في الجزائر،والذي أصبح يمثل بالنسبة لهم المرجعية السلفية المحلية في الجزائر,.إن الشرعية التاريخية التي يتمسك بها الشيوخ السعوديين،تتمثل في كون أن الإسلام مركزه الحقيقي هو مكة والمدينة،فهم بهذه الحجة التاريخية يتمسكون بتلك الرمزية المقدسة،والتي يعتبرونها ميراثا هم أحق به،أين لا يمكن لغير بلاد منبت الإسلام،أن تحمل مشعل التدين الصحيح،حيث يروجون لحديث نبوي شريف، مفاده أن خلافة المسلمين لا يمكن أن تكون إلا في قريش,.إن الخطاب السلفي الذي يبث من أزقة الحي المدروس،يحمل دلالات أنثروبولوجية مهمة،حيث ستكون رمزية التمسك بالإرث السلفي، و التبعية المفرطة لشيوخ السعودية ،تمثل بالنسبة لهم ذلك التدين الشرعي الموروث،والمتداول عبر سلاسل متواصلة من العلماء ،أين يكون علماء الحجاز يملكون تلك الأفضلية في التدين الموروث ،وذلك بحجة قربهم من المركز الذي صدرت منه رسالة

الإسلام،يقول الشاب **(المبحوث رقم6)"** السعودية بلاد التوحيد الصحيح،الكثير من السلفيين يهاجرون لإستكمال دراستهم الجامعية في السعودية،تخصص العلوم الإسلامية،وجاءوا ملتزمين،الحمد لله"،إن هذا الخطاب يعبر عن مركزية دينية جغرافية، تعمل على تلقين هوامشها التدين الحقيقي،إن هذا الخطاب يذكرنا في مضامين كلماته بالمدارس الأنثروبولوجية الكلاسيكية،حيث نجد الخط الذي رسمته النظرية التطورية،وذلك في رسم مراحل تطور المجتمعات الإنسانية،والتي تسير وفقا للخط الذي تعلوه الحضارة الأوربية،وتدنوه المجتمعات الأخرى،بينما الرؤية الإنتشارية تختلف عنها في الطريقة وتشترك معها في التطور،حيث أنه[65]"على العكس من ذلك،فسر أنصار الإنتشار هذه السمات المشتركة ،على أنها نتيجة لعمليات الإنتشار من عدد محدود من المراكز الثقافية"،سمات تطور المجتمعات التي عرفت نوعا من الحضارة المعاصرة،حيث هناك مراكز تاريخية هي التي كان لها الفضل في بث الحضارة إلى المجتمعات الغربية والبدائية,.إن المنطق الإنتشاري و إن إختلف في مضامينه العقائدية عن السلفيين،إلا أننا إستنبطنا طريقته داخل الميدان المدروس عند هؤلاء السلفيين،فالثقافة الدينية الصحيحة من منظورهم تبث من المركز السعودي, أين يمثل هذا البلد مركز إنتشار للتدين الذي يتبعه السلفيين خارجه, بما فيهم سلفيي مجتمع البحث،ولا يمكن لأي مركز أن يسرق هذا الإرث التاريخي،وهناك مراكز ضالة عن التدين الصحيح،حيث يعتبرون العوالم الإسلامية الأخرى، على شاكلة العالم الإسلامي الإيراني،بمثابة المراكز الخاطئة و المضللة،والتي من منظورهم وجب عليها أن تتبع المرجعية المركزية في الحجاز,وهذا المنطق لا يختلف عن منطق التطوريين وغيرهم من الذين ينفون الأخر من أجل إثبات أحقيتهم في تسيير التاريخ وأن لهم الشرعية في ذلك,.وهنا سنفتح قوسا حول الأحداث الأخيرة التي تشهدها فلسطين،في صورة تلك المجازر الشنيعة التي يرتكبها الكيان الصهيوني،وذلك في حق أصحاب الأرض الكنعانيين المسلمين،أين عم ذلك السكوت الغير مفهوم من طرف لجنة

[65]-Marie-Olide Géraud,Olivier leservoisier,Richard pottier avec la collaboration de Gérald Gaillard,les notions clés de l’ethnologie,analyes et textes,edition armond colin/masson,paris,1998.p123.

الإفتاء بالسعودية, كونها مركز السلفيين،ما جعل هذا السكوت ينعكس على باقي الأطراف الموجودة في دول أخرى،أين يكون السلفيين (مجتمع البحث)، خاضعين لسلطة ذلك المركز المهيمن على توجههم الديني,.أين يصدرون تلك الحجج للتهرب من القضية الفلسطينية(علماء السلفية)،مفادها أن حماس هم خوارج و إخوان مسلمين،وليسوا على منهج أهل السنة و الجماعة,بالرغم من أن بعض المبحوثين الذين تواصلنا معهم في هذا الصدد هم مع القضية الفلسطينية لكن ليس من منظور وعقلية وفتوى حركة حماس بل ينتظرون فتاوى شيوخ السلفية العلمية في القرار النهائي حول مستقبل هذا الصراع التاريخي حول منطقة بيت المقدس و أطرافها.

5-الحي اللارسمي فضاء مساعد على نشر تيارهم الديني:

يقول **(المبحوث رقم 01)**"كوشة الجير حي فوضوي، بصح مكانش ديرونجموا،الحمد لله نحن لسنا هنا لنشر الفتنة،لكن الحي نجد فيه حرية في التنقل وفتح نقاشات مع المخالفين،عكس المدينة فيها بعض الإحراجات"،فنظرا للحرية الموجودة بين أزقة هذا الحي ،يعمل هؤلاء الفاعلين اللارسميين في إتخاذ الأزقة والمصلى كفضاءات لتوعية الشباب الغير ممارس للدين ولا لمذهب أهل السنة والجماعة،عكس المدينة والتي في نظرهم فيها الإختلاط، ولا يجدون ذلك الفضاء الأكثر راحة فيها،وذلك من أجل النشاط اللارسمي للتوعية الدينية،فهم يبحثون دائما عن الحرية و الإطمئنان للعمل في صمت ودون توقف،أين يجدون الحي المدروس بكل ما يملكه من تضاريس معقدة على أنه فضاء مهم جدا في نشرهم للتغيير الذي يطمحون إليه،فدائما ما كان المنطق الذي تتصارع حوله مراكز المدن وهوامشها الحضرية هو التبادل الثقافي والتغيير،فإذا كان التغيير في بعض الأحيان يأتي من الهامش الحضري،وذلك كما يرى الأستاذ عبد القادر لقجع ومن على شاكلته،فإن هؤلاء السلفيين يسيرون ضمن هذا المنطق،و الذي يريد أن يأتي من هامش المدينة ليباغث الهويات الأخرى،وذلك ليوطن هويته الدينية على المدى البعيد في الهوامش أولا، وفي مركز المدينة ثانيا،فالهامش بهذه الصورة،يعتبربالنسبة لهؤلاء السلفيين نافذة مفتوحة،وذلك نحوى الولوج عبر فتحتها بممارسة حريتهم الدينية والدعوية،فهم يحسون بنوع من التهميش الممارس عليهم، أين يرون بأن تيارهم الديني وثقافتهم اللإسلامية غير

مرغوب فيها،وذلك من طرف الكثير من الثقافات والهويات التي تسبح على مسرح الفضاء الحضري الوهراني،حيث يقول السلفي **(المبحوث رقم 08)**"عندما أمشي في مركز المدينة،في بعض الأحيان كل الناس أجدهم ينظرون إلي،ويراقبونني،وكأنني مخلوق غريب لا أعلم ماذا يفكرون،أحس بأن لحيتي وقميصي هم السبب في هذه النظرات من الناس،وأقول لك مرة تجادلت مع واحد،فقال لي مكانك في المسجد وليس هنا".أين يجد هذا الشاب من خلال ملاحظاته في مركز المدينة،وذلك من خلال ردة فعل بعض الناس إتجاهه، والتي تصل في بعض المرات إلى الدخول في جدال عنيف معهم،بأن السلفيين يراد تهميشهم من المركزو الزج بهم في فضاءات بعيدة عن المجتمع،وذلك لكي لا يعملون على نشر تيارهم الديني،وهذا ربما يؤشر من خلال هذه التوترات التي يعيشها الفضاء الحضري بين السلفيين وغيرهم،أن هناك تخوف من التيار السلفي من طرف المخالفين له،وهذا من منظور الخطاب الذي أصدره الشباب المدروس. إن هذا التنظيم اللارسمي والذي يتشكل في صورة هؤلاء السلفيين،هو في حقيقة مضمونه تنظيم بأتم معنى الكلمة،فهؤلاء المدروسين يركزون على أهم الفضاءات الحساسة في الحي ومن بينها المصلى والأزقة التي يتجمع فيها الشباب، أين تكون الفترة الليلية من أهم الفترات الزمنية التي يجدون فيها تلك الحرية مقارنة بالفترة النهارية،أين يكون الشباب الغير ملتزمين بالدين ولا بالعبادات ،بمثابة الصيد الذي سيعملون على إلقائه في شباكهم،أين كانت الثمار كثيرة في الفترة الأخيرة،وذلك بدخول بعض الشباب إلى التيار السلفي،فإذا كان المركز يهيمن دائما على الأطراف منذ زمن بعيد،فإن هؤلاء السلفيين سيعملون على تغيير الأوضاع لصالحهم،وذلك من خلال فتح مواجهة مباشرة مع هذا الأخير،ولا يكون هذا العمل إلا بعد السيطرة على كامل فضاءات الهوامش الحضرية المحلية.

6-صراع التوجهات الدينية، حول تملك الفضاءات المسجدية:

إن الصراع الديني داخل حي كوشة الجير بوهران،يدور بين تيارين يمثلان نوعية التدين المسيطرعلى الحي،وهو الصراع الذي يمكن أن يصطلح عليه بالصراع التقليدي بينهما ،إنه التيار السلفي المدروس، في مواجهة التيار الصوفي الطرقي،هو صراع بين شباب متمرد على تدين أسلافه،وشيوخ متمسكين بتدينهم الذي جلبوه معهم من أصولهم

الجغرافية البعيدة(غليزان-معسكر-تيارت).فمن خلال عملنا الميداني، توصلنا إلى أن هذه التوترات الحاصلة بين الطرفين،إنما مردها لأسباب تتمظهر في محاولة تملك الفضاء المسجدي من كلا الفئتين،وذلك حسب المرجعية الفقهية و العقائدية لكل منهما.تبرز هنا صورة أنثروبولوجية تتجلى في صراع الهويات و الخصوصيات الدينية على فضاء مقدس،والذي يعتبر بمثابة فضاء عام،أين لا يمكنه أن يكون حكرا على تيار ديني معين.يرد الشاب **(المبحوث رقم 05)** قائلا حول هذا الصراع"نحن لا نريد أن نقول بأن المسجد هو ملكنا الخاص،بل نحن نريد أن تكون فيه السنة النبوية حاضرة،ولا توجد بدعة داخله"،فهو خطاب يشير إلى محاولة إبعاد كل ممارسة داخل المسجد،والتي تخالف الشعائر المنصوص عليها في الكتاب والسنة النبوية،و التي يمتثلون لها من منظور مرجعيتهم التاريخية(التيار السلفي الحنبلي)،فهم مستعدون في كل لحظة على إيجاد السبل المساعدة على فرض منطقهم الخاص داخل الفضاء المقدس،فالسيطرة على الوضع الداخلي لهذا الأخير،يعتبر إنتصارا كبيرا للهوية السلفية،وذلك بغية فرض الشعائر الدينية التي يجب أن تكون داخل المسجد.يشكل هؤلاء السلفيين ذلك التنظيم المتسلسل بين أعضائه،حيث ليس الحي المدروس هو من يشهد مثل هذه الممارسات،وذلك لأن السلفيين في الهوامش الحضرية الأخرى، هم كذلك معنيين بهذا المشروع ،بل حتى أولئك السلفيين الذين ينشطون في الأحياء الرسمية وفي مركز المدينة،إن هذه التشكيلات السلفية المنتشرة في جميع الأحياء الوهرانية،هي ما تؤشر على ذلك التنظيم اللارسمي،و الذي قام بتقسيم المهام بين جميع أفراده،أين ستعمل كل جماعة داخل الحي الذي تقطن به،على تأدية نفس الأدوار التي تؤديها جماعات أخرى في أحياء مختلفة،والهدف في الأخير هو تغيير الحياة الحضرية من ثقافة تخالف تصوراتهم للحياة الدينية، إلى ثقافة حضرية تتبنى الفكر السلفي الإصلاحي,فالصرامة في تنظيم الوقت والإلتفاف حول جماعتهم الدينية,وزيارة شيوخ المذهب كل هذا يعتبر بمثابة منهج تكوين يومي يزيد في تثبيت شخصية هؤلاء الشباب بهذا التيار ويجعلهم يساهمون في نشره عن طريق الدعوى اليومية(النصيحة).

إن هذا الفضاء المقدس يجد فيه هؤلاء الشباب معالم هويتهم وآثار أسلافهم،حيث يعتبر المنبر المسجدي الذي يحاولون الدفاع عنه،بمثابة المكان الممنوع على المخالفين من

وجهة نظرهم المذهبية،وذلك بمواجهة كل من لا يتوافق تدينه مع السنة الصحيحة ،أين لا يمكنهم أن يسمحوا له بالوقوف عليه ولا للصلاة بالناس،حيث رمزية هذا المكان هي عظيمة في تصوراتهم،كونهم يجدون أن هذا الفضاء المنبري، كان يقف عليه يوما صاحب الرسالة السماوية" محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم"،يقول الشاب **(المبحوث رقم 04)** حول صراع كان مع الصوفيين حول مصلى النور:"دخلنا مع الكبار المبتدعة في نقاش حول آداب المسجد،المسجد للعبادة فقط،لا لأكل الطعام داخله،يستعملون أفرشة المسجد لإقامة الوعدات وقيطون الجنازة لأكل الطعام، وهذا غير موجود عند السلف الصالح".أين كان هذا الصراع قبل عقد من الزمن،والذي تطور إلى بعض الملاسنات كادت أن تؤدي إلى مواجهات من نوع آخر،حيث لم يتقبل السلفيين الوضع الذي يتم بواسطته تسيير الفضاء المقدس،أين إتهموا الشيوخ الصوفيين بأنهم لا يحترمون المنبر النبوي،وأن كل ما يمارسونه داخل المصلى،هي أمور بعيدة عن الدور الذي يجب أن يؤديه المسلمين داخل المسجد ،والمتمثل في الصلاة فقط، وهو كما بينه الله سبحانه وتعالى في القرءان الكريم ،وكما جاء في السنة النبوية و عند الصحابة،وهي الحجج التي تقدم بها هؤلاء السلفيين لأولئك الصوفيين،وذلك بغية تقوية حججهم للهيمنة على المصلى،.فهم يشبهون بهذه الممارسات كونهم يشكلون تلك الجماعة المشتركة في ثقافة واحدة، أولئك الأهالي الذين كانوا معرضا للملاحظات الإثنولوجية،أين يكونون في ذلك الفضاء الذي يمارسون فيه كل ما تمليه عليهم خصوصياتهم وطقوسهم العقائدية،فهو حيز ثقافي بكلا جانبيه ،[66]"إنه الحيز الذي يشترك فيه الإثنولوجي والذين يكونون موضوع دراسته:هو تحديدا الحيز الذي يعيش فيه أولئك الأهالي، حيث يمارسون فيه كل أعمالهم ويدافعون عنه"،فهم قد وجدوا أرواحهم وثقافتهم التي قد ورثوها عن أسلافهم تسبح كل يوم داخل هذا الفضاء المعاش،الثقافة التي لن يستطيع أي أحد أن يقتلعها من كياناتهم،فهؤلاء السلفيين لن يكونوا أبعد من هؤلاء الأهالي في تلك الممارسات اليومية في الحي وداخل المسجد،فهم يدافعون عن المسجد الذي يعتقدون بأنهم الورثة الشرعيين له،وذلك لكونهم بأن التدين الصحيح والثقافة الدينية التي كانت عند السابقين في صدر الإسلام،إنما هم الذين إمتلكوها بطريقة

[66]-:Marc Augé,non-lieu introduction à une anthropologie de la surmodernité,editions du seuil,1992.p57.

شرعية عن ما يسمى :سلفهم الصالح،وهم الذين يحق لهم مثل أولئك البدائيين الدفاع عن هذا الدين،أما باقي التوجهات الدينية، فهي في معتقداتهم بأنها لم تحترم قوانين ونظام التدين الذي تركه الأسلاف القدامى.يقول الشاب **(المبحوث رقم 07)** وهو سلفي"المسجد مكان السنة أي الصلاة والدعاء،وهذا ما نتمنى أن يكون عليه تسيير المسجد،لأن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا يصلون فيه ويدعون الله ولا شيء آخر"،فهذا الكلام الصادر عن هذا السلفي، إنما هو ذلك الخطاب الأنثروبولوجي الذي يدل على أن الفضاء المادي، يجب أن يكون متوافقا مع الممارسات الثقافية التي كانت لازمة له ،مثل خشبة المسرح التي تمنح كل فرد من أفرادها دورا لا يمكن لغيره القيام به،فهو خطاب يريد أن يوصل للآخرين من مخالفيه،بأن المسجد الذي كان التدين الصحيح يمارس داخله في زمن الإسلام الأول،فنحن كسلفيين نريد أن نبرز معالم التدين الصحيح داخل المصلى الراهن،أين يكون هناك توافق بين التدين الأصيل والتدين الموروث،والصراع مع الصوفيين في المسجد هو دفاع عن ثقافة دينية، يعتقدون بأنها تمثل الثقافة الدينية الصحيحة.لقد إستوقفتنا تلك الملاحظة داخل المسجد،أين قام أحد الشباب السلفي بحمل السبحة التي كانت معلقة في خزانة الكتب المسجدية،وهي عبارة عن خيط أبيض يحمل كريات صغيرة يتم بواسطتها عقد التسبيح لله قبل الصلاة وبعدها،حيث قام بإخفائها من المكان التي كانت فيه،بدليل أن هؤلاء السلفيين يعتبرون بأن التسبيح بالسبحة هو بدعة ما جاء بها القرءان ولا السنة،وأما التسبيح الحقيقي يكون باليد كما جاء في الأثر وعند العلماء حسب زعمهم.وفي المشهد المقابل،فلكي يبرز هؤلاء السلفيين شواهد تدل على أنهم سيطروا على الفضاء المقدس بشكل كبير،فإن ذلك يتجلى في بعض الرمزيات الهوياتية لهم،فعلى سبيل المثال:تجد العباءةأو القمصان السلفية وسراويل نصف الساق معلقة على جدران المسجد،إلى جانب تلك الكتب الدينية للعلماء الحنابلة أمثال: إبن تيمية وغيره تملأ خزانة الكتب الداخلية للمسجد،وكذا المطويات و التقية.كل هذه الشواهد من طرفهم تدل أنثروبولوجيا على محاولة إيصال أصواتهم إلى الذين يصلون داخل المصلى،بأن السلفيين لم ولن يتوقفوا عن مشروعهم الذي جاءوا من أجله،وهو تنظيف الفضاء المقدس من كل

بدعة تخالف الأصول الأولى للتدين الصحيح،ولو كان ذلك بالتمرد والعصيان لتدين آبائهم وأجدادهم الصوفيين،وهذا كما جاء على لسان الجماعة المدروسة في الحي.

7-إستقطاب الشباب نحوى التيار السلفي"حالة الشاب المبحوث رقم09":

يعتبر إستقطاب الشباب نحوى إعتناق التدين السلفي في الحي، أحد أهم الأهداف التي تحاول السلفية أن تقوي به جماعتها،وذلك من حيث جلب المزيد من السلفيين الجدد بهدف الإنتشار والسيطرة على كامل أزقته،أين على سبيل المثال: تجد السلفيين في حي كوشة الجير يتقربون من أولئك الشباب الذين يتعاطون ويتاجرون بالمخذرات بكل أنواعها،وعندما تحاول مساءلة هؤلاء السلفيين عن مثل هذه الممارسات، فإن حجتهم تكمن في فكرتين تتبلوران في جملة واحدة مفادها:هؤلاء الذين يبيعون المخذرات هم في عصيان وغفلة عن الدين، ونحن نتقرب منهم بحجة أن نساهم في هدايتهم مع مرور الزمن،غير أن هؤلاء الغير ممارسين للدين هم شباب يؤمنون بالله ورسوله،ولم نلاحظ عليهم أي ممارسات تدل على الشرك بالله، والذي يعتبر من أعظم ما يخرج المسلم من دينه،وهنا تلميح واضح من السلفيين، أن هؤلاء الشباب بالرغم من أنهم في طريق غير حلال،إلا أنهم موحدون لله، وهم أفضل في العقيدة من الصوفيين حسب زعمهم،و الذين يعبدون قبور الأولياء الصالحين، وهم بهذه المعتقدات في الشرك والكفر يسبحون،فهي ردودهم في الدفاع عن أنفسهم، إلا أننا سمعنا من أطراف سلفيين و غير سلفيين ما يخالف هذه الردود كل المخالفة,أين قيل لنا بأن هناك من شوه التيار السلفي في الحي بممارسات غير مقبولة مختبئا وراء اللحية والقميص.

وبالعودة إلى مسألة جلب الشباب نحوى المذهب السلفي في الهامش الحضري المعني بالدراسة،و الذي يعتبر الفضاء الذي تغلغلنا داخل أزقته لرصد أولئك الممارسين للتدين السلفي ،أردنا أن نسلط البوصلة على أحد الشباب الذين تم إسقاطهم في شباك التيار المدروس.إنه الشاب **(المبحوث رقم 09)**، يبلغ من العمر **20 سنة** وهو طالب جامعي،من عائلة ذات أصول ريفية تنحدر من ولاية غليزان،ولها جذور تاريخية قديمة في التدين الصوفي،لكن هذا الأخير يعتبر من الشباب السلفيين الذي تمردوا على تدين آبائهم كما مر

معنا في الأسطر الماضية.إن إلتزام الشاب في مثل هذه السن بالمذهب السلفي يعتبر غنيمة حرب عقائدية بالنسبة للمشروع السلفي،حيث لو عدنا إلى علم النفس، فإن الشاب في هذه المرحلة العمرية يحب المغامرة والتعرف على كل ماهو جديد،فهو لم يشكل شخصيته الإجتماعية، بل والعقائدية بشكل واضح ودقيق،وهو في هذا السن يشبه ذلك الشخص الذي يطفوا على سطح البحر، و هو يبحث عن طريقة لرؤية ما يوجد في العمق.إن هذا الشاب لم يشكل عليهم أي صعوبة في الإقتناع،لقد كانت عملية الولوج إلى الجماعة السلفية في بضعة أشهر لا أكثر،.فهو لم يكن يملك تيارا واضحا كونه في بداية مرحلة الشباب،أين كان يبحث عن تشكيل تدينه الذي قال عنه في جملة أثناء المقابلة:" أنا منذ فترة بدأت أبحث عن الحقيقة".لقد خطى السلفيين خطوة مهمة في كسب هذا الملتزم الجديد،لقد كان الشاب **(المبحوث رقم 09)** يمر بمرحلة تتمثل في بحثه عن منهجية يعرف بها العلاقة التعبدية الصحيحة للمسلم مع الله،يقول:"كنت أطرح تساؤلات في الدين ،كنت أتابع الحصص التلفزيونية الدينية،وعلى الهاتف كذلك"،لقد كان يبحث عن شيء يقتنع به،وهو بهذا يشير حسبما إستفهمناه منه بأنه لم ولن يقتنع بالتدين الصوفي الطرقي،أين يرى أن تلك التظاهرات الدينية مثل: تنظيم الوعدة هي أمور لم يقتنع بها،وكان يشك فيها منذ أن بدأ قبل فترة قصيرة في البحث عن الحقيقة حول التدين الأصح.بعد مرور أيام قليلة سيتعرف هذا الأخير على أحد الشيوخ السلفيين في نفس الحي ،أين سيعرض عليه فكرة تعليمه القرءان الكريم في بيته،وبعد أيام سيكون هناك عملية قيامه بالصلاة في نفس المصلى الذي يؤم فيه هذا الأخير المصلين،سيتعرف على الجماعة السلفية عن قرب،وذلك أثناء وبعد الإنتهاء من الصلوات الخمس،أين ستبدأ عملية تمرير الإيديولوجية السلفية لهذا الشاب الصغير..فمن عملية عرض تعليم القرءان عليه، نحوى عملية فتح نقاش حول المذاهب الدينية، والتي تخللتها تلك الكتب السلفية الحنبلية ،والتي تم منحها له من أجل التعرف على هويته الجديدة، أين ستكون هذه الأخيرة بمثابة الحقيقة التي كان يبحث عنها.إن كتاب التوحيد للشيخ محمد إبن عبد الوهاب النجدي، سيكون من أبرز العناوين التي ستتصدر اللائحة،وهذا يتماشى مع المرجعية السلفية التاريخية،والتي تعتبر تلقين التوحيد الصحيح لأفراد المجتمع، بمثابة المنطلق الأساسي في إصلاح عقيدته و تشكيل مجتمع موحد لله.لقد

تغيرت هوية هذا الشاب بعد متابعتنا الميدانية له،أين أصبحت الهوية السلفية من خلال الشكل ظاهرة عليه،فلقد بدأت لحيته تنموا والقميص السلفي يغطي جسده مع سروال قصير يدعى: نصف الساق،هوية دينية سلفية من ناحية الشكل، سيتبعها ذلك الخطاب الذي يظهر لنا من خلال كلماته ومضامين أفكاره، بأن المرجعية السلفية المحلية في الحي المدروس، قد إستطاعت أن تحقق بنجاح عملية نقل التدين السلفي إلى شخصية هذا الشاب: شكلا ومضمونا وممارسة،أين أصبح ينتقد الممارسات التي تعيشها الأحياء الهامشية و مركز المدينة،حيث يعبر بكل أسف عن ممارسات كان يقوم بها قبل إعتناقه لهويته الجديدة،أين عبر لنا على ذلك في قوله"الأشياء تاع الشكيل كلها قمت بالتوقف عنها،مانيش ندير الجال في الشعر، التوقف عن سماع الغناء، ترك الجلوس مع أصدقاء اللهو،ترك الإختلاط مع الفتيات المتبرجات في الجامعة التي أدرس فيها:جامعة جياموا،.....إلخ"،لقد أصبح هذا الأخير ينتقد الحياة الحضرية الواقعية، أين يرى بأن هناك الكثير من الممارسات لا تتوافق مع عقيدة المسلم وأخلاقه،ولهذا وجب عليهم محاربتها بالتوعية الدينية.،هويات تطفوا على سطح المجال الحضري الوهراني، ستكون منذ هذه اللحظة التاريخية بمثابة العدو المباشر لإنتقادات ممارس جديد،أين ستكون في مواجهة حماسة وطموح شاب في ريعان شبابه، مقترنا بتيار ديني قد تغلغل في عقيدته.فإذا كان هذا الشاب السلفي هو طالب جامعي، فهذا يعتبر مكسبا كبيرا للجماعة السلفية في حي كوشة الجير،لقد تحصلوا على عضو مثقف تربطه علاقة يومية بالفضاء الجامعي،وهذا ما سينجر عنه عملية نشر هذا التيار،وذلك بين أصدقائه في المدرجات الجامعية،إن هذه الممارسات المتجددة عند الحركات الدينية السلفية، تثبت مرة أخرى بأنها تحت تنظيم يظهر للعيان بأنه لارسمي من خلال الواجهة، لكنه منظم في النشاط و العمل والأدوار المقتسمة بين أعضائه،فإذا كانت الحركة السلفية في الجزائر نهاية القرن الماضي،قد توغلت داخل الحرم الجامعي محاولة السيطرة عليه عقائديا،خاصة من طرف السلفية الإخوانية أمثال :حزب حركة حمس، و حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ،فهذا ما سيؤثر على السلفيين التقليديين والذين أصبحوا ينعتون بالعلميين قبل عقود قليلة، وذلك بأنهم قد فهموا جيدا دروس الماضي وتجارب الآخرين،وهو أن الفضاء الجامعي يعتبر أهم مكان يمكن من خلاله نشر الفكر السلفي،أين

إستطاعت الحركات السلفية السالفة الذكر، تحقيق نجاحات ملموسة من خلال النشاط التوعوي داخل الفضاء الجامعي،وذلك في العقدين الأخيرين من القرن الماضي،أين لاحظنا بأن السلفيين الجامعيين في الحي المدروس على شاكلة هذا الشاب،بدأوا ينشطون ضمن هذ التيار من الحي إلى الجامعة،وذلك من خلال توعية أصدقائهم الطلبة،ومن بينهم: **(م،س،ك،ن،)** وغيرهم من الممارسين الجامعيين الجدد لتيار: السلفية التقليدية العلمية،فمن هامش المدينة إلى مركزها،ستكون هناك علاقة يومية لهؤلاء السلفيين الشباب،وذلك في إعادة تشكيل هويتهم الدينية الحضرية،أين سيكون الدين هو الذي يفرض عليهم الممارسات المقبولة والمرفوضة،والتي تتماشى مع تعاليم فقهاء و شيوخ هذا التيار.لنستنتج في الأخير بأن واقع هذا التيار الدخيل على المجتمع المحلي،قد أفرز لنا ثنائية ذلك الصراع الديني،والذي تمظهر لنا جليا في صراع ديني بين:**" الأب الصوفي و الإبن السلفي"**،وذلك داخل الهوامش الحضرية الوهرانية ،والذي تحصلنا عليه من خلال المعاينة الميدانية، و المقابلات التي أجريناها مع السلفيين في حي كوشة الجير.

8-الدور الذي يؤديه السلفي في الحي كالممثل على حلبة المسرح:

إن الحياة الإجتماعية للأفراد داخل الفضاء الحضري، تتميز بتلك الفئات الإجتماعية التي تمتلك كل منها ثقافة ،أين تعمل كل واحدة منها على إظهار خصوصياتها التي تريد أن تتميز بها عن الآخرين من جهة،ومن جهة أخرى تريد أن توصل صوتها إلى الآخرين، على أنها تمتلك الحق في إبراز وجودها داخل الفضاء العام،أو ما يصطلح عليه بالحق في المجال الحضري،.فقد يكون إستعمال الحيل من بين أهم الأدوار و الخطط الإستراتيجية للتأثير الثقافي في نفسية الآخرين،أين يتجلى ذلك واقعيا على مسرح الحياة الحضرية.إن الشباب السلفي المدروس يعملون على صناعة ذلك الدور، والذي يشبه دور الممثل المسرحي على خشبة التمثيل إذا أردنا أن نشبه ذلك كما جاء في أعمال السوسيولوجي **إرفين قوفمان** أين سنعود له بعد ذلك في إسقاطنا لهذه الفكرة على الممارسة السلفية في الحي،هو دور يظهر جليا من خلال يوميات هؤلاء الشباب،وذلك من خلال تلك التفاعلات اليومية مع الهويات الأخرى،سواء داخل الهوامش الحضرية مع أفراد الحي ،أو في علاقتهم مع الفضاء الحضري نفسه.أردنا أن نصور يوميات شاب سلفي يقطن في الحي

المدروس،إنه الشاب**(المبحوث رقم 19)**،و الذي يقول :"كل ترتيباتي اليومية وتنظيم الوقت هو الإلتزام بالدين،وكذلك هو جهاد حيث أريد أن أجلب الشباب إلى المنهج السني بتنظيمي لحياتي الدينية،والمسلم عليه أن يلتزم بأوقات العبادة والعمل،فهي من ضروريات الدين",.إن هذا الخطاب يوحي من خلال تلك المعاني الأنثروبولوجية من ورائه،والتي يريد أن يدافع بها هذا الشاب عن ممارساته اليومية لهذه الأفعال،هو محاولة التأثير في نفسية الغير ممارسين للتدين السلفي،هو تنظيم ممنهج هدفه من خلال تلك التفاعلات المادية،و المتمثلة في حركة الجسد المتنقل بين الفضاء المنزلي و الفضاء المسجدي أمام نظرات أصحاب الحي،هو الإستحواذ الرمزي على نفسية هؤلاء الملاحظين أنفسهم،أي :ما يعني أنثروبولوجيا أن هناك تفاعلات مادية و رمزية منظمة من طرف السلفيين مع غيرهم، هدفها هو جلب الآخرين نحوى الثقافة الدينية لهؤلاء الفاعلين المتدينين,.يوميات هذا الشاب كما أسلفنا سابقا تم وصفها إثنوغرافيا،منذ الإستيقاظ من النوم إلى بروزه على خشبة مسرح الحياة الواقعية,.ككل شاب سلفي في الحي،يعتبر هذا الأخير بمثابة المثال النموذجي للجماعة السلفية في الحي المدروس،والذي تحكمه يوميات يعمل على صقلها بتلك المعتقدات الدينية،وذلك بالرجوع دائما إلى الموجه الرئيسي لحياته بشكل عام وهما الكتاب والسنة،إلى جانب التوجيهات الدعوية و الإصلاحية الصادرة من أفواه علماء السلفية المعاصرة,.هذاالشاب سلفي, يبلغ من العمر **30 سنة**،مستواه الدراسي ثانوي،إنضم إلى السلفية منذ عقد من الزمن،حفظ القرءان الكريم في إحدى المدارس الدينية في وهران،ينهض على الساعة الرابعة صباحا لقيام الليل في بعض المرات حسبما إستقيناه من خطابه أثناء المقابلة،ثم بعد ذلك سيلتحق هذا الأخير بالمصلى من أجل صلاة الفجر،أين يتمظهر جليا أن يوميات هذا الأخير تبدأ بالجانب الديني في المقام الأول،وذلك عبر القيام بصلاة الفجر في المصلى,.بعد الإنتهاء من الصلاة سيتوجه هذا الأخير إلى العمل في التجارة الحرة،في السوق سيكون هناك لقاء مع السلفيين من نفس توجهه الديني،أثناء العمل يكون عقد بعض الإتفاقات بينهم،والتي تتمحورفي بعض المرات حول تنظيمات دينية(الحلقة الدينية) سيتم حضورها عند شيخ من شيوخ السلفية العلمية،والتي ستبرمج إما في أحد مساجد وهران أو خارج المدينة(زيارة الشيخ فركوس في بعض الأحيان),.سيتم

بعد ذلك تقديم بعض الدعوات المجانية لحضور هذه الحلقة الدينية السلفية،والتي توجه للشباب الغير سلفي بهدف الإستفادة من جهة، و العمل على إستمالتهم العقائدية نحوى التيار السلفي من جهة أخرى,.أين ستتناول هذه التنظيمات الدينية مواضيع تستهدف في بعض الأحيان موضوع العقيدة التوحيدية للمسلم،وحضور الشباب الغير سلفي سيزيد من فرصة هؤلاء السلفيين في العمل على تمرير ما يجب تمريره،وذلك كونها فرصة ربما لن تتكرر إلا بعد وقت طويل,.بعد مغادرة السوق يحاول هذا الأخير الإلتحاق بالمصلى من أجل صلاة الظهر،ولقاء الجماعة السلفية مرة أخرى في الفضاء المقدس"اللقاء مع الإخوة"،وفي المصلى سيكون وضع النقاط على الحروف لما هو مخطط له من مشاريع سلفية دينية,.يقول هذاالشاب"كان يطلق علينا السلفية التقليدية والآن أصبحنا السلفية العلمية،طلب العلم و التوعية لهداية الظالين عن طريق الحق "أين ينصب نفسه بأنه قد أصبح يملك تلك الشرعية في التغيير الذي يجب أن ينطلق من الحي الذي يقطن به،كونه يراه مسؤولية هو مجبر بالتفاعل مع كل مطلب يرد ضمن تعليمات هذا التيار إنه الدور الذي يتقمصه هذا المتدين،وهذا الدور الذي يؤديه هذا العنصر النموذجي للجماعة السلفية في المجتمع المحلي،وذلك إنطلاقا من حي كوشة الجير الهامشي وصولا إلى مختلف الفضاءات الحضرية الأخرى(السوق-زيارة شيوخ سلفيين..الخ)،هو بهدف الوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة من طرف المخططات السلفية مستقبلا،فالتغيير يأتي من خلال تلك التفاصيل الصغيرة التي تتغير داخل النظام الكلي مع مرور الوقت،وهم يسيرون في نفس هذا المنطق الذي يريد أن يغير المجتمع الجزائري من :عقيدته الأشعرية،وفقهه المالكي، وطريقة تصوفه على نهج الإمام الجنيد السالك كما جاء ذلك في متن الإمام عبد الواحد إبن عاشر ،وجره نحوى المذهب الحنبلي وفهم النصوص على ظاهرها بالتفسير المادي،وذلك دون تأويل ولا تحوير للنص القرءاني ولا لصفات الله وأسمائه الحسنى كما يقولون(مذهب مالكي متجذر في المجتمع المحلي،في مواجهة مذهب حنبلي وهابي دخيل),.إن هذا الشاب يجول داخل المدينة وخارجها هدفه هو تدعيم رصيده الديني بالمزيد من المعارف ومواكبة كل التطورات الجديدة التي لها علاقة بالمنهج السلفي من هذا الجانب،بينما الجانب الآخر،هو يعمل على التنقل كثيرا بين فضاءات حي كوشة

الجير،وذلك من أجل القيام بإفراغ تلك الحمولة الثقافية الدينية،والموجهة نحوى أولئك الشباب الغير سلفيين خاصة من المتعاطين للمخذرات بأنواعها,.إن عملية نقل و تفريغ كل ما يتم إكتسابه أثناء الحلقات الدينية من طرف هذا الشاب السلفي،ليس سوى من أجل إتمام تلك المهمة التوعوية،أين صور له شيوخ الحلقات الدينية بأن الجهاد الحقيقي هو: جهاد النفس و إصلاح الأمة،قبل جهاد السيف من أمة يطغى عليها الشرك والضلال.

إن يوميات الشباب السلفي داخل الحي، هي في حقيقة الأمر تتمظهر من جانبها الديني في مراقبة الفضاء المسجدي،أين تجدهم يلاحظون كل تصرفات تصدر من طرف مخالفيهم في المنهج،وهذا ما يجعلهم يرفضون الكثير من الممارسات التي تحدث داخل المسجد وخارجه,.من الممارسات التي تغضب الشباب الغير سلفيين أو الصوفيين ،هي عدم إلقاء التحية عليهم من طرف الكثير من السلفيين،ومن النادر إلقاء السلفيين التحية على من هم خارج جماعتهم الدينية،وهذا التصرف من طرفهم، هو تعبير رمزي يفهم من خلال الخطاب الذي تحجج به هؤلاء المبحوثين،على أن السلفيين يرون بأن المخالفين لهم يتموقعون في وضعية خارج الدين الصحيح،وبالتالي وجب تأديبهم رمزيا وذلك بتجاهلهم من أجل أن يعيدوا التفكير في أنفسهم،يقول السلفي **(المبحوث رقم 1)"**عندما قام أحد الشباب بلفظ كلام سيء أمام منزلي،لم أتكلم معه،لكنني تجاهلته ولم ألقي عليه التحية،حتى جاءني في الليل يطلب الإعتذار،لقد وجد نفسه ظالما لي",.يقوم السلفيين بعدة ممارسات داخل الحي، من ورائها شفرات يراد لها أن تؤدي وظيفتها المطلوبة منها،فمساعدة شاب على الزواج، والكلمة الطيبة،وإحترام الجيران في الحي،والدفاع عن محارم الناس،كل هذه تجعل من السلفيين يظهرون كشجعان دينيين على حلبة الحياة اليومية في الحي، وذلك بغية التأثير الرمزي على سلوكيات الآخرين،وهو بهدف تعديلها لصالح تيارهم,.هي يوميات قد يكون فيها لعب أدوارمتعددة، كإستراتيجية من أجل إيصال الرسالة التي يعملون من أجلها،لقد حاول **إرفين قوفمان** في هذا المنحى أن يصور الحياة اليومية للأفراد على حلبة المسرح،أين يؤدي كل فرد دورا معينا،فمن خلال ذلك الدور الذي يؤديه كل فرد أمام المجتمع,فهو ينتظر من مراقبيه بأن يتيقنوا بأن هذه الممارسات هي فعلا شخصيته

الحقيقية[67]وهم ملزمين بتصديق تلك الحركات الجسدية والكلمات الشفوية، فهم سوف يتأثرون بهذا المشهد الذي سيعكس ردة أفعالهم،وهذا ما يبحث عنه صاحب الدور ،خاصة إذا ما تم إيصال تلك الرسالة بشكل سليم، وتم تغلغلها داخل نفسيات المشاهدين بنجاح,وهذا هو المنطق السلفي في حي كوشة الجير.إن السلفيين في الحي المدروس يشبهون الممثل على حلبة المسرح،أين يستعملون كل الوسائل من أجل التأثير في مخالفيهم من الصوفيين وكذا الغير ممارسين للدين,.يريدون إيصال رسالتهم إلى الجمهور(أفراد الحي) بأن نواياهم حسنة،وبأن كل ما يقدمونه من إنتقادات وممارسات داخل الحي، هي في الحقيقة الهدف من ورائها هو إرشادهم إلى الطريق المستقيم ،وأن تلك السلوكيات والخطابات الدينية الصادرة منهم داخل الحي،إنماهي تعبير حقيقي على تلك الهوية السلفية التي يدافعون عنها: شكلا ومضمونا,.إن صفات التصنع و التحايل و تقمص الشخصيات و ما يشبههم من صفات هي عمل مشروع في الإسلام ، إذا ما كان المعنى الأنثروبولوجي من ورائهم هو نشر الدين الإسلامي من منظور الخطاب السلفي المحلي،أين يقول الشاب**(المبحوث رقم01)** في هذا الصدد،"يجوز للإنسان شرعا أن يستعمل الكذب والحيلة من أجل أن يهدي الناس إلى الطريق المستقيم ،وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بأعمال معينة أمام الصحابة من أجل أن يثبتهم على الدين،وحتى الصحابة تحايلوا على الكفار وهذا سلاح المسلم لنشر الإسلام",.أين نستنتج في الأخير من خلال هذا الخطاب ،بأن السلفيين في الميدان االمدروس أو غيرهم من نفس الجماعة السلفية،هم مستعدين لتقمص الكثير من الأدوار داخل الحي من خلال الممارسة الإجتماعية للدين،فكل الطرق والوسائل التي تخدم مشروعهم التربوي، ستكون حاضرة في الممارسة اليومية لهم،حيث هدفهم هو أن يثبتوا للآخرين بأن التدين الصحيح موجود عندهم،وأن كل مشاكل الحياة اليومية التي يواجهونها، إنما حلحلتها موجودة عند تيار أهل السنة والجماعة، لا عند مخالفيهم من التيارات الدينية الظالة و المظللة للمجتمع,من وجهة نظر تيارهم العلمي السلفي في كيفية التدين داخل الإسلام.

9-الوسائل التكنولوجية الحديثة ودورها في تكوين هوية الشباب السلفي:

[67]- إرفنغ غوفمان،تقديم الذات في الحياة اليومية،ترجمة:ثائر ديب،الطبعة الأولى 2021،دار معنى للتوزيع والنشر.ص35

لقد أصبحت الظاهرة التكنولوجية الحديثة بكل ما أفرزته من وسائل متطورة في سرعة التواصل بين الأفراد و الجماعات تغزو جميع بلدان ومدن العالم،إن هذا الوضع الثقافي الجديد كان عليه أن يفرض نفسه على جميع الهويات الإجتماعية على إختلاف مللها ونحلها،فالسلفيين كباقي الفرق والجماعات الهوياتية المتعددة، لم ولن ينعزلوا عن الولوج في عوالم الحياة الحضارية الراهنة,.أثناء المقابلة مع أحد الشباب السلفي **(المبحوث رقم 05)**فإذا به يستدل لنا بفتوى قام بالبحث عنها في الهاتف النقال،أين إستخرجها من الموقع الرسمي للشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس،فإذا به يقول "أنا سأجيبك من فتاوي الشيخ فركوس على موقعه في قوقل"،هذا ما جعلنا نستفهم ميدانيا بأن السلفية العلمية على لسان هذا الأخير، لا ترفض الهاتف و لا التلفاز، بل يتمظهر لنا من خلال هذه الملاحظات الملموسة في الحي المدروس،أن الشباب السلفي كباقي أفراد المجتمع هو كذلك يستفيد من التطورات الحاصلة في ميدان علوم الإعلام و الإتصال,.لقد أصبح كل من التلفاز و الهاتف المحمول عبارة عن وسائل جديدة يمكنها أن تكون في خدمة هؤلاء الفاعلين في الحي،فلقد أصبحت هذه الأخيرة مساعدة على نشر وتلقي الأفكار و العقائد الدينية الصادرة عن مختلف الشيوخ السلفيين في العالم الإسلامي،هذا ما يسهل على هؤلاء الشباب عملية ملأ رصيدهم الديني ضمن هذا التيار،دون مشقة التنقل إلى الحجاز ولا إلى غيرها مثلما كان عليه الوضع عند العلماء قديما في قرون سابقة،أين صرح الشاب **(المبحوث رقم 20)** قائلا:"البخاري و مسلم و غيرهم كانوا يتنقلون من المدينة المنورة إلى البصرة بالعراق،وذلك من أجل تصحيح حديث واحد،فيقطعون كل تلك المسافة،بينما نحن اليوم لم نرى الشيخ الألباني و لاإبن باز ولا العثيمين لكننا وجدنا اليوم اليوتيوب و قوقل, إستطعنا أن نراهم ونستفيد من كل ما تركوه للأمة الإسلامية, من كتب دينية و مجالس علمية والحمد لله"،إن السلفيين ليسوا ضد الثقافة الصادرة من الغرب في أشياء كثيرة،وهنا تتجلى بوضوح بأن هؤلاء المدروسين يعملون على الإستفادة من مزايا الآخرين في خدمة مشروعهم الإصلاحي،لقد تفطن هؤلاء السلفيين بأن المواجهة المعاصرة لم ولن تبقى على شاكلة تلك المواجهات التقليدية بين الفرق الدينية،أين كان العلماء في زمن الخلافة الإسلامية, يجتمعون أمام الخليفة للمناظرة في المسائل الفقهية و

العقائدية قادمين من بلدان بعيدة،لقد أصبح الواقع الجديد يفرض على السلفيين ويجبرهم على إستعمال سلاح جديد في مواجهة المجتمع الظال في نظرهم،لقد أصبحت على سبيل المثال تلك القنوات التلفزيونية والقنوات على اليوتيوب ،والتي يمتلكها العديد من السلفيين في العالم، بمثابة الدليل الواضح الذي يفهم من خلاله, بأن هؤلاء المصلحين الجدد واكبوا ميادين صراع العقائد و الأديان الجديدة،والتي تكون بواسطتها هذه الوسائل الحديثة بمثابة الأسلحة المستعملة بين مختلف الأطراف المتصارعة،أين نلاحظ على سبيل المثال: قناة البصيرة والتي ينشط ضمنها شيوخ السلفية، في مواجهة قناة الكوثر أو قناة الدعاء والتي ينشط ضمنها شيوخ الشيعة،أين وجدنا في خطاب هؤلاء الشباب بأنهم يتتبعون هذه القنوات من أجل الإستفادة من تلك البرامج اليومية،حيث تجدهم يمدحون قنوات السنة و يذمون قنوات الشيعة و الخوارج و المتصوفة,إن الملاحظة التي يمكننا أن نبرزها في تقوية الأفكار السابقة الذكر،هي تلك المستقاة من داخل المصلى،لقد حدثت هناك تغيرات في الآونة الأخيرة داخله،لقد تم إدخال وسائل جديدة تتمثل في المبرد الهوائي من طرف هؤلاء السلفيين،لم تعد المناشير الورقية أو المطويات التي كانت قبل مدة تسيطر على الوضع،لقد أصبحت صفحات الفايسبوك والتي تحمل عنوانا يصب في مفهوم التيار السلفي, تغزو الفايسبوك إلى جانب الصفحات الأخرى،لقد تغير الوضع،حتى مواقيت الصلاة التي كانت قديما تعلق على شكل ورقة بجانب المحراب, أصبحت مكانها تلك اللوحة الإلكترونية,.كل هذه التغيرات الحاصلة عند هؤلاء السلفيين سواء داخل المسجد أو خارجه، جعلنا نطرح تساؤلا على الشاب **(المبحوث رقم 07)**،حيث أردنا أن نستفهم هل هذه التحولات بدعة في الدين أم ماذا تسمونها،فإذا به يقول"البدعة في الدين كما قال العلماء هي أن يضيف المسلم عبادة جديدة أو عقيدة لم تثبت في الكتاب و السنة و الإجماع،مثل الشرك بالله وأن تدعوا مع الله شيئا آخر،بينما هذه الأمور التكنولوجية ليست عقيدة ولا عبادة،بل هي أمور تسهل على المسلم حياته الدينية شرط أن يستعمل منها الأصلح ويترك منها الفاسد"،لقد حلت الحداثة في تنظيم الفضاء المقدس وكذا في تسيير المشروع الطموح للسلفيين مكان الطرق و الوسائل الكلاسيكية,.لم يعد يخفى عن العيون الأنثروبوجية بأن السلفيين ليسوا ضد التكنولوجيا كما كان يزعم بعض الناس،حيث جاء في بعض الدراسات بأن السلفيين هناك

من لا يملك تلفازا ولا هاتفا في المنزل،يبدوا أن الأمر بات غريبا، حيث أن الواقع الذي توصلنا إليه من خلال المعاينة المباشرة لهؤلاء المدروسين،كشفت لنا عكس ما جاءت به هذه الدراسات, فالشاب **علي** الذي كان يحمل الهاتف النقال و يتصفح مختلف الصفحات على الفايسبوك، كان بمثابة المثال النموذجي على أن هناك مواكبة للحياة الحضارية بوسائلها المتطورة،وذلك من طرف العنصر السلفي,.فيما يخص الفضاء الداخلي للمنزل, فإن السلفيين يملكون تلفازا لكن هناك تنظيم داخلي يتم ضبطه من طرفهم،حيث أن الزوجة السلفية و الأبناء هم مجبرين على تقبل ما يتم فرضه من طرف الزوج،يقول الشاب**(المبحوث رقم05)"** التلفزيون في منزلي موجود،لكن فقط القنوات الدينية السنية،وقنوات القرءان الكريم،والقنوات التي تبث بعض الأشرطة العلمية الخالية من الصور و اللقطات الغير أخلاقية",.وهنا نستفهم بأن الزوجة السلفية هي الأخرى تملك تلفازا في المنزل من أجل تتبع الدروس الدينية والقنوات التي يتم ضبطها من طرف الزوج,.تملك الزوجة السلفية هاتفا نقالا لكن بعد تشاور دقيق مع زوجها في كيفية الإستفادة من الهاتف المحمول،والتخلص من كل شيء قد يفسد عليهم تدينهم المقدس.

إقتناء سيارة ، إستعمال وسائل نقل حديثة مثل: التراموای، شراء دراجة نارية،هذه وسائل نقل إستطاع ساكن المدينة وهوامشها الحضرية أن يستفيد منها في تسهيل حياته اليومية،لقد أصبح الإنسان المعاصر يقطع مسافات طويلة في زمن قصير,.إن السلفيين في حي كوشة الجير من خلال الملاحظة الميدانية أولا:لاحظنا أن هناك إستعمال من طرفهم لهذه الوسائل،بل هناك من يملك منهم سيارة ومن يملك دراجة نارية،.يقول **(المبحوث رقم03)"**اللوطو و الموطو هي أشياء أصبحت ضرورية،أنا أستعمل هذه الأمور للذهاب إلى عملي في المدينة الجديدة"،فهو كلام ذوتعبير واضح على تقبل هذه الأخيرة من طرفهم،لكن ضمن ضوابط يقوم السلفيين بالإحتراز منها، وهي كما جاء على لسان الشاب **(المبحوث رقم20)**"نركب في السيارة شيء عادي ليس حرام،لكن الحرام هو أن أركب في سيارة مع إمرأة أجنبية ،يعني الإختلاء مع إمرأة في سيارة هو الحرام وليس السيارة حرام"،أي ما يعني أن هؤلاء السلفيين يضعون تلك الشروط التي دائما ما تكون خاضعة للدين،وذلك أثناء إستعمال هذه الوسائل،أين تكون هناك طريقة معينة في اللإستعمال و

يكون الدين هو من يضبطها,.لن تكون هذه الوسائل عائقا أمام هؤلاء الشباب،بل ستكون في خدمة حياتهم الدينية و الإجتماعية،أين سيكون إستعمال القطار السريع المتوجه إلى العاصمة في ظرف قياسي،هو بمثابة الوسيلة المساعدة والمهمة في زيارة الشيح فركوس بالعاصمة,إذا كانت السلفية الوهابية العلمية قادمة من بلاد الحجاز تاريخيا،والتي أثرت على عقائد الكثير من الأفراد والجماعات في العالم،فسيكون تأثير الشيوخ السلفيين في الحجاز متواصلا على باقي السلفيين في البلدان الأخرى،حيث جاءت فتوى تجيز للمرأة سياقة السيارة في بلاد السعودية,إن هذا الإنفتاح الجديد يمكننا أن نتتبع ردة فعله عند باقي السلفيين في العالم،لم يكن هناك إنتقاد صادر من طرف السلفيين في الحي المدروس,إن الثناء والمدح الذي ينبع من خطاب هؤلاء المبحوثين في حق علماء المجمع العالمي للفتوى بالسعودية أمثال: الشيخ الفوزان وغيره،جعلتنا نستفهم أن هؤلاء السلفيين في كوشة الجير هم يوافقون على كل شيء يبث من المركز الوهابي الكلاسيكي،فهم يرون أن المرأة إذا إستعملت سيارة فعليها أن تكون مع محرم أي:زوجها أو إبنها ،وتكون بلباسها الشرعي،ولا حرج عليها في السياقة,يقول(**المبحوث رقم02**)"فتوى سياقة المرأة ضبطه العلماء بشروط عدم الخلوة في السيارة مع أجنبي،وتكون فقط مع من هم من أسرتها المحارم"،يتمظهر لنا أن أولئك السلفيين الذين كانوا قبل قرن من هذا التاريخ متشبثين بالتقليد الأعمى لسابقيهم في الدين،قد بدأ يبحث خلفهم الراهن عن وضعيات جديدة تريحهم،أين لا يخرجون عن منهج السلف الصالح من جهة،ومن جهة أخرى يستعملون الوسائل الثقافية الجديدة في خدمة مشروعهم السلفي.

إن الهوية السلفية الناشئة في الميدان المدروس عند أولئك الشباب في العقد الأخير،تعرف تطورات ملموسة من خلال تلك العوامل التي أصبحت كوسيلة مهمة في عملية تكوين شخصية الشاب السلفي,لم تعد الأسرة حسب عينة البحث قادرة على التحكم في تدين الأبناء،حيث أصبحت الوسائل السمعية البصرية بمثابة تلك القوة التي فرضت نفسها في عملية التنشأة الإجتماعية و الفكرية لهؤلاء الشباب، أين يقول السلفي(**المبحوث رقم05**)"منذ أن كنت في سن 15 وأنا أتتبع الحصص الدينية للعلماء السلفية،وهم من جعلوني أعتنق هذا المنهج،لكن لا أنكر دور الشيوخ الذين عرفتهم في مدينة وهران"،أين

لم تستطع أسرة هذا الشاب التي تعتنق المذهب الصوفي الموروث عن الأسلاف أن تسيطر على الوضع، وأن تجبر إبنها على ترك هذا التيار الغريب عن تدين المجتمع التقليدي،لقد تغيرت المعطيات الجديدة في عملية التنشأة الأسرية و الدينية،حيث إلتمسنا من خلال تلك الكلمات النابعة من خطاب هؤلاء السلفيين،أين يتم في كل مرة الإستدلال بشيخ سلفي وموقعه الإلكتروني،أن هؤلاء الشباب قد أصبح تكوينهم الديني يتم عن طريق التكنولوجيا المعاصرة ،وذلك إلى جانب الطريقة الكلاسيكية في عملية ملأ رصيدهم الديني،أين تتم هذه العملية عبر تلك الحلقات التي تنظم داخل المساجد،والتي لازالت موجودة رغم قلتها في بعض الأحيان،ما يدل على أن تلقي العقيدة السلفية عبر وسائل جديدة،تريد أن تزحزح الطرق الكلاسيكية من تأدية هذا الدور،و التي تشهد دائما ذلك الصراع الديني حول الفضاء المسجدي،وذلك مع الصوفيين كما لاحظنا ذلك في ميدان الدراسة،أين أصبحت هذه الطرق الجديدة تعتبر مريحة بالنسبة لهؤلاء السلفيين، حيث يقول الشاب**(المبحوث رقم03)**"كنت أحضر الحلقات الدينية لكن بعد الزواج أصبحت أجد صعوبة في تنظيم الوقت،وذلك نظرا للظروف العائلية،اليوم أصبحت أستعمل الهاتف النقال و الإستماع للمجالس العلمية لعلماء أهل السنة و الجماعة،صراحة لقد ساعدتني هذه الوسائل في طلب العلم ومعرفة المنهج"،هي الراحة التي أصبح يجدها الشاب الملتزم إتجاه مذهبه،أين يمكنه أن ينعزل في بيته و يتلقى كل مايريده بواسطة تلك الوسائل التكنولوجية الحديثة،وذلك في تلقي العلوم والفتاوى الصادرة من البلدان البعيدة,.لقد أصبحت صفحة" الفايسبوك" بمثابة فضاء للتوعية الدينية ونشر الفتاوى السلفية,.لقد أصبح تطبيق" الماسنجر والواتساب" بمثابة الفضاء الخاص،والذي يتم بواسطته عقد تلك الإجتماعات الخاصة بين الجماعة السلفي،أين يتم النقاش حول أي مستجدات تخص هؤلاء الشباب,.لكن بالرغم من كل هذه الوسائل الجديدة،إلا أن السلفيين لازالوا متمسكين بالفضاء المقدس،حيث يعتبر المسجد هو الفضاء المرجعي الذي أدى فيه صاحب الرسالة السماوية(محمد صلى الله عليه وسلم) طقوس الصلاة،فهم يعودون دائما إلى هذا الأخير,وذلك من أجل تذكر ماضي سلفهم الصالح،وذلك بغية إعادة تجديد علاقتهم مع هذا التيار،وهو ما يصطلح عليه بالتوبة اليومية من الزلل و الأخطاء التي ترد منهم.

10-علاقة الشباب السلفي بالمجال الحضري الوهراني:

رغم التشدد الذي يظهره هؤلاء السلفيين إتجاه الآخرين من الذين ليسوا من أهل السنة والجماعة من منظورهم،إلا أن السلفيين لا يمكنهم أن ينعزلوا عن الحياة الحضرية،وذلك بالرغم من تلك المواقف التي تصدر منهم إتجاه مختلف الظواهرو الممارسات التي تطفوا على سطح الفضاء الحضري الوهراني,حاولنا أن نستنطق هؤلاء المبحوثين حول وجهة نظرهم عن المدينة قبل أن نتطرق لبعض الممارسات التي تصدر منهم داخل الفضاء الحضري،والتي تتجلى من خلال تلك العلاقة اليومية التي تربط ساكني الهوامش الحضرية(السلفيين) مع مركز المدينة,.إخترنا ذلك الجواب الذي يعتبر بمثابة المثال النموذجي من مجموع خطابات أفراد العينة المدروسة، وهو ذلك الخطاب الذي سجلناه أثناء المقابلة مع **(المبحوث رقم 18)**، حيث يرى هذا الأخير أن:"المدينة فيها كل شيء،المدينة فيها العلم و العمل وفيها العلماء و الإنسان لا يستطيع أن ينعزل عن المدينة لأن فيها مصالح كثيرة يحتاجها،فيها الطب و التعليم ..لكن المدينة هي مكان الفتن و الفسق وهذا للأسف ما ألاحظه خاصة كوني قرأت في الجامعة لعدة سنوات،فيها تصرفات لاتليق بالمجتمع المسلم ولهذا أنا أراها مكان الفتنة و الفسق لكن لا نستطيع أن نتخلى عن المزايا التي تتوفر عليها المدينة،لهذا نعمل على مقاومة كل هذا بالصبر لله و النصيحة لعباد الله،حتى تتغير الأمور.."..فهو موقف نموذجي يسري على وجهة نظر جميع عينة البحث،فالسلفي في حي كوشة الجير يرى أن الفتنة في دينه يجدها في المركز الحضري الوهراني،فهو لا يتقبل تلك الهويات التي يصطدم بها يوميا أثناء قضاء حوائجه،فهو يرى اللباس الغير محتشم عند النساء و الفتيات وهذا مالايقبله ضمن عقيدته السلفية،و في نظره أن هذه الممارسات هي بعيدة عن المجتمع الإسلامي،وأن هناك ثقافة دخيلة من أوربا جاءت لتسيطر على الواقع الثقافي للمجتمع المحلي،وهنا يحاول هؤلاء السلفيين أن يتقمصوا نفس الرأي الذي ثارت من أجله حركة النهضة مع جمال الدين الأفغاني،والتي رأت أن ثقافة الغزو الغربي تحاول أن تطمس خصوصيات الأمة الإسلامية,.يرى السلفيين في حي كوشة الجير أن الشباب الجزائري الذي يلاحظون تصرفاته في المدينة الوهرانية،تشبه كثيرا تلك التصرفات التي يقوم بها الأوربيين،وهذا مايدل حسبهم على أن

الغرب إستطاع أن يؤثر علينا بثقافته,.للسلفيين كلام آخر في نفس السؤال حول المدينة،أي بالرغم من كل الصعوبات التي يجدونها في كيفية التأقلم مع الواقع الحضري،إلا أن هؤلاء الممارسين للتدين السلفي يجدون دائما لأنفسهم مخرجا من هذا الوضع المعقد,.يقول السلفي (**المبحوث رقم 20**)"المدينة فيها إختلاط صحيح،فيها فتنة صحيح،لكن الحمد لله مواجهة الفتنة هي جهاد, وجهاد النفس أعظم من جهاد السلاح،لهذا نحن نعمل على توعية الشباب ممن نتحدث معهم في السوق أثناء العمل",.فهو جهاد حسبهم،هم في مواجهة الفضاء الحضري بكل ما يملكه من رموز وشفرات معقدة, لأفعال تصدرها تلك الجماعات الهوياتية المتنوعة،و التي لا تشبه مجتمع البحث في خصوصياته الثقافية,.إنه معنى صراع الهويات داخل الفضاء المديني.،فالسلفيين الذين ينطلقون من الحي الهامشي بكوشة الجير نحوى مركز المدينة،هم يعبرون من جهة على أن الإستفادة مما تتوفر عليه المدينة من مرافق و مؤسسات لهم الحق فيها،ومن جهة أخرى يحملون تلك الفكرة التي مفادها بأنهم يتوجهون نحوها بغرض التغيير و التعديل لكل ما يجري داخل المدينة من ممارسات بعيدة عن التدين الحقيقي،وهم يسيرون في هذا المنحى, ضمن نفس منطق التغيير والتعديل الذي يطرأ على المسكن ،وذلك من أجل أن يعكس الفضاء الداخلي هوية صاحبه كما يراها **الأستاذ عبد القادر لقجع والأستاذ مهدي سويح**،حيث أن السلفيين يجدون أن أكثر تلك الأفعال المعاشة في الفضاء الحضري،هي لا تعكس بتاتا تلك الهوية الإسلامية الموجودة في مخيالهم، وعلى أجسادهم(اللباس)، وضمن خطاباتهم،ما يجبرهم عقائديا وسنيا على مواصلة الجهاد اليومي باللسان،وذلك في محاولة منهم لتغيير الوضع لصالحهم,إن نشر التيار السلفي التقليدي العلمي داخل المدينة، يعتبر غنيمة حرب دينية ضد التيارات الدينية الأخرى،حيث تشهد الفضاءات الحضرية المعاصرة, أعدادا كثيرة من الأفراد والجماعات، عكس الريف قديما والذي كان يحتوي على نسمة قليلة من السكان،فإذا كان بعض الصوفيين حتى هذه اللحظة, لا يزالون يحبذون حياة الريف و العزلة عن باقي أفراد المجتمع حتى داخل المدن،فإن المجتمع السلفي المحلي له موقف مغاير تماما،أين نرى بأن حب العيش في الفضاء الحضري من طرف السلفيين, هو مقبول بشكل واضح ،أين يكون السلفيين أقرب إلى التحضر مالم تكن هناك أشياء تخالف عقيدتهم الدينية ،بخلاف

الصوفيين الذين لا يزالون يتمسكون باللباس التقليدي(الجلابة-العمامة..الخ)، و الزاوايا الدينية(قراءة القرءان-الأوراد) و زيارة المغارات في الجبال لتأدية بعض الطقوس الخاصة بالتصوف التقليدي،وهذا ما يلاحظ في مغارة مولاي عبد القادر بوهران على سبيل المثال،بخلاف السلفيين الذي يرتدون الهندام السلفي المعاصر(يتوافق مع هندام شيوخ السلفية المعاصرة)، و الذي يختلف عن هندام رسول الله صلى الله عليه وسلم،حيث كان يرتدي الرداء اليماني و العمامة كما جاء في الأثر،أين نجد بأن الصوفيين أقرب إلى التشبث بالطقوس و التقاليد من السلفيين في هذا المنحى،فعلى سبيل المثال:تم هدم منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة،أين تم تحويله إلى مرحاض عمومي،وقد سمح علماء السعودية بهذا العمل،متحججين بأن الناس قد يتخذون هذا المنزل مكانا للشرك و البدعة والتبرك به،وهو مالاينفعهم ولا يضرهم يوم القيامة،وهذا ما يشكل تناقضات ملموسة عند السلفيين في دفاعهم عن السلف الصالح،أين وجدنا أشياءا كثيرة يمارسونها شكلا ومضمونا،والتي تخالف كل المخالفة لما يقولونه عن السلف الأول للإسلام،غير أن هذا لا ينفي وجود الصوفيين في المدينة، إلا أن الشباب السلفي وجدنا أنه أقرب إلى التحضر من الصوفيين، وذلك من خلال المعاينة الميدانية و الإستماع إلى خطاب الحياة اليومية في الحي المدروس،زيادة على ذلك لم يرد في التاريخ, أن هناك إنتفاضة من طرف الصوفيين بغية التجديد و التغيير، أين كانوا دائما ما يتمسكون بالمرجعية الصوفية التي تتمثل في: الزهد، الخلوة، و ترك ملذات الدنيا،بينما شهد تاريخ الحركات السلفية في كل قرن، تلك الثورات الفكرية و المادية من أجل التغيير، وهذا ما لاحظناه مع السلفيين النهضويين، وكذا حركة الإخوان المسلمين, عندما طالبوا بالتغيير والخروج من منطق التقليد، نحوى منطق الإجتهاد و الممارسة السياسية،وكذا النهل من علوم الغرب التي ساهمت في رجوح كفتهم على حساب كفة المسلمين,.يقول السلفي **(المبحوث رقم 05)**:"النبي صلى الله عليه وسلم ولد في مكة،فيها بيت الله الحرام،فيها عشيرته وبني عمومته،وبالرغم من أنه دخلها فاتحا وإنتصر على كفار قريش، إلا أنه عاد إلى المدينة،و فضل أن يعيش فيها،وهنا تفهم كل شيء من خلال الرجوع إلى سيد الخلق في موقفي من المدينة"،إن هؤلاء السلفيين يزعمون بأنهم يتبعون سنة النبي صلى الله عليه وسلم في كل

شيء،فحتى في مسألة العيش في المدينة، فهي سنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أكمل حياته في المدينة، أين دفن بها وقبره بها موجود،فهي رمزية أنثروبولوجية تتجلى في خطابهم وممارساتهم اليومية, على أنهم يعبرون بواسطتها، على مسألة التمسك الغير قابل للتصرف فيه بأفعال سلفهم الصالح،وهوتقليدهم في كل شيء صدر منهم سواء كان: قولا أو فعلا أو شكلا.

إن السلفيين في حي كوشة الجيريتخذون من المدينة مجالا متعدد الجوانب،حيث المجال الديني أولا:المدينة هي مكان العلماء والشيوخ السلفيين الذين يسهرون على نشر الدين،وإن تلك الحلقات الدينية التي تنظم في مختلف المساجد وفي بعض الأحيان في بيت أحد الشيوخ السلفيين،وذلك كما وردنا عن بعض المبحوثين،هي أحداث مهمة جدا في إكتساب هؤلاء الشباب للمعارف و التوصيات,و التي سيوظفونها في خدمة هويتهم الجديدة وتقويتها،فهذا السلفي الذي سيحمل كل هذه المعارف، سيعمل على نقلها إلى داخل الحي الهامشي، أين سيصبح هذا الأخير, بمرتبة الشيخ الداعية في الحي، بعدما كان مريدا عند شيخه في المدينة،حيث يقوم بإعادة كل كلمة تلقاها من شيخه،وذلك أثناء تواجده في الفضاء الذي نظمت فيه الحلقة الدينية،.أين تجده كلما جاء بفكرة, إلا و أردف معها صاحب الفكرة من أجل تقوية خطابه(قال الشيخ فركوس,.قال الشيخ أمين,..الخ),..ثم ثانيا:اللإستفادة منها إقتصاديا ، أين تربطهم علاقة العمل التي تتمظهر في التجارة الموازية في سوق المدينة الجديدة،أين تلاحظ في حي طحطاحة وبجوانب مسجد الفلاح، جماعات سلفية لا يحصى عددها من شدة كثرتها،فهم تقريبا في تلك النقطة من السوق, يسيطرون على ذلك الفضاء بكل وضوح،.يغلب على تجارتهم بيع الهندام السلفي بكل أنواعه(القميص-التقية-نصف الساق) ،وتجد حتى تلك الماركات من القمصان المكتوب عليها أسماء أعلام السلفية العلمية, أمثال: الشيخ العثيمين و إبن باز وغيرهم،وهو تعبير واضح على التمسك بهم فكريا من خلال أقوالهم، و شكلا من خلال القمصان التي كانوا يلبسونها قبل ثلاثة عقود من هذا التاريخ,.إلى جانب اللباس، تجد كذلك بيع الكتب الدينية التي لها علاقة بالتيار السلفي الوهابي،حيث يسيطر على تلك المكتبات، الكتب الدينية لعلماء وشيوخ السلفية، أمثال:إبن تيمية،إبن القيم الجوزية،إبن حجر،الإمام أحمد، وكتب

الشيوخ المعاصرين، أمثال:محمد إبن عبد الوهاب،الألباني و إبن باز والعثيمين..الخ،وهذا كتعبير على أن هؤلاء السلفيين يتمسكون بتدينهم سواء: في المسجد من خلال العبادة والصراع مع المخالفين لهم،أو: أثناء عملهم في السوق من خلال بيع هذه الهوية السلفية على شكل: كتب دينية، قميص ،سروال سلفي، وتقية توضع على الرأس، وهو ما يشير بكل وضوح على أنهم لا يكتفون بنشر هذا التيار داخل المسجد أثناء العبادة فقط،بل هم سيستفيدون من الوضع من خلال كل فرصة قد تتاح لهم،وهو نشر مذهبهم حتى أثناء المعاملات اليومية الإقتصادية مع أفراد المجتمع,.سيغتنم التاجر السلفي فرصة إحتكاكه بالمجتمع ،وذلك عن طريق أولئك الزبائن الذين يلتقي بهم أثناء العمل في محله،يقول **(المبحوث رقم 03)"** في السوق عندي طابلة،يشري علي الناس رجالا ونساءا،في كل مرة أدخل فيها في نقاش مع شخص متأثر بالصوفيين حتى أعمل على إرشاده من الضلال الذي يعيش فيه"،إن هذا الشاب هو واحد من بين أولئك السلفيين المنتمين إلى هذا التيار، والذين يعملون في السوق ،أين يقومون بتقديم تلك النصائح و الإرشادات الدينية للشباب الذين هم خارج التيار السلفي،فهو يعيش حياته الحضرية المتلونة بطابعها الديني السلفي،أين يريد أن تنعكس تلك الهوية الدينية على تصرفات باقي أفراد المجتمع,.قد يصل الأمر في بعض المرات إلى نشوب صراع بين السلفيين وغيرهم،وذلك بسبب فعل قد يخالف الدين(سرقة،التحرش الجنسي بالفتيات) من منظورهم،وهو الأمر الذي يغضب الجماعة السلفية في السوق(أغلبية عينة البحث تجار)،ما يجعلهم يحاولون التصدي لهذه الممارسات التي يعتبرونها مرفوضة دينيا،وهو ما يبرز تلك الصورة الأنثروبولوجية الحضرية للجماعة السلفية،و التي يحاولون إيصالها إلى باقي أفراد المجتمع،على أنهم يشكلون جماعة هوياتية موحدة دينيا و إجتماعيا،أين تتمظهر على أن أجزاءها متكتلة مع بعضها البعض,.إن المدينة هي مكان بناء الهويات الجديدة،ففي كل مرة تظهر فيها هوية تطفوا على السطح ،أين تعتبر نفسها بأنها قد تملكت الفضاء الحضري، إلا وتظهر هويات أخرى مزاحمة لها،وذلك بفعل تلك التفاعلات الثقافية (المادية والفكرية) بين أفراد المجتمع,.إن أولئك السلفيين القادمين من هوامش المدينة، هم مثل باقي الجماعات الثقافية الأخرى،وذلك في مسألة:المطالبة بحقهم في الفضاء الحضري من جهة، ومن جهة مغايرة

:محاولة تغييره و السيطرة على المدينة,.**يقول ميشال أجي في كتابه "أنثروبولوجيا المدينة":**[68]" إختراع إطار حياة جماعي "قابل للسكن" من قبل أكثر الفئات المهمشة،هو عبارة عن مجموعة من الأسئلة والمجالات الممكنة لوضع التوتر بين هدم المدينة وبناء المدينة"،حيث يكون هناك مجموعة من التمثلات الموجودة داخل المخيال الجماعي لثقافة تلك الجماعات،والتي تحاول من خلال كل هذه الخصوصيات التي تتشبث بها كهوية لها،في أن تعكسها داخل الفضاء الحضري،وذلك من خلال مختلف الممارسات و الخطابات التي تصدر من أولئك القادمين من هوامش المدن،وهنا يمكننا أن نقول بأن السلفيين يعيشون وضعية يجدون أنفسهم ضمنها، بأنهم مهمشين وغير مرحب بهم في المشاركة في بناء المدينة،وهو كما فهمناه من خلال الخطاب الذي صدر منهم حول هذه الحالة،وذلك لكونهم يحملون تلك العقائد التي تنتقد تصرفات الآخرين، محاولة إزاحتها من الحياة الحضرية,إن السلفيين يعملون في إتجاه مشروع تفكيك وهدم الحياة الواقعية للمجتمع المحلي،ثم العمل بعد ذلك على إعادة بناء مجتمع سني من قواعده الإجتماعية،وهذا ما يتوافق مع مشروعهم الإصلاحي،و المتمثل في تربية وتنقية الأمة من الشوائب و البدع المخالفة للدين ،وهو الخطاب الذي دائما ما يتحججون به في نقدهم للهويات المخالفة لهم: عقائديا ، فقهيا، وإجتماعيا.

11-الشباب السلفي المدروس"هوية حضرية محلية، ذات صبغة و ألوان دينية":

تعتبر الخصوصيات الثقافية في ميادين الأنثروبولوجية المعاصرة،من أهم المواضيع الحساسة التي دافع عنها عبر تاريخ هذا التخصص, الكثير من الأنثروبولوجيين، خاصة في النصف الأخير من القرن الماضي,.لقد قامت بعض المدارس الأنثروبولوجية الكلاسيكية من خلال دراسة المجتمعات البدائية، بتنميط قوانين حاولت من خلالها رسم تلك التصورات التاريخية لنمو وتطور المجتمع الإنساني عامة,.فإذا كان كل من **" ميشال فوكو" و"ماكس فيبر",** قد دافعوا عن مصطلح **"الفهم"**، والذي يجب على الباحث التقيد به،و أن يحترم خصوصيات كل مجتمع، دون تخمين ولا تصور مجرد أثناء

[68]-michel agier,anthropologie de la ville,presse universitaire de France,2015,1er edition.p60.

دراسته،فإن القوالب التقليدية التي وضعت كنظام ثقافي يحكم على ذلك الغريب,و الذي لا يملك تاريخا مكتوبا،لم تعد قادرة على الوقوف في وجه القوة الرباعية لكل من :**الفهم،التأويل،الخصوصيات، وكذا الإختلافات الثقافية بين المجتمعات**,.إن الخصوصيات الثقافية للمجتمعات الغربية لم ولن تستطيع فهم المجتمعات الأخرى،إذا بقيت في كل مرة يتم الزج بها إيديولوجيا للحكم على الآخرين وتقويمهم،وذلك وفقا لمرجعية نظرية تم إستنباط أفكارها، من عمق الخصوصيات الثقافية والتاريخية للمجتمع الأوربي نفسه.

فنحن في هذا الصدد ما حاولنا مقاربته في المجتمع المحلي أنثروبولوجيا،وذلك من خلال الولوج إلى أزقة حي كوشة الجير الهامشي، ووضع مقاربة علمية لممارسات وخطاب أولئك الشباب السلفي،هو محاولة وصف وفهم الخصوصية الثقافية التي يتميز بها عناصر المجتمع المدروس،وذلك إنطلاقا من واقع ملموس في الميدان،أين كان الشاب السلفي المعني بالدراسة, هو سيد المقابلة الميدانية،وهو الحق المشروع الذي كان يعبرمن خلاله عن خصوصياته الثقافية و الدينية،والتي تعتبر بمثابة الصيد الذي كنا نبحث عنه طيلة هذا العمل البسيط,.يحاول هؤلاء الشباب الدفاع عن هويتهم الدينية داخل الهوامش الحضرية وفي مركز المدينة،فهم يرسمون بواسطة: شكل الجسد، اللباس، مضمون الخطاب، وكذا ممارستهم لتدينهم عقائديا و إجتماعيا،تلك الصورة الأنثروبولوجية التي يعبرون من خلالها عن هوية ترتكز في جوهرها على عقيدة توحيد : الألوهية ، الربوبية ، الأسماء،والصفات ،وفي شكلها من خلال: الهندام، الكتب الدينية، والصراع مع الصوفية,.فهم في مواجهة الفضاء الحضري من خلال عملية الغربلة و التصفية،أين تكون المرجعية الفقهية المعاصرة على شاكلة الشيخ فركوس،هي الفاعل الرئيسي في صناعة فقه الحياة الدينية و الإجتماعية،و التي يجب أن لا تتنافى مع الكتاب، السنة النبوية، وأثر الصحابة,.ليس كل الممارسات التي يعيشها الفضاء الحضري هي مقبولة عند السلفيين،إن الدين يعتبر الدستور الذي يوجه أفعالهم وممارساتهم أثناء تغلغلهم في فضاءات المدينة الوهرانية،حيث يقول الشاب**(المبحوث رقم 19)**:"أنا أعمل لكسب قوت لأولادي حلالا،و حضور حلقات مشايخ السنة،لكنني لا أذهب للملعب فهو قمار ومحرم،لن أذهب للحراك الشعبي لأنه ليس لمسألة دينية، بل لعقيدة دنياوية خرج هؤلاء الغافلين،وإذا مات أحدهم

أثناء الحراك, فهل مات من أجل الدين،طبعا لا...فالشيوخ لم يجوزوا الخروج عن الحاكم أبدا،فهي فتنة,.كذلك الإختلاط الذي وقع فيه نسأل الله العافية،الحمد لله العلماء يوجهوننا كيف نعيش حياتنا، سواء في فقه العبادات أو فقه المعاملات",إن هذه الكلمات تعبر بشكل مفهوم على أن السلفيين الذين تم دراستهم من طرفنا،يعبرون عن المعاني التي تتضمنها تلك الممارسات اليومية التي تربطهم ما بين الهامش و المدينة،فليس الدين من منظورهم أن يبقى محصورا في المسجد كعبادة ،وذلك مثلما ترى العلمانية التي تطالب بفصل الدين عن السياسة،إن هؤلاء السلفيين يدافعون عن حياة إجتماعية وحضرية تخضع للتعاليم الدينية،فهم يرون بأن الإسلام هو شريعة تتضمن فقه العبادة و العلاقة مع الله،وكذا فقه المعاملات و العلاقات التي تربط المسلمين مع بعضهم البعض،وذلك أثناء ممارستهم لحياتهم الإجتماعية خارج العبادات.

إننا نستنتج أن هؤلاء الشباب من خلال خطابهم و الإيديولوجية المتغلغلة في مخيالهم،أنهم يرفضون الخضوع المطلق للثقافة القادمة من الغرب،خاصة عندما لا تكون متكافئة مع الأخلاق والقيم الدينية،يقول الشاب(**المبحوث رقم 02**) "الأوروبيين عندهم هدف واضح،هو القضاء على الدين الإسلامي،نحن نشاهد في المدينة وعلى مواقع التواصل الإجتماعي تصرفات من شبابنا المسلم لا تليق بقيمنا كمسلمين،كذلك اللباس الغير محتشم عند النساء وحتى الرجال الذين أصبحوا يذهبون عند الحلاق،ونشاهد تسريحاتهم تشبه الفتيات كثيرا،.."..,لا يرتاح السلفيين عندما يكونون في الوسط الحضري الوهراني،لقد قمنا بزيارة وسط المدينة التاريخي**"بلاس دارم"**،وكانت زيارات متكررة من أجل تفقد ومعرفة ما إذاكان السلفيين لهم حضور في تلك الساحة العمومية،والنتيجة أن هناك غياب واضح لهذه الفئة الدينية،وعند الإستماع إلى خطابهم حول هذا الغياب،فإذا بهم يرون بأن الفضاء المعني الذي تم ملاحظته, يغلب عليه تلك الفئات الإجتماعية التي تظهربلباس غير شرعي،وهو ما يجعلهم يتفادون الفضاءات العمومية إلتزاما بتدينهم،أين يكون حضورهم فيها إلا للضروريات فقط(العمل-تسوق-زيارة شيوخ..الخ),.يرى الخطاب الديني السلفي في الحي المدروس،أن الفضاء الحضري الوهراني يصعب فيه الوقوف لساعات طويلة،أين يجدون تلك الهويات المتنوعة والتي تحتفظ لنفسها بحرية اللباس

والخطاب(غناء هاوي-تحرش بالفتيات-شباب ذكور بتسريحات فتيات..الخ)بأنها غير متأدبة،حيث تجبرهم العديد من الممارسات على مغادرة السوق(أثناء العمل) أو المسجد(أثناء حضور الحلقات) بعد الإنتهاء, مباشرة إلى المنزل حتى لا تمتلأ صحيفتهم بالأوزار،ولهذا تجدهم يسيطرون على فضاء خاص بهم في سوق المدينة الجديدة،حيث يشيرون إلى أنهم يعتزلون باقي فضاءات المدينة،أين تلاحظ سيطرة ذي القمصان(الرجال) وذات الجلابيب(النساء)على جوانب حوانيت هؤلاء السلفيين،.أين تجد الكثير من المتبرجات والمتبرجين يتفادون المرور بجانبهم إلا النذر القليل منهم،والذين لم يفهموا اللعبة بعد,.إن السلفيين ليسوا راضين بواقع الحياة الحضرية وما يجري داخلها من ممارسات وظواهر مرفوضة،فإحتفاظهم بهويتهم الدينية غير كافي بالنسبة لهم،بل سيذهبون أبعد من ذلك،وهو ما يتجلى في نشرهم التغيير الذي يريدونه عبر فضائي: السوق و المسجد،وذلك من خلال التوعية الدينية وبيع الألبسة و الكتب السلفية,.أثناء المقابلة مع السلفي(**المبحوث رقم 06**)، فإذا به يسرد لنا قصة شاب سلفي عاش في النرويج، ثم عاد إلى أرض الوطن، فيقول على لسانه: "كنت أعيش في النرويج،حرية الفتيات يحميها القانون،الفتاة تمارس كل ما تريده دون تدخل الوالدين،قد تتعلق بك فتاة وأنت في المدينة أمام الناس لأمر تطلبه منك،الحمد لله عدت لأرض الوطن،على الأقل هناك إسلام و أحسن من بلاد الغربة،وكاين حشمة هنا في البلاد،القانون يحمي الرذائل في أوربا،الحمد لله الجزائر تعاقب كل عمل لا يحترم الأخلاق والقيم،خاصة أمام الناس"..،إن هذه المفارقة التي تلفظ بها هذا الأخير،وذلك من خلال التمييز الثقافي بين فضاء حضري محلي، و فضاء حضري أوربي مغاير(تمييز الممارسات)،قد جعلتنا نزيد فهما على أن هؤلاء السلفيين لن يرتاح لهم بال،إلا إذا شاهدوا تلك الهوية السلفية السنية، تتمظهر في سلوكات و هندام جميع أفراد المجتمع المحلي،وعلى سطح الفضاء الحضري تطفو،أين يريدون تأسيس مدينة إسلامية توجد في مخيالهم،وذلك تقليدا لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم،وهو مشروع ينضوي ضمن رمزية التشبه بحياة السلف الصالح,.يرمز الخطاب السلفي أنثروبولوجيا إلى التغيير نحوى الخضوع للدين في كل ميدان,لقد أجمع مجتمع البحث على أنهم يطمحون في المستقبل القريب إلى إيقاظ الغافلين من

ضلالتهم(الصوفية خاصة)،أين يجدون بأن التدين الذي تركه سلفهم الصالح ،هو مهدد تحت تأثيرات تلك الممارسات الغريبة عن الإسلام،والتي تغزو يوميا ذهنيات الشباب الجزائري،وذلك عن طريق وسائل التكنولوجيا الحديثة وما تتضمنه من وسائل تواصل إجتماعية(فايسبوك-يوتيوب-تيك توك ..إلخ)،أين أصبح الشباب في الوسط الحضري يعلنون تأثرهم الواضح بهذه الوسائل،ما أجبر هؤلاء السلفيين في المجتمع المحلي, إلى دق ناقوس الخطر على هوية المجتمع المحلي،والتي يغلب عليها الطابع الديني الإسلامي.

لقد ظلت السوسيولوجيا بمرجعيتها الغربية لعقود طويلة من الزمن، تحكم على ممارسات الآخرين بالسلب و الإيجاب،وذلك إذا لم تكن تتوافق مع مرجعيتها الثقافية, في فلسفة تنظيم الحياة الحضرية,.لم تعد مفاهيم مثل: "ريفي-بدائي-غيرمنظم-إرهابي-جهادي..الخ", مقبولة في السوسيولوجيا و الأنثروبولوجيا الحديثة,.لقد إنفجرت أصوات بالأمس القريب من داخل معاهد السوسيولوجية الغربية ومن خارجها،تندد بشرعية إحترام خصوصيات الآخرين،فلا يمكن لذلك البدائي القادم من أدغال إفريقيا كما ينعتونه، أن يتخلص من ميراثه الثقافي الذي ورثه عن أسلافه،حتى ترضى عنه المركزية الأوربية بنرجسيتها الساذجة،فتدمجه في خانة المتحضرين,.إذا كان المجتمع الغربي بإرثه القديم لا زال يتشبث بتلك الأحكام الزائفة في تصنيف تلك المجتمعات الموجودة في جنوبه،فإن هؤلاء السلفيين يجيبون بطريقتهم الخاصة، على أنهم يمارسون حياتهم الحضرية في المدينة الوهرانية،داخل نظام تؤطرجزئياته الخلفيات الدينية: العقدية منها والفقهية،سنفتح قوسا هنا لنشير إلى وضعية المسلمين في أوربا،ألم تحدث تلك الممارسات التي يسهر على تنفيذها النظام الفرنسي بقواته العمومية،وذلك في قضية منع المسلمات من إرتداء الحجاب في الفضاء العام،وهو بدواعي التخوف من الإرهاب،لابل في نظرهم مثل هذه الهويات التي تطفوا على مسرح الفضاء الحضري،هي في حقيقة الأمر تذكرهم بماضي همجي, لا يريدون عودته حسب زعمهم(فتوحات إسلامية),.فإذا حاولنا مقاربة الظاهرة السلفية بمفاهيم أنتجت في مجتمعات مغايرة(أوربا)،فإن السلفيين في المجتمع المدروس،سيتم الزج بهم ثقافيا في خانة المغضوب عليهم والمطرودين من حياة التحضر والرقي،غير أن السلفيين لا يكترثون إلى تلك الثقافات التي تنبذهم في الوسط الحضري،فهم يتمسكون

بهوية تعمل على محاولة إحتضان الآخرين, في نظامها الداخلي عن طريق الإصلاح,.حاولنا في هذا الصدد تقوية هذه المقاربة المشروعة لفهم خصوصيات المجتمع السلفي،وذلك من خلال التمييز بين زاويتين سوسيولوجيتين،الأولى تقليدية تصنف الآخرين دون إحترامهم،والثانية حديثة بدأت تنتفض عبر أولئك السوسيولوجيين و الأنثروبولوجيين المحليين(الباحث المحلي- إبن المجتمع المدروس),.إن الأستاذ جمال الدين غريد رحمه الله، واحد من بين عظماء علم الإجتماع في القرن الواحد والعشرين في الجزائر،لقد تفطن هذا الأخير مثل سابقيه في الميدان السوسيولوجي،بأن إشكالية فهم مجتمعنا الجزائري في المفاهيم لا في مجتمع البحث,.سيثور هذا الأخير قبل وفاته في **كتابه "الدخول في علم الإجتماع"**،من أجل المطالبة بشرعية إعادة التفاوض مع علم الإجتماع الغربي،وأن الذين كانوا موضوع بحث بالأمس،هم اليوم يطالبون بالمشاركة العادلة والشرعية في إنتاج سوسيولوجيا، تستخرج مفاهيمها من المجتمع المدروس لا من غيره,.إن الثقافة الغربية والثقافة المحلية لا يمكن أن يتم فهمهما بمنظار مفاهيمي موحد،فالنظام الثقافي لكلا الطرفين يختلف من ناحية الشكل و المضمون العقائدي،وهو ما عطل لسنوات عجلة فهم وتأويل الظواهر, والممارسات التي يعيشها المجتمع الجزائري،وذلك [69]"لأننا نتعامل مع مشكلة ليست ذات طبيعة تقنية أو إقتصادية،ولكنها ذات نظام ثقافي"،هذا النظام الثقافي الذي نواجهه داخل مجتمعنا الجزائري،لم تعد البوصلة المفاهيمية القادمة من المدارس الأوربية،قادرة على فك شفراته و أكواده المعقدة،والدليل على ذلك هو فشل المشاريع الصناعية والزراعية في الجزائر سابقا،وذلك لأنها لم تراعي الجانب الثقافي للمجتمع الجزائري،أين كان تسيير هذه المشاريع يخضع لطابع ثقافي, تم جلبهما معا من خارج المجتمع المحلي(وسائل التصنيع-عقلية وثقافة التسيير من اوربا)،أين وجدت عاملا جزائريا مسلما تسيره المرجعية الدينية،أين لا يمكنه التفريط فيها،وهي من بين المواضيع التي تفنن في فك رموزها فهما وتأويلا، الأستاذ جمال الدين غريد رحمه الله.

[69]-djamel guérid,l'entrée en sociologie,les limites de l'universel européen,implication concrétes dans le monde d'aujourd'hui,editions publisud,2013.p23.

يقول السلفي(**المبحوث رقم 08**)"نحن مسلمين ولا يمكننا أن نعيش مثل الكفار،هم عندهم كل شيء حلال،نحن عندنا شريعة وعلماء يوجهوننا إلى الحلال،ويمنعوننا من الوقوع في الحرام،الحرية ليست مطلقة،هناك حدود في الإسلام"،هو خطاب يحاول أن يضع حدودا ثقافية بين المسلمين وغيرهم،بين خصوصيات تخضع للدين، وأخرى تخضع للعقل و الفلسفة و الحرية،إن التدين الوهابي يجده هؤلاء السلفيين بمثابة النظام الذي يصنع لهم طريقة حياة شرعية ومقبولة،تريحهم في الدنيا بلا شقاء وتعب، وتمنح لهم جائزة المرورإلى الجنة في الآخرة،فلا يمكن لهؤلاء السلفيين أن يستعملوا الفضاء الحضري بنفس الثقافة الحضرية التي يستعملها غيرهم،لا من ناحية اللباس،شكل الجسد، ولا من ناحية الممارسات اليومية.,إن محاولة إلغاء التحضر عن هذه الجماعة السلفية مثلما تم الحكم سابقا على أولئك القادمين من خارج المدن بأنهم ريفوا المدينة بممارساتهم،وأنهم عليهم أن يتعلموا التحضر من أهل المدينة ،يعتبر حكما سريعا يجب النظر إليه من الزاوية الأنثروبولوجية المحايدة,.لقد توصلنا من خلال عملنا الميداني إلى أن الكثير من الممارسات التي تتبلور في كيفية إستعمال الفضاء الحضري, بمفهوم السوسيولوجية الحضرية المعاصرة،قد وجدنا ذلك ملموسا من خلال خطاب وممارسات هؤلاء السلفيين،أين لا يدافعون فقط عن الدين الإسلامي كتوحيد الله وعبادته،بل كذلك كحياة دينية إجتماعية تحقق لهم حياة الحضارة والرقي وآداب التعايش مع الغير,.يدافعون عن أخلاق كريمة ذكرت في النص القرءاني منذ ما يزيد عن 14 قرنا من الهجرة النبوية المباركة،ومن ذلك ما جاء على لسان الجامعي السلفي (المبحوث رقم18)"في القرءان هناك آيات كثيرة تتكلم عن مكارم الأخلاق و إحترام الناس،آداب العيش موجودة عندنا في ديننا الإسلامي،لم نتعلمها من العجم،بل وردت في القرءان و السنة النبوية قولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعلا منه،العرب كان عندهم مروءة قبل الوحي،ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه جاء ليتمم تلك الأخلاق التي كانت موجودة عند العرب في مكة،الإسلام ضبطها بشريعة ربانية،عليك أن تقرأ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عاش مع المسلمين و غيرهم من اليهود في إحترام بينهم، إلا ما صدر من بعض اليهود الذين كانوا يفتنون المسلمين"،إنه خطاب يعلن صراحة أن ما يصطلح عليه اليوم سوسيولوجيا

بالتحضر,قد عرفته المدينة الإسلامية في صدر الإسلام الأول،أين كانت أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم داخل الفضاء العام،تشير بشكل واضح إلى كل كلمة أو آية قرءانية نزلت عليه،حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم في نظر هؤلاء السلفيين،بمثابة المجسد الحقيقي لكل كلمة جاءته من خلال الوحي الإلاهي,.إن غض البصر،إحترام المرأة من خلال عدم النظر إليها أو التحرش بها في الفضاء العام،إلى جانب عدم التلفظ بكلام فاحش....إلخ،تلك ملاحظات تم إقتباسها من طرفنا،وذلك تجلى في تتبعنا لبعض الشباب السلفي،إنطلاقا من الحي المعني بالدراسة إلى غاية السوق الذي يعملون فيه(المدينة الجديدة وهران)،أين كان الهدف من ذلك هو ملاحظة سلوكهم اللفظي و الجسدي داخل الفضاء العام بوهران،حيث تمظهر لنا من خلال تتبعنا لهؤلاء المدروسين،أن خطابهم الديني الذي جاء على ألسنتهم فيما يخص سؤالنا لهم حول الحياة الحضرية في المدينة،أنهم يحاولون قدر المستطاع أن تنعكس معتقداتهم العقدية والفقهية على كل ممارسة تظهر منهم،وذلك إقتدءا بسلفهم الذي عاش في المدينة الناشئة في الإسلام, قبل قرون من هذا التاريخ،ليس تقليدا لهم في حياتهم العقائدية فقط،بل حتى من ناحية التعايش مع المسلمين وغيرهم,.إن إنفتاح السعودية المعاصرة(موطن السلفية العلمية) على ثقافة الغرب والحوار تحت أنظار هيئة الإفتاء بالسعودية،يعتبر مرجعية يمكن أن يقتدي بها السلفيين العلميين في باقي أطراف العالم،أين يعتبر الشيخ الفوزان وكل مواقفه من حكام السعودية،بمثابة إجتهاد عالم لا يمكن الإنكار عليه،وهذا ما يتم نشره على صفحات التواصل الإجتماعي،وذلك مثلا من خلال الدفاع عن المرجعية السلفية في السعودية،أين سيكون مشروع "نيوم"،وهو مشروع مدينة عالمية في السعودية،بمثابة دليل لا يحتاج لتأويلات ،على أن السلفيين ليسوا ضد مسألة التحضروالمعاصرة،أين يحاولون الدفاع عن ذلك بمواقفهم وحججهم المعهودة،حيث يكون أول جواب لهم هو:" أن صفاء العقيدة وتوحيد الله هو الضروري من الدين،بينما الأخطاء التي يرتكبها المسلم ماعدا الشرك بالله،فهي أشياء يمكن أن يغفرها له الله يوم القيامة،مالم يشرك به أحدا"،وهذا ما ورد على لسان السلفيين في هذا الصدد بالحي المدروس،كتعبير منهم بالرضى التام،على كل فتوى أو موقف تتموضع فيه السلفية العلمية بالسعودية،وهو ما يدل على أن الوهابية الكلاسيكية بصبغتها العلمية الحديثة،لا زالت

تهيمن على مركزية إنتاج وتصدير الأفكار الدينية،وذلك نحوى باقي البلدان التي ينتشر فيها هذا التيار.

يمكننا أن نؤول صورة ذلك السلفي الذي عملنا على وصفه إثنوغرافيا سواء من خلال ملبسه المتمثل في القميص،نصف الساق، و التقية الموضوعة على رأسه، إلى جانب لحيته التي تغطي نصف وجهه،وكذا من خلال ذلك الخطاب الديني الذي يعبر به عن معنى الوجود الإنساني على سطح الأرض, أين يردد **وهو (المبحوث رقم 06)** "الله خلقنا للعبادة وهذا ماورد في القرءان الكريم"، وكيف يجب عليه أن يعيش حياته داخل المجتمع، وفقا لما فرضته عليه الشريعة الإسلامية،أين تجده يمارس تلك السلوكات التي يخضعها دائما لمرجعيته الدينية،أين قمنا بتتبع حتى حركاته الجسدية داخل الفضاء العام(ينظرون إلى الأرض تفاديا للنظر إلى النساء),.كل هذا وذاك، يعبر عن صورة أنثروبولوجية توحي إلى حد ما، على ذلك التميز الواضح الذي يعطيه لنفسه هذا الأخير،يشارك في الحياة الحضرية الواقعية بالمدينة الوهرانية،وذلك إنطلاقا من إضفاءه لهويته الدينية كخطاب وممارسة ولباس، داخل مراكزها الحضرية،يشارك في رسم صورة الحياة الحضرية المحلية بوهران،أين يتمسك بهويته الخاصة به،وذلك ليس في المسجد من خلال التميز عن التيارات الدينية الأخرى فقط،بل كذلك في الوسط الحضري،وهو ما يظهره من خلال إحتكاكه بمختلف الفئات الإجتماعية الأخرى,.إن التحضر النابع مفهوما وممارسة من داخل السوسيولوجية الغربية،لا يمكننا أن نلتمس كامل جزئياته في ممارسات وخطاب هؤلاء السلفيين،فالتحضر بهذا المعنى، سيكون عقيدة وثقافة وحرية تخضع لمرجعية تمثل المجتمع الذي صنع هذا المفهوم،وذلك وفقا لما تم إستنباطه ثقافيا من داخل مخبره الإجتماعي(الغرب),..يمكننا في هذه الحالة، أن نعتبر بأن الحياة الحضرية عند هؤلاء السلفيين، لا يمكنها أن تسيرضمن ذلك الخط الأحادي النرجسي،والذي تسير عليه أنماط الحياة الحضرية في المجتمعات الغربية،أين وصل بالكثير من المفكرين أن يحتكروا هذا المفهوم لأنفسهم،حيث لا يمكن لأي ثقافة أخرى أن تستعمله خارج مضامينه الأصلية المؤسس عليها(خط التطور الأوربي الحضري)،وهنا من واجبنا التذكير بأحد أعظم المفكرين في القرن العشرين،والذي تتبع مشكلات الحضارة الإسلامية،إنه **المفكر مالك بن**

نبي،والذي لطالما كان يعتقد بأن التفتيش في كومة تراثنا الإسلامي، هو بمثابة البحث عن المفتاح الذي سنفتح به باب المنزل،فإنتظار أحكام الآخرين على ثقافتنا هي سذاجة غافل تم اللعب به تاريخيا،فإلى متى سنبقى ننتظر حلولا لواقعنا المحلي، بأن تأتينا من ثقافة تختلف عنا في جوهرها بالأساس.

إن الحديث عن واقع الحياة الحضرية أو تحضر داخل المجتمع المحلي،وذلك وفقا لخصوصياته الثقافية الواقعية والملموسة،سيجبرنا نحوى التطرق إلى إحدى الأعمال الأنثروبولوجية في الجامعة الجزائرية،وذلك بغية تقوية تلك الملاحظات التي يمكننا بواسطتها أن ندافع عن هوية المجتمع المدروس، وكذا محاولة فهم واقع ثقافة حضرية محلية، تريد أن تسمع صوتها رغم الضجيج..يتطرق **الأستاذ سويح مهدي في أطروحته** إلى مفهومي المديني الكلاسيكي و المديني الشائع،أثناء دراسته لبعض الأحياء الهامشية بمدينة وهران ،أين يميز بين المديني الكلاسيكي الذي يعكس نمط الحياة الغربية،في مواجهة ذلك الإنسان القادم من الريف،والذي أصبح يشكل المديني الشائع،يقول في هذا الصدد [70]"نموذج أول، شخصية ساكن المدينة،يحترم قواعد العيش والسلوك ما يجعله يستحق لقب المديني"،أين يمكن أن يكون عينة تمثل المديني الكلاسيكي،والذي سيصبح في مواجهة ما سماه **الأستاذ سويح مهدي بالمديني االشائع**,يمكننا أن نوافق **الأستاذ سويح مهدي** في هذا الصدد، إذا كان ينظر إلى هذه النماذج تماشيا مع المفهوم السوسيولوجي للمديني،والذي أنتج في ثقافة لم تستمع يوما إلى ثقافة الآخرين،وذلك أثناء إنتاجها لمثل هذه المفاهيم،ما يجعل الحكم على أنماط الحياة الحضرية في المدينة الجزائرية،يخضع لتلك الأحكام الصادرة من زاوية معيارية أحادية النظر,.إن الشباب السلفي المدروس،يمكن دمجه في هذه الحالة في خانة النموذج الثاني،إذا ما تم النظر إليهم بالمعايير التي تحاول أن تقصي الآخرين من المشاركة الفعلية في إعطاء رأيها,وذلك حول بناء ذلك المجتمع الإنساني،و الذي لا يمكنه إلا أن يحترم خصوصيات الآخرين,.إننا في الجهة المقابلة يمكننا أن نرى بأن الممارسات التي يخضع لها الفضاء الحضري من خلال مجتمع

[70]-souieh,M .(2015). espace périphériques :urbanité et lien sociale,approche anthropologique de : ain el beida,sidi el bachir et el a el amel-quartiers oranais,(thèse de doctorat sous la direction de abdelkader lakjaa).université oran 2,Département de sciences sociales.p74.

الدراسة،وجب أن تخضع في مخيال وممارسات هؤلاء السلفيين إلى المعايير الدينية بالدرجة الأولى،حيث لايمكن أن يتم إقصاء الشريعة الإسلامية في توجيه وتسيير سلوك هؤلاء السلفيين،غير أنهم سيتقاطعون في بعض الأحيان مع نفس السلوكات التي يمثلها النموذج الأول،أين يرى السلفيين من خلال بعض القيم التي يطبقونها داخل المدينة،بأنهم تعلموها من المذهب السلفي،لا من الحياة الثقافية الأوربية،وذلك كما أسلفنا سابقا في هذا المنحى،وهنا ستكون معايير الحكم على المديني المحلي في حالة الشباب السلفي،ملزمة لنا في وضع معايير جديدة تحترم ثقافة المجتمع المحلي،أين يمكننا أن نحكم على تصرفات ساكني المدينة، إنطلاقا مما تم إستنباطه من مفاهيم تخضع لتقاليدهم الخاصة,إن المجتمع الجزائري يعيش حالة ثقافية تتماشى مع خصوصياته التاريخية بكل ميادينها الإجتماعية،فإذا رأى **الأستاذ مزوار بلخضر أثناء قراءته لأعمال المفكر الجزائري عبد القادر جغلول**،وذلك في تفسير حالة المجتمع الجزائري في شكل حداثته،أين يلخصها في الفكرة االتي تقول بأن المجتمع الجزائري[71]"هو حديث،تميزه حداثة ذات ألوان محلية"،أين لا يمكنها أن تخضع فكريا للمعايير الي تخضع لها الحداثة في المجتمعات الغربية من جهة،ومن جهة أخرى لا يمكننا إقصاء المجتمع المحلي من حداثته ،وذلك كون أن التقاليد والأعراف(الدين خاصة) ستكون بمثابة العائق الذي سيحول بين الأطروحتين,.يمكننا أن نستنتج أخيرا بأن الهوية السلفية عند شباب الهوامش الحضرية،وذلك إنطلاقا من الشباب المدروس في حي كوشة الجير الهامشي،تعبر من خلال علاقتها مع المدينة بشكل عام،على ما يمكننا أن نطلق عليه**"هوية حضرية محلية، ذات صبغة و ألوان دينية "**،تستفيد من تحضر أداتي من خلال ما تمتلكه المدينة من مرافق حضرية، ووسائل حديثة قادمة من أوربا(وسائل النقل-معدات صحية-علوم-بنايات على نمط غربي..الخ)،لكنها تخضع كل شيء للمرجعية الفقهية السلفية،وذلك عن طريق عملية غربلة القيم وتنقية الفضاء المعاش،أين يتم التمييز بين المقبول والمرفوض في حياتهم اليومية,.إن الشيء

[71]-belakhdar mezouar,djeghloul face a la Question de la modernité en algerie,dans abdelkader djeghloul,l'homme et l'ouvre,acte du colloque des 11et 12 décembre 2011,coordination et présentation abdelkader lakjaa,sebtembre 2015.p147.

الذي يوحي إليه المجتمع المحلي(السلفيين)،وذلك من خلال الدفاع عن هويته داخل الفضاء الحضري، هي تنضوي في نفس الإتجاه العام،و الذي دافع عنه **سوسيولوجيا الأستاذ جمال الدين غريد** خلال مسيرته العلمية،أين يدعوا إلى فهم المجتمع الجزائري في عمقه التاريخي و الواقعي،إنطلاقا من دراسات تتغلغل داخله بغية فهم خصوصياته،متجاوزين الأطاريح والأحكام السلبية السابقة،وذلك من خلال محاولة:تأويله، و إنتاج خريطة مفاهيمية له،أين يمكنها أن تتطابق مع كل ما يعبرعنه هذا الأخير(المجتمع المحلي)،وذلك تماشيا مع كل فعل، أو قول، أو عقيدة دينية يدافع عنها كهوية ثقافية تمثله,.يمكننا كذلك في هذا الإتجاه، التذكير بإهتمامات **الأستاذ عبد القادر لقجع بالظاهرة السلفية في الهوامش الحضرية**،وذلك في العقد الأخير من حياته،أين كان بصدد إنجاز دراسة علمية كان سيعنونها تحت **عنوان"التطرفات الدينية في الهوامش الحضرية"**،حيث كنت كطرف في هذه الدراسة من خلال القيام بتلك المقابلات الميدانية **سنة 2014**،والتي تجاوزت **50 مقابلة**،حيث تم إنجازها في **حي رأس العين بوهران**,.لقد كان الأستاذ أثناء نقاشنا حول خطوات البحث والتقصي الميداني،يصبوا إلى محاولة البحث عن تلك الخطابات والممارسات الدينية عند أولئك السلفيين،والتي تنعكس أنثروبولوجيا على محاولة رسم تلك الحياة الحضرية الدينية،والتي تندرج ضمن المشروع الكلي لمجتمع السلفية العلمية،و المراد تأسيسه من طرف هؤلاء الفاعلين،الذين يسيرون ضمن ما ينظر له شيوخهم وعلمائهم السلفيين،من مرجعية دينية يراد لها أن تنعكس على واقع الحياة الإجتماعية الحضرية، كعقيدة دينية وكممارسة دنياوية، أين لا يمكنهما أن يتعايشا في تناقض ولا في تشاحن(الحياة الدينية والحياةالدنيوية),.لقد تمظهر لنا منذ تلك اللحظة إلى غاية الإنتهاء من دراستنا الحالية،أن **الأستاذ لقجع عبد القادر** كان يبحث عن شيء ما داخل ممارسات وخطاب هؤلاء السلفيين،.لقد ظل هو الآخر يدافع عن خصوصيات المجتمع المحلي،ويرفض تلك المصطلحات النابية التي ظلت تطارده لعقود من الزمن(ريفي-بدائي-..إلخ)،.هذا ما تحققنا منه في الأخير من داخل خطابات وممارسات المجتمع السلفي, المدروس في حي كوشة الجير،والذي لا يريد أن يتخلى عن عقيدته الدينية ،حتى وإن

شارك فعليا في التعايش مع هويات تختلف عنه داخل الفضاء الحضري الوهراني،إختلافا في الفكر والخطاب واللباس، وكذا في شكل الجسد والممارسات اليومية.

12-الخاتمة:

في الفصل الأخير من هذا العمل, كان علينا أن نتوغل في موضوع دراستنا حول الهوية السلفية،وذلك بالمعالجة الواقعية والميدانية لهذه الظاهرة،أين توغلنا في حي كوشة الجير الهامشي بوهران،محاولين وصف أولئك السلفيين الذين يتخذون من هذا الحي فضاءا مهما لترويج تدينهم،وذلك من أجل الذهاب نحوى أبعد نقطة في هذا التيار,.لقد تم وصف الحي المعني بالدراسة،أين يعتبر هذا الأخير من بين أقدم الأحياء الهامشية بمدينة وهران،وذلك كونه إمتدادا للمنطقة الكبرى: بلونتور-رأس العين,.يشكل السلفيون في هذا الحي تلك الجماعة التي يميزها ذلك الهندام السلفي،والذي بواسطته يختلفون عن باقي سكان الحي،بما فيهم خصومهم التقليديين داخل المذاهب الدينية،خاصة الصوفيين الذين يمثلون الفئة الغالبة على الحي من ناحية العدد,.لا يمكن للسلفيين الذين تم دراستهم في حي كوشة الجير، أن يتزوجوا دون الرجوع إلى الضوابط الدينية الصادرة عن مراجعهم الفقهية،فهي التي تسطر لهم نوعية المرأة التي يتم إختيارها للزواج،وهو الشيء الذي سيكون له إنعكاس مهم في مستقبل المشروع السلفي،أين ستكون هناك أسرة سلفية يعمل على تأسيسها هؤلاء السلفيين،والتي تعتبر بمثابة النواة الأساسية في تشكل المجتمع السلفي الذي يطمحون له,.إن المقروئية الدينية التي يتميز بها شباب العينة المدروسة،لايمكنها أن تكون بعيدة عن عملية الغربلة والتصفية،و التي من واجبهم أن يتعلموها من شيوخهم أثناء الدروس و المواعظ الدينية،فلا يمكن قراءة كتاب بحار الأنوار على سبيل المثال،وذلك كونه كتاب شيعي رافضي من منظورهم،قد لا يفهمه الشاب المبتدئ في المنهج السلفي،الأمر الذي يمكنه أن يؤثر عليه عقائديا،أين يتم تحذيرهم من قراءة كتب خارجة عن المنهج السلفي،وذلك دون إستشارة شيوخ السلفية العلمية,.تتميز علاقة السلفيين مع جيرانهم الصوفيين في الحي بالصراع على عدة مستويات أبرزها الصراع العقائدي،أين يتهم السلفيين خصومهم الصوفيين بأن مشكلتهم التي تجعلهم خارج التدين الصحيح،هي فساد عقيدة التوحيد،حيث يعتبر الطرف الأول بأن تلك الطقوس الدينية المتمثلة في تنظيم

تظاهرات الوعدة و المولد النبوي الشريف،والتي تنظم من طرف الصوفيين في الحي،هي علامة تدل بوضوح على صفة الشرك بالله وعبادة مخلوقات إلى جانب الله،فمن هنا ينطلق التوتر الحاصل والملموس بين كلا الطرفين داخل الحي،أين يعتبر هذا الخلاف قديما بقدم تاريخ ظهور كلا التيارين،وذلك منذ ولوج أسلافهم إلى ساحة المذاهب والتيارات الدينية قبل قرون من هذا التاريخ,.يتجلى الصراع على أشده حول عملية محاولة السيطرة على الفضاء المسجدي،يمكننا التذكير بذلك الصراع الذي وصل إلى حد التشابك بالأيدي بين كلا الطرفين، وهو الذي حدث داخل مصلى النور قبل عقود من هذا التاريخ،فالشيء الذي يدافع عنه السلفيين من خلال محاولة تملك الفضاء المقدس،هو أن هذا الأخير، يعتبر رمزية مقدسة وأمانة عظيمة تركها صاحب الرسالة الإسلامية محمد صلى الله عليه وسلم،.فهم مجبرين حسب عقيدتهم الخاصة على تنظيف هذا الفضاء من أولئك الصوفيين, الذين ينعتونهم بأنهم لطخوا الوظيفة الحقيقية للمسجد،و المتمثلة في عبادة الله, من خلال الدعاء و إقامة الصلوات فقط،أين يصرحون أن تلك الممارسات المتمثلة في بعض الطقوس والأذكار التي تنظم داخله،هي بدعة لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة.

يعمل السلفيون على إستقطاب الشباب الذين هم في سن المراهقة،وذلك من أجل تقوية جماعتهم الدينية داخل الحي،فتركيزهم على هذه الفئة العمرية ليس إعتباطيا،بل هو مدروس وممنهج،وذلك لكونها في سن تتهيأ نفسيا وفكريا للبحث عن شخصيتها التي تحاول أن تشكلها بعد سن المراهقة،أين ستكون هذه الأخيرة بمثابة غنيمة سيستفيد منها السلفيون مستقبلا،وذلك من خلال إضافة عضو جديد إلى جماعتهم،والذي سيساهم مستقبلا في نشر هذا التيار،وهو ما حدث مع عدة شباب ممن تمت دراستهم من طرفنا،أين سيعمل الشاب الجامعي **(المبحوث رقم 09)) ذو السن 20سنة**،بعد إعتناقه للتيار السلفي،نحوى عملية نقل هذا المنهج إلى الجامعة وعرضه على زملائه في القسم،وهو ما سيكون بمثابة إنجاز مهم حصل عليه السلفيين،وهو تمرير تيارهم الديني داخل الفضاء الجامعي, لا يمكن للسلفيين أن ينعزلوا عن الحياة الحضرية،حيث وجدنا أن غالبية عينة البحث يعملون في القطاع اللارسمي بالمدينة الجديدة وهران،أين يتخذون من هذا الفضاء مكسبين مهمين, أولهما:الحصول على قوت عوائلهم،وثانيهما:إستعمال فضاء السوق كمطية ووسيلة لتقديم

نصائح وإرشادات دينية،والتي تندرج ضمن المخطط السلفي المبرمج من طرف شيوخهم, أثناء الحلقات الدينية والبرامج المنقولة عبر وسائل الإعلام المعاصرة،أين يعملون على تحفيزهم في توعية من ينعتونهم بالغافلين عن الحق،كون هذا العمل سيزيد في ميزان حسناتهم ويقربهم من جنة الرضوان,.سيكون السلفيون في الأخير رافضين تماما لثقافة إستعمال الفضاء الحضري خارج ضوابط تدينهم المزعوم،أين يعملون بكل جدية على محاولة مقاومة كل تلك الممارسات التي تخالفهم: عقيدة وممارسة وشكلا،حيث سيكون هؤلاء السلفيين في الأخير يدافعون عن هويتهم داخل الفضاء الحضري،وهو ما يؤشر على مجتمع حضري محلي يريد أن يصنع لنفسه ممارسات خاصة به،أين لا يمكنه أن ينسلخ من تقاليده وعقائده التي يدافع عنها, كميراث تم تسلم مشعله من العلماء و الشيوخ,فإذا كان السلفيون يقومون بغربلة الأفكار والممارسات,من أجل إختيار ما يتوافق مع تدينهم, سواء داخل الدين أوأثناء الحياة الإجتماعية خارجه,فهو يؤكد على أن الفرضية التي رأينا أنها تؤشر على دفاعهم عن تحضر خاص بهم،قد رسمت صورتها ممارساتهم وخطاباتهم اليومية في المدينة الوهرانية,(العمل في السوق-حضور حلقات دينية في مساجد خارج الحي),وكذا في هوامشها الحضرية(حي كوشة الجير).

الخاتمةالعامة

13-الخاتمة العامة:

ستكون الخاتمة العامة على شكل إستنتاج عام, نحاول من ورائه إستنباط ما كنا نبحث عنه طيلة قصة هذا العمل البسيط,يمكننا أن نلخص هذا الإستنتاج على شكل تلك

الأفكار التي حاولنا تقديمها على شكل نقاط,وذلك تأويلا لما جاء في مضامين الفصول التي رسمت صورة هذه المقاربة الأنثروبولوجية.

من خلال ملاحظتنا لظهور المصلحين السلفيين بعد كل فترة زمنية من وفاة من سبقوهم في نفس المسار الإصلاحي, العقائدي و الإجتماعي,أين يلتحفون تلك الشرعية الإصلاحية, متحدثين بأسماء من يسمونهم بشيوخهم في المذهب,فهذا يدل على أن السلفيين يتميزون بحب المحافظة على أصالة تيارهم الديني, من خلال الجوهر المتمثل في العقيدة التوحيدية من منظورهم,ومن جهة أخرى عندما نلاحظ بعد ظهور مصلح جديد أو حركة سلفية جديدة, إلا وجاءت معها بالتجديد في بعض المجالات, بالرغم من الدفاع عن السلف السابق,وهذا يمكن تأويله على أن السلفيين ليسوا متقيدين بشكل كامل بالتراث,بل هناك إجتهاد وتحديث للمطالب التي يعملون على الدفاع عنها,وذلك ظهر جليا مع ظهور كل منها في سياقها التاريخي, كما لا حظنا مثلا في الفرق بين **الشيخ أحمد إبن حنبل, والشيخ إبن تيمية**,الأول إكتفى بالعقيدة في القرءان بأنه منزل بدفاعه عنه,بينما الثاني ذهب أبعد منه في التجديد من جهة،والإجتهاد والإصلاح الإجتماعي من جهة أخرى,أين يمكننا أن نفهم من خلال **كتابه السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**,هو أنه كتاب يحتوي على أفكار يراد من ورائها تأسيس مجتمع مسلم, ومدينة إسلامية تخضع للدين لا لشيء غيره,وهنا تظهر جدلية تنظيم الفضاء الإجتماعي في تلك الحقبة الزمنية,إستنادا لما طالب **به الشيخ إبن تيمية**,الذي رأى بأنه فضاء قد غزته ممارسات و أفكار غريبة عن التدين الصحيح,وهو ما تجلى في مواجهته للفلاسفة وأهل الكلام والصوفيين والتتار,وكذا تلك الممارسات التي لاحظها تطفوا في المدن والأرياف الإسلامية.

تزامن ظهور السلفية في الجزائر والمغرب مع ذلك السياق التاريخي الذي ظهرت فيه, تلك المراسيم الفرنسية التي تحارب الدين واللغة العربية,نستفهم أن الجانب الروحي العقائدي يعتبر أهم سبب إنفجر لأجله الإصلاحيين في الشمال الإفريقي,.إن السلفيين في التاريخ يظهرون دائما عند إحساسهم بالخطر الذي يمس الهوية السلفية فقط,فعلى سبيل المثال لم يكترثوا لما تعرضت له الزوايا الدينية في الجزائر,معتبرين أن هدمها من طرف

العدو هو جانب إيجابي, كون أن الصوفيين في الشرك والخرافات يسبحون,بينما إنتفضوا لنصرة التدين السلفي واللغة العربية,حيث تجلى ذلك في محاربة الصوفيين والزوايا, بالرغم من ذلك السياق الذي كان لابد فيه من تجاوز الإختلافات في طريقة التدين,وهنا تظهر جليا صورة هذا التيار, على أنه يشكل تيارا متطرفا في الجوانب العقائدية ومتصلبا في ذلك،بينما لا يكترث بالجوانب المادية الشكلية،حيث يقبلون الجلوس مع مسلم عاص,بينما يرفضون مصاحبة متصوف يقيم الوعدة والتبرك بقبور الصالحين,وهذا مما إستقيناه في ميدان كوشة الجير ميدان الدراسة,على لسان السلفيين أنفسهم.

كان الهدف من وراء هذه الدراسة هو الوصول إلى ذلك الإفتراض الذي رأينا فيه من خلال القراءات السابقة, وكذا المعاينة الميدانية للحي المدروس،أن السلفيين من خلال عناصر البحث, يدافعون عن هوية دينية داخل المجال الحضري،فإذا كان الشاب السلفي الذي يقطن هوامش وهران، ينطلق بذلك الهندام الديني نحوى الفضاء الحضري, مبرزا أمام الآخرين تميزه وإختلافه عنهم،فهذا يعني أنه يدافع عن خصوصياته الأنثروبولوجية الدينية,.لن يتوقف السلفيون في وضعية الدفاع عن تدينهم الخاص،بل سيواجهون مخالفيهم من الصوفيين واللاممارسين للدين, على ساحة الفضاءات الحضرية في وهران،أين سيستعملون إلى جانب الفضاء المسجدي،السوق في المدينة الجديدة ووسائل التكنولوجيا الحديثة, كفضائين معاصرين في نشر تيارهم،والمعنى من وراء ذلك هو تغيير عقيدة مجتمعهم المحلي,.إن علاقة السلفيين بالفضاء الحضري,تميزها تلك الرمزيات الدينية من لباس وخطاب وحركات جسدية(غض البصر)،فإستعمالهم للفضاء الحضري يخضع للدين لا للثقافة الحضرية الصادرة من خارج المجتمع الجزائري,.نستنتج في الأخير أن سؤالنا حول الهوية السلفية عند الشباب المدروس, عن ماذا تعبر؟، قد إلتمسنا بأنها فعلا تعبر عن شيء ما،حيث ظهر لنا في الأخير أن هؤلاء السلفيين يتمسكون بتقاليدهم الدينية والعقائدية،غير أنهم يعيشون حياتهم الحضرية, أين يستفيدون من كل ما تزخر به المدينة الوهرانية،إلى جانب ولوجهم إلى عوالم التكنولوجيا المعاصرة بكل أنواعها،وذلك تماشيا تحت سلطة الضوابط الدينية, في كيفية الفصل بين الممنوع والمقبول,.إن السلفيين في حي كوشة الجير يعبرون عن تلك الحالة الأنثروبولوجية, والتي لها علاقة معقدة مع الفضاء

الحضري.،ما جعلنا في الأخير نتوصل إلى التطابق ميدانيا, مع ما تم فرضه في بداية العمل,.هؤلاء الشباب السلفي يدافعون فعلا عن هوية تعيش حضريتها وتدافع عن تدينها،ما سمي في الأخير"هوية حضرية محلية،ذات صبغة وألوان دينية"،وبهذا العمل البسيط, يمكننا القول بأننا إقتربنا ولو نسبيا, في محاولة وضع مقاربة أنثروبولوجية للهوية السلفية, عند شباب الهوامش الحضرية بوهران،أين كانت المواجهة مع الفضاء الحضري الوهراني بشكل عام, داخل خطاب هؤلاء المدروسين،هي التي وضحت لنا في الأخير, عن رسم صورة أنثروبولوجية حضرية لهم، يميزها خطابهم الديني ولباسهم السلفي.

فإذا كان السلفيون يعملون على التغيير الفكري, من خلال العمل على تربية المجتمع وتنقيته مما يخالف الدين الإسلامي، أين يقرون بأن النص القرءاني كان صريحا حول أهمية, تغيير ما في النفوس حتى يستقيم أمر الناس،فهذا يتطابق إلى حد كبير مع الأطروحة الفيبيرية(ماكس فيبر), في إنتقاد الجانب المادي في أهمية تغيير المجتمع، والدفاع عن الجوانب الفكرية التي يعتبرها بمثابة العامل المهم, في إطراء تغيير واضح وملموس على المجتمع،يقول السلفي(**المبحوث رقم 02**)"حتى وإن كسبت أموال قارون وكنت غليظ القلب،لست من أهل السنة والجماعة وبعيدا عن طريق الله،فسوف تعيش حياة ضنكى"،وذلك خلال تعليقه على أولئك الناس الذين يعتقدون بأن التغيير إلى الأحسن, يكمن فقط في الجانب المادي من خلال كسب الأموال,التحديث أو التغيير في الجانبين الفكري و المادي موجود عند السلفيين,حيث نجد أن **الشيخ أبي عبد المعز محمد علي فركوس**, يجتهد في مسائل كثيرة,وأما الجانب المادي فاللباس السلفي المتمثل في القميص و سروال نصف الساق والتقية،هو لباس عصري جديد يواكب الحداثة والعصرنة،حيث وجدنا ما يخالف ذلك عند السلف الأول في الإسلام,حيث تجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرتدي الرداء و العمامة مثلما جاء على لسان الشباب المدروس,وكذا بطون كتب السيرة النبوية،وهنا نجد بالرغم من أن السلفيين يظهرون بأنهم متجمدين على التراث،غير أننا نلاحظ أنهم يعيشون حسب السياق الثقافي الذي يواجهونه في جوانب معينة،أين أصبح السلفي يركب التراموای,السيارة،ويذهب إلى البحر رفقة عائلته للسباحة,وهو يرمز على ما طرحناه في الإفتراض,و الذي حاولنا إستخراجه من مضامين

خطابهم و شكل هندامهم,أين يكون صورة لتحضرتحت تسيير البوصلة السلفية,والمتمثلة في شيوخ المرجعية السلفية المعاصرة,وهو دليل على أنهم ليسوا ضد الحداثة الغربية,لكن يخضعون كل شيء منها للمرجعية,و التي تمنح لهم فتاوى التحريم والجواز. من خلال الخطاب الذي يسرده السلفيون,فهم يؤكدون على مفهوم الجماعة لا الفردانية,فبالرغم من مشاركتهم الفعلية في صناعة الحياة الحضرية الواقعية في مدينة وهران, من خلال يومياتهم داخلها,إلا أنهم يدافعون على مبدأ الجماعة المترابطة على أساس الدين أو التدين السني,وهنا يجعلنا نلاحظ تلك الخاصية التي تخالف المنظرين السوسيولوجيين,و الذين ربطوا الحياة الريفية بالروح الجماعية,والحياة الحضرية بالروح الفردانية،سيكون للسلفيين رأي مختلف عندما يحاولون الإلتفاف حول بعضهم البعض, داخل سوق المدينة الوهرانية وفي مساجدها,وذلك بنية حماية تيارهم الديني,إن جيل الأباء الصوفيين كان جيلا متماسكا في الدوار,أين كانت حياة جماعية بسيطة,من خلال التدين الصوفي الشعبي الطرقي،الذي يؤطره شيخ الدوار,ولكن بعد التغيرات الحاصلة في العالم وفي المجتمع الجزائري, من جراء بزوغ المدن المعاصرة بواقع مغاير,والحياة الحضرية الجديدة,القادمة أسبابها من خارج المجتمع المحلي,عن طريق مفرزات الحداثة والثورة الصناعية والحضرية,كل هذا هدد ذلك النظام الوظيفي الذي كان متماسكا عند المجتمع التقليدي المتصوف,أين أصبح وجود هؤلاء الصوفيين في هوامش وهران الحضرية, بعد مغادرة دواويرهم لأسباب متعددة, يواجهون تلك الصراعات حول تدينهم من طرف أولئك السلفيين,والذين إستفادوا من التكنولوجيا المعاصرة التي أصبحت تنشر الفكر السلفي, عن طريق تكنولوجيا الإعلام المعاصر,لقد إنشق الأبناء عن أبائهم من خلال نوعية تدينهم الجديد,هذا الذي جعل النظام المتوارث عبر الأجداد, يتعرض لضربة مؤلمة من خلال هذا الواقع الجديد,الإبن يحارب الأب حول التدين الصحيح والتدين الخاطئ,من شيخ الدوار تحت سلطته عاش الأباء, إلى العالم السلفي الذي أصبح يخضع له الشاب السلفي أكثر من والده, كما لا حظنا ذلك في العمل الميداني,أين أصبح يخضع للشيخ الألباني وهو لم يلتقي به يوما من الأيام,الأمر الذي يؤشر على أن هذا التيار الديني,يعمل بكل الطرق التي يريد من خلالها نشر تدينه السلفي,محاولا طمس التدينات الأخرى,وسالبا لعقول وقلوب الأجيال القادمة.

يبني الشباب السلفي جدار هوياتي يميزهم عن غيرهم من خلال المظهر(القميص,اللحية),الخطاب الديني الصارم.الصراع على الفضاء المسجدي.وجود الشباب بكثرة أين تعتبر إستراتيجية حيث الشاب في سن يبحث فيه عن الحرية والبحث عن تشكيل شخصيته وهي فرصة مناسبة لإصطياده في الشباك الهوياتي السلفي.التعايش مع الحداثة رغم رفضهم لقيم كثيرة .التطور من التدين التقليدي في الريف(الأجداد).نحوى التدين السلفي الممزوج مع الحداثة(السلفية

العلمية).وهنا نجد الأستاذ جمال الدين غريد في كتابه الدخول في علم الإجتماع يرى بأن المشكل المعاش هو مشكل ثقافي وليس مشكل تقني أو إقتصادي.حيث أننا نفهم من خلال عملنا أن الجانب الفكري الثقافي هو الذي يهيمن على الخاص وهو الذي يمنع من تخطي الحدود الهوياتية وهو ما يبرز في الممارسة والخطاب السلفي في الحي.وفي المركز الحضري رغم كل شيء.الجماعة السلفية ملتفة حول بعضها البعض في الفضاء الحضري من خلال ما نلاحظه في المسجد والسوق والحلقات ,لنجد في الأخير أن المجتمع السلفي المحلي يعبر عن خصوصية من خصوصيات متنوعة في المجتمع الجزائري وجب مقاربتها من منظور الفاعلين أنفسهم وليس النماذج التي تأتي من مجتمعات بعيدة.الغربلة والتنقية للفضاء المعاش وجدناها في هوية وممارسات الشاب السلفي في الحي وخارج الحي.حيث أن البوصلة الفقهية التي يمتلك مفاتيحها المرجعية العلمية, هي التي تؤطر هؤلاء الفاعلين اللارسميين في كيفية عملية العيش في الفضاء الحضري دينيا و إجتماعيا.

الهوية السلفية الملاحظة في الفضاء الحضري أصبحت تتفاوض مع السياقات الجديدة,ولم تعد ترفض الأخرين وتنعزل عنهم,ما يدل على أن التيار السلفي تاريخيا لا يمكن أن يحافظ على نفس الشروط التي رسمها السلف السابق,أي هناك تغييرات كثيرة طرأت على هذا التدين في كل سياق ثقافي جديد,من وجهة نظر أنثروبولوجية:الثابت والمتغير قد كانا موجودين في هوية هؤلاء السلفيين الذين درسناهم,حيث أن هناك ماهو ثابت في ممارساتهم وأقوالهم من خلال ذكر العلماء الذين يسيرون على منهجهم(طريقة الصلاة,الأذان,السواك),وهناك ممارسات جديدة تختلف عن سياق سابقيهم في التيار وتواكب السياق المعاش(الإجتهاد في مسائل جديدة معاشة,.اللباس,المسكن,وسائل النقل....الخ).

المصادر والملاحق

أ-قائمة المصادر والمراجع:

1-المراجع باللغة العربية:

أ-القرءان الكريم:

1- القرءان الكريم،سورة القصص،الاية 77

2- القرءان الكريم سورة الحجرات.الاية 13.

3-القرءان الكريم, سورة الذاريات، الآية 56

ب-الكتب باللغة العربية:

1-أبي عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري،أصول الدعوة السلفية عند العلامة إبن باديس 1359 هجري رحمه الله تعالى،الطبعة الأولى،2006.ص27.

2-هارلمبس وهولبورن،سوسيولوجيا الثقافة والهوية،ترجمة:حاتم حميد محسن،دار كيوان،طبعة أولى.ص93.

3-الدكتور محمد عمارة،السلف والسلفية،جمهورية مصر،وزارة الأوقاف،القاهرة،تاريخ النشر 2008.ص21.

4-أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحصين،دعوة الإمام محمد إبن عبد الوهاب سلفية لا وهابية،تقديم الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيخ،دار عالم الكتب للنشر والتوزيع،1999.ص42.

5-الإمام أبي عبد الرحمان عبد الله بن إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني 213ه-290ه،تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني،كتاب السنة،المجلد الأول،دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع،الرياض،الطبعة الرابعة 1416ه-1996ه.ص32

6-عبد الغني عماد،السلفية والسلفيون الهوية والمغايرة،قراءة في التجربة اللبنانية،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،الطبعة الأولى،بيروت،2016.ص25.

7-الدكتور محمد عمارة،إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات،درالسلام،الطبعة الأولى،2009.ص31.

8-الشيخ أحمد أبن عبد الحليم إبن عبد السلام إبن تيمية(661ه-768ه)،السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،تحقيق:علي إبن محمد العمران،إشراف بكر إبن عبد الله بوزيد،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،دون تاريخ،ص96.

9-شيخ الإسلام أحمد إبن عبد الحليم إبن تيمية،الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ص40.

10-الإمام المجدد محمد إبن عبد الوهاب النجدي رحمه الله،كتاب التوحيد،حقق نصوصه:أبو مالك الرياشي،أحمد بن علي بن مثنى القفيلي،مكتبة عباد الرحمان،مكتبة العلوم مصر،الطبعة الأولى،2008.ص17.

11-عبد الغني عماد،السلفية والسلفيون الهوية والمغايرة،قراءة في التجربة اللبنانية،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت،الطبعة الأولى،2016.ص123.

12-سيد قطب،نحوى مجتمع إسلامي،دار الشروق،الطبعة السابعة،1987،الطبعة الثامنة 1988،الطبعة التاسعة 1993،الطبعة العاشرة 1993.ص 51-52.

13-جمال الدين الأفغاني،محمد عبده،العروة الوثقى،دار النشر دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،دون تاريخ.ص113.

14-الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده،تحقيق وتقديم:الدكتور محمد عمارة،دار الشروق،الطبعة الأولى،1993،الجزء الثالث،الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات.ص455.

15-الوهابيون والحجاز طائفة من مقالات نشرت في المنار،بقلم الشيخ:السيد محمد رشيد رضا بمصر،مطبعة المنار بمصر،الطبعة الأولى 1344ه.ص6.

16- إيديولوجية جماعة الإخوان المسلمين،دراسة أكاديمية أعدها د.ريتشارد ميتشل،الجزء الثاني :التنظيم والإيديولوجية،ترجمة:منى أنيس،عبد السلام رضوان،مراجعة:فاروق عفيفي عبد الحي،الناشر مكتبة مدبولي،القاهرة.ص62.

17-معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية،تأليف الدكتور منذر معاليقي،راجعه:ياسين الأيوبي،دار إقرأ بيروت،لبنان،دون تاريخ.ص214.

18- أنور الجندي،اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار(منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى)،الطبعة الأولى،دار الإعتصام 1978.ص35.

19- جيرار لكلرك،الأنثروبولوجيا والإستعمار،ترجمة:د.جورج كتورة،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،الطبعة الثانية،1990.ص22.

20-جيرمين تيليون،الحريم وأبناء العم،تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط،ترجمة:عز الدين الخطابي وإدريس كثير،دار الساقي،الطبعة الأولى 2000.ص19.

21-عبد الحميد المرنيسي،الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية علال الفاسي إلى أيام الإستقلال،مطبعة الرسالة،الرباط(المغرب)،1978.ص43.

22-أبوبكر القادري،مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1830 إلى 1940 ذكريات ومواقف وأحداث،الجزء الأول،الطبعة الأولى 1992،مطبعة النجاح،الدار البيضاء.ص48.

23-محمود الشرقاوي،المغرب الأقصى مراكش،مكتبة الأنجلوالمصرية-القاهرة،دار القاهرة للطباعة.ص41.

24- إرنست غيلنر،مجتمع مسلم،ترجمة:أبوبكر أحمد باقادر،مراجعة:الدكتور رضوان السيد،دار المدار الإسلامي،الطبعة الأولى 2005.ص336.

25-الدكتور محمد رياض،شيخ الإسلام أبوشعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية مع ذكر ثلة من تلامذته وآثاره،مطبعة النجاح،الدار البيضاء،الطبعة الأولى 2005.ص420.

26-الإمام عبد الحميد إبن باديس،لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده،الدكتور:مسعود فلوسي،دارقرطبة ،الطبعة الأولى 2006.ص17.

27-عبد الغني عماد،في جينيالوجيا الآخر المسلم وتمثلاته في الإستشراق والأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا،مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة الأولى 2020،بيروت.ص61.

28-ميشال ميسلان،علم الأديان مساهمة في التأسيس،ترجمة:عز الدين عناية،دار النشر،كلمةوالمركز الثقافي العربي،الطبعة الأولى،2009.ص251.

29- إرفنغ غوفمان،تقديم الذات في الحياة اليومية،ترجمة:ثائر ديب،الطبعة الأولى 2021،دار معنى للتوزيع والنشر.ص35

ب-المجلات:

1-الحركة السلفية في المغرب الأقصى ودورها الأنثروبولوجي والديني والوطني في التصدي للمشاريع الإستعمارية(السياسية،اللإقتصادية والأنثروبولوجية)،الدكتور:جمال برجي،جامعة تلمسان،مجلة أنثروبولوجيا الأديان،المجلد 18،العدد:05،2022/06/02.ص168.

2-مجلة المنار،الجزء الأول،المجلد الثاني والثلاثون،أكتوبر 1931.ص15

3-جدل الحداثة والتجديد الديني والمدني في الفكر الإسلامي لدى محمد عمارة،أ.نصيرة بوطغان،جامعة قسنطينة 2،عبد الحميد مهري،مجلة دراسات،المجلد 06/العدد:10(2019)،ص165-196.ص177.

Les references en langue français:

a-Les livres:

1-mondher kilani,anthropologie du local au global,2 eme edition,revue et augmenteé,armond colin,2012 pour la 2 eme edition.p67

2-jean-noel ferrié,la religion de la vie quotidienne chez des marocains musulmans,rites,regles et routine,edition karthala,2004.p93.

3-René lespes,oran,etude de géographie et d'histoire Urbaines,edition bel horizon,2003.p41-p42.

4-Pascal ménoret,l'énigme saoudienne,les saoudienne et le monde 1744-2003 préface de françois bougat,edition la découvert,paris,XIIIe 2003.p57-58

5-Jean Guiart,(s/d),etudier sa propre culture(experiences de terrain et méthodes),edition l'harmattan,2009.p10.

6-philips lucas,jean-claude vatin,l'algerie des anthropologues,edition librairie françois maspero,paris,1975.p13.

7-Edmonde Doutté,notes sur l'islam maghribin,les marabouts,extrait de la revue de l'histoire des religiones tomes XL et XLI,paris,editeur ernest leroux,1900.p115-116.

8-lahouari addi,deux anthropologues au maghreb,Ernest Gellner et Clifford Geertz,editions des archives contemporains,2013.p15.

9-Lhouari Addi,deux anthropologies au maghreb,Ernest Gellner et Clifford Geertz,editions des archives contemporaines,2013.p23.

10-Addi lhouari,les mutations de la société algerienne:famille et lien social dans l'algerie contemporaine,paris,la découverte,1999.p13.

11-Amos Rapoport,pour une anthropologie de la maison,traduit par Anne M.Meistersheim et Maurin schlumberger,dunod,paris,1972.p43-.44

:12Jacque berque,l'islam au défi,editions gallimard,1980.p49.

13-bronislaw malinowski,trios essays sur la vie sociale des primitifs,editions payot,1er edition française 1933,edition revue pour la petite bibliothéque payot.p15.

14-Marc Augé,non-lieu introduction à une anthropologie de la surmodernité,editions du seuil,1992.p57.

15-Marie-Olide Géraud,Olivier leservoisier,Richard pottier avec la collaboration de Gérald Gaillard,les notions clés de l'ethnologie,analyes et textes,edition armond colin/masson,paris,1998.p123.

16-michel agier,anthropologie de la ville,presse universitaire de France,2015,1er edition.p60.

17-djamel guérid,l'entrée en sociologie,les limites de l'universel européen,Implication concrétes dans le monde d'aujourd'hui,editions publisud,2013.p23.

18-belakhdar mezouar,djeghloul face a la Question de la modernité en algerie,dans abdelkader djeghloul,l'homme et l'ouvre,acte du colloque

des 11et 12 décembre 2011,coordination et présentation abdelkader lakjaa,sebtembre 2015.p147.

b-les revues:

1-villes,cultures et engagements la mise en culture des villes:jus qu'ou?,pauline guinard,Barbara morvich,dans journals des anthropologues,2020/4(N°162-163)p21à28.p22.

2-Qu'est-ce que la jeunesse ?Bernard Roudet,dans après-Demain,2012/4(N°24,NF)p3à4,Edition Fondation Sligman.p3

3-Enjeux economiques,Sociaux et Environnementaux de l'urbanisation du monde,jacques véron,dans monde en développement ,2008/2(N°142)p39à52.p48

4-les fréres musulmans égyptiens:pour une critique des vœux pieux,tewfik alimandos,dans politique africaine 2007/(N°108),p25à46,edition karthala.p30.

5-Boudjenoun Messaoud(,بوجنان مسعود),l'islam et le vivre ensemble,Al-Dirasat AL-islamiyya(الدراسات الإسلامية),High islamic council,volume 12 n22/09/safar/1443h/16/09/2021/issn:1112-4083.p123-124.

6-le statut des musulmans en algerie coloniale,une nationalité français dénaturée,patrick weil,dans histoire de la justice 2005/1(N°16),p93-109, edition association français pour l'histoire de la justice.p104.

7-André basset,article de dialectologie berbere,préface de e.benveniste,librairie c.klincksieck,1959,numéris et diffusé par ayamun de littérature berbére,2005.ayamun.com.p81.

8-Camp Gabriel,E.msquery,formation des cités chez les population sédentaires de l'algerie,kabyle de djurdjura,chaouia de l'Aouras,béni

mezab.in:Revue de l'occident musulman et de la méditerranée,n°36,1983pp206-208.p208.

9-du bon usage de l'ethnologie,pierre bourdieu,mouloud mammeri,yacine tassadit,dans acte de la recherche en sciences sociales2003/5(n°150),p9à18,edition le seuil.p10.

10-De pierre bourdieu à bourdieu,pierre Grémion,dans etudes 2005/1(tome 402)p39à53,edition:s.e.r.p40.

11-une épistémologie à hauteur d'homme:l'anthropologie interprétative de Clifford Geertz et son apport potentiel à la recherche francophone en management,Bernard Leca,Loic plé,dans management et avenir 2013/2(N°60)p35-52,editions:management prospective.p37.

12-L'evolution du champ religieux marocain au défi de la mondialisation,Mohamed Tozy,dans revue internationale de politique comparée 2009/1(vol16)page :63-81,edition de boeck superieur.p75.

13-L'islam authentique appartient à dieu "L'islam algérienà césar "La mobilisation de L'association des oulémas d'algérie pour la séparation du culte musulmane et de l'etat (1931-1956),Raberh Achi,dans genèses2007/4(N°69),pages49à69 ,editions belin.p53.

Article disponible en ligne à l'adresse:

https://w.w.w.cairn.info/revue-geneses-2007-4-page-49.htm.

14-Les Lieux de sociabilité islahistes et leur usages:La ville d'alger(1931-1940),Afaf zekkour,dans le mouvement social 2011/3(N°236),pages 23à34,editions la découvert.p23-24.

Article disponible en ligne a l'asdresse:

https://w.w.w.cairn.info/revue-le-mouvement-social-2011-3-page-23.htm.

15-La ville creuset d'une culture nouvelle(villes,cultures et société en algerie)*,Abdelkader lakjaa,insaniyat n°5,mai-aout 1998.p50

c-les theses:

1- islam et modernité chez muhammad Abduh: defis de son epoque et enjeux contemporains,s/d Eric Geoffroy,par etudiant ismaila Diop,pour obtenir Grade de docteur,29octobre 2009,université de strasbourg.p19.

2-les béerbers et le mekhzen dans le sud du maroc(essai sur la transformation politique des bérbers sédentaires (groupe chleuh),these principale présenté de la faculté des lettres de l'université de paris pour le doctorates lettres par Robert montagne,paris,librairie félix alcan,1930.p22-23.

3-souieh,M .(2015). espace périphériques :urbanité et lien sociale,approche anthropologique de : ain el beida,sidi el bachir et el a el amel-quartiers oranais,(thèse de doctorat sous la direction de abdelkader lakjaa).université oran 2,Département de sciences sociales.p74.

ب-الملاحق:

1-دليل إجراء المقابلة الميدانية:

يمكن لكل قارئ لهذا العمل المتواضع،العودة إلى هذا الدليل الذي يتمثل في تلك الأسئلة التي تم طرحها على عينة البحث.كانت الأسئلة التي تم صياغتها تتخلل محاور هذا العمل الإجابة عنها،أين كان لنا إستشهادات من كلام المبحوثين بغية تقوية طرحنا الذي كنا نرسم خيوطه طيلة رحلة هذه الدراسة.إن ذلك الوصف والتحليل الذي كان في مضامين هذا العمل،هو في حقيقة الأمر، نتيجة لمحاولة فهمنا لكلام هؤلاء الشباب،والقيام بصياغته في شكل فقرات تحليلية مرة،ووصفية مرة أخرى.وتمثلت الأسئلة المطروحة على أولئك السلفيين في الحي المدروس على النحوى التالي:

المحور الأول: المتغيرات الإجتماعية:

الإسم.....؟

السن.....؟

المهنة.....؟

الأصول الجغرافية.....؟

المستوى الدراسي.....؟

مكان الإقامة.....؟

الحالة الإجتماعية.....؟

المحور الثاني:الحركات السلفية الإصلاحية

1-من هم أهل السنة والجماعة؟

2-يعتبر الإمام أحمد أحد العلماء الذين لازالوا محل مدح من طرف بعض التيارات الدينية منهم السلفية،فما هو رأيك فيما صدر عنه،وكيف ترى مواقفه؟

3-ماموقفك من مجدد الفكر الحنبلي الشيخ إبن تيمية؟

4-هل ترى فعلا بأن الإمام محمد إبن عبد الوهاب النجدي هو مصلح ديني على خطى سابقيه،وكيف تجده؟

5-بعد الحركة الوهابية في الحجاز ظهرت سلفيات أخرى جاءت برؤية قد تخالف الوهابية في نقاط أخرى،حيث نجد على سبيل المثال:حركة النهضة مع جمال الدين الأفغاني وحركة الإخوان المسلمين في مصر مع حسن البنا،فما رأيك في هذين التيارين؟

6-ظهرت في الآونة الأخيرة السلفية العلمية في السعودية بقيادة الشيخ الألباني،حيث تعتبر إمتدادا تاريخيا للوهابية التقليدية،فما موقفك منها ؟

المحور الثالث:السلفية الإصلاحية في الجزائر:

1-خلال الفترة الإستعمارية في الجزائر ظهرت الحركة السلفية في ثوب جمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ عبد الحميد إبن باديس،فما موقفك منها ومن المصلح إبن باديس نفسه؟وهل تعتبرها سلفية على نهج أهل السنة والجماعة؟

2-الصوفية تعتبر تدين المجتمع التقليدي في الجزائر،فما موقفك من الصوفية ؟

3-هل تعتبر بأن جمعية العلماء المسلمين كان لها دور مهم في توغل الفكر السلفي إلى الجزائر بعد الإستقلال؟وهل تعتبرها بأنها حافظت على الهوية الإسلامية من الطمس زمن الإستعمار الفرنسي؟

المحور الرابع: الهوية السلفية في مواجهة الحياة الحضرية المعاصرة:

1-هل هذا الهندام الذي تلبسه يمثل لباس أهل السنة والجماعة؟

2-كيف تجد نفسك في الحي الذي تقطنه مقارنة مع المدينة والعمل في السوق؟

3-ماذا يقول السلفي في شروط الزواج وطريقة إختيار المرأة؟

4-السلفيين غالبا ما يختارون الكتب التي تنتمي إلى تيارهم الديني كمقروئية،فما سبب ذلك؟

5-ماعلاقة السلفي بوسائل التكنولوجيا الحديثة وكيف تعلق على ذلك؟

6-كيف ترى المدينة من خلال العمل في السوق، كونها فيها حرية التنقل واللباس الذي يخالفكم شكلا ومضمونا؟

7-أرى أن السلفيين يعيشون علاقتهم مع المدينة بشكل عادي،لكنهم ينتقدونها في نفس الوقت،فما تعليقك على هذا الشيء الذي يبدوا وكأنه تناقض ملاحظ؟

جدول المتغيرات الإجتماعية لعينة البحث:

في هذا الجدول نحاول توضيح المتغيرات الإجتماعية التي تمثل هوية هؤلاء السلفيين الشباب،أين تم جمعها في الجدول الآتي:

جدول بيانات عينة الدراسة

الحالة الإجتماعية	المهنة	الحي السكني	الأصل الجغرافي	المستوى الدراسي	السن	المبحوث
أعزب	تاجر	كوشة الجير	غليزان	ابتدائي	40	1
أعزب	تاجر	كوشة الجير	غليزان	متوسط	40	2
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	ابتدائي	30	3
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	ثانوي	40	4
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	جامعي	36	5
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	متوسط	35	6
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	متوسط	35	7
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	متوسط	40	8
أعزب	تاجر	كوشة الجير	غليزان	جامعي	20	9
أعزب	أستاذ	كوشة الجير	غليزان	جامعي	33	10
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	ابتدائي	40	11
أعزب	تاجر	كوشة الجير	غليزان	ابتدائي	40	12
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	جامعي	40	13
أعزب	أستاذ	كوشة الجير	غليزان	جامعي	37	14
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	ثانوي	39	15
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	متوسط	30	16
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	ثانوي	36	17
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	جامعي	30	18
أعزب	تاجر	كوشة الجير	غليزان	ثانوي	30	19
متزوج	تاجر	كوشة الجير	غليزان	ابتدائي	35	20

ملخص الأطروحة:

باللغة العربية:
تتناول هذه الأطروحة بالدراسة والتحليل، الدور الذي يلعبه الشباب السلفي في حي كوشة الجير بمدينة وهران، في تشكيل هويتهم الدينية ضمن الفضاء الحضري المعاصر. تركز الأطروحة على الفهم الأنثروبولوجي لتفاعل هؤلاء الشباب مع قيمهم الدينية والمحلية، وكيف يؤثر ذلك في علاقتهم بالمدينة ، مع تتبع لتاريخ التيار السلفي وتطوره في الجزائر، وتحليل استراتجياتهم في نشر التدين ومواجهة التحديات. وتسعى الأطروحة إلى الكشف عن آليات التغيير الاجتماعي التي يتبناها هؤلاء الشباب، ومدى قدرتهم على تحقيق توازن بين هويتهم الدينية وواقع الحياة الحضرية.

الكلمات المفتاحية: السلفية، الهوية السلفية، الفضاء الحضري، الشباب، الأنثروبولوجيا

Résumé:
Cette thèse explore, à travers une approche anthropologique, le rôle de la jeunesse salafiste dans le quartier de Koucha El-Jir à Oran, en Algérie, dans la construction de leur identité religieuse dans l'espace urbain contemporain. L'étude analyse l'interaction de ces jeunes avec leurs valeurs religieuses et locales, et son impact sur leurs relations avec la ville. Elle retrace aussi l'histoire et l'évolution du courant salafiste en Algérie, tout en examinant leurs stratégies pour diffuser leur foi face aux défis du monde moderne. L'objectif est de comprendre les mécanismes du changement social initié par ces jeunes et leur capacité à trouver un équilibre entre identité religieuse et vie urbaine.

Mots clé :Salafisme, Identité salafiste, Espace urbain, Jeunesse, Anthropologie

Abstract:
This thesis explores, through an anthropological approach, the role of Salafist youth in the Koucha El-Jir neighborhood in Oran, Algeria, in constructing their religious identity within the contemporary urban space. The study analyzes the interaction of these young people with their religious and local values, and its impact on their relationship with the city. It also traces the history and evolution of the Salafist movement in Algeria, while examining their strategies to spread their faith in the face of modern-day challenges. The aim is to understand the mechanisms of social change initiated by these youth and their ability to find a balance between religious identity and urban life.

Key words: Salafism , Salafism identity , Urban space , Youth , Anthropology